



الْحَوْزَةُ النَّجَافِيَّةُ الْجَانِدَةُ  
HAWZA OF NAJAF LEADER IN INNOVATION



مَوْسُوَّةُ  
الْعَالِمِ الْشَّيْخِ مُحَمَّدِ رَضَا الْبَطْرَقِيِّ

المُجَلَّدُ الثَّامِنُ

# مِنْ وَحْيِ الْفَتْكَرِ

مَقَالَاتٌ • فَطْبٌ • دَرَاسَاتٌ • حَوَارَاتٌ

الْجَهَادُ الْمَجْدُ

(الْشَّيْخُ مُحَمَّدُ رَضَا الْبَطْرَقِيُّ)

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ

الْكِفْرُ مُحَمَّدُ جَوَادُ الصَّنْعَانِيُّ



## موسوعة العلامة الشيخ محمد رضا المظفر (قدس سره)

الكتاب: من وحي الفكر.

تأليف: العلامة الشيخ محمد رضا المظفر (قدس سره).

إعداد: الدكتور محمد جواد الطريحي.

إشراف العام: اللجنة التحضيرية

التدقير اللغوي: هاشم الصفار.

الإخراج الطباعي: علاء سعيد الأسدی.

التصميم: محمد قاسم عرفات.

- الطريحي، محمدجواد محمدكاظم كاتب، ١٩٥١ -
- موسوعة العلامة الشيخ محمد رضا المظفر قدس سره / تاليف الدكتور محمد جواد الطريحي. - الطبعة الاولى -  
[كريل، العراق] : العتبة العباسية المقدسة؛ مؤسسة بحر العلوم الخيرية، ١٤٣٧ هـ = ٢٠١٦ م.
- ١٠ مجلد : صور ٤٤ سم. (الحوزة العلمية رائد التجديد)
- المصادر.
- المحتويات : المجلد ١. المجتهد المجدد الشيخ محمد رضا المظفر (١٣٨٣-١٣٢٢ هـ) -- المجلد ٢. عقائد الإمامية --  
المجلد ٣. شرح كتاب المكاسب للشيخ الانصارى : البيع والخارات / اعداد وتحقيق جعفر الكوثاني العاملى --  
المجلد ٤. أصول الفقه -- المجلد ٥. المنطق -- المجلد ٦. الفلسفة الإسلامية / اعداد السيد محمد تقى الطباطبائى  
التبريزى -- المجلد ٧. سير وترجم نجفية -- المجلد ٨. من وحي الفكر : مقالات . خطب . دراسات . حوارات --  
المجلد ٩. ديوان الشيخ محمد رضا المظفر (١٣٨٣-١٣٢٢ هـ) / محمد رضا القاموسى -- المجلد ١٠. البحوث  
المشاركة في المؤتمر الدولي حول التجدد في فكر الشيخ محمد رضا المظفر (قدس سره).
١. المظفر، محمدرضا بن محمد بن عبدالله، ١٣٢٢-١٣٨٤ م - سند وتقدير. ٣. العلماء المسلمين - الشيعة الإمامية - ترجم.
- محدث رضا بن محمد بن عبدالله، ١٣٢٢-١٣٨٤ م - سند وتقدير. ٣. العلماء المسلمين - الشيعة الإمامية - ترجم.
- الف. العنوان. ب. السلسلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَوْلَانَا مُحَمَّدٌ سَرْطَانُ



## مدخل

بسم الله الرحمن الرحيم

يجد الدارس لشخصية الشيخ المظفر أن له مساهمات جادة في إطار الصحافة والإعلام الذي شهد عصره بقدر واسع ولذلك أسباب منها أن العراق في مرحلة الثلاثينيات بدأ يستعيد عافيته بعد أن أُعلن عن تأسيس الدولة العراقية ومهدت الأحداث التي تلاحت بعد ذلك تطلعات العراقيين إلى تغطية الواقع الثقافي بمعطيات رائدة لبناء كيان فكري يتناسب مع أهمية التغيرات السياسية والإدارية الجديدة لتشييد بنية راسخة في تقويم الشخصية العراقية تحمل التطلعات النهضوية ومواكبة التطور الذي أصبح يتطلع إليه العالم العربي والإسلامي خاصّة حين أُسدل الستار على معلم التبعية العثمانية لأقول نجمها بعد أن رزحت الشعوب الشرقيّة للسلطة الاستبدادية لقرون طويلة.

ثم أن إعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ م كان له الأثر في خلق نخبة تتطلع إلى رؤى الحرية والاستقلال ولا بد لهذه الطليعة أن تمارس دورها على مستويات متعددة في مقدّمتها التعبير عن طموحاتها بما تتجه من لبناء أفكارها في الخطاب والمقالات وإصدار النشرات والمجلات والكتب وانعقاد المنتديات وغير ذلك من الوسائل التي تردد الوعي العام للمجتمع وتغيّي الساحة بإثارة الشعور الوطني لبناء منظومة معرفية



من القيم والمثل العليا والأفكار الخيرة النابعة من عمقها التاريخي<sup>(١)</sup> وتأثير تبنيها باعتزاز وفخر لرفع راية التراث العلمي للشريعة والفكر الإسلامي.

وفي إطار ذلك كان لمدينة النجف الأشرف مكانتها وصدى صوتها المدوّي بالنظر لما تحتلّه من كيان علمي ومرجعي باعتبارها تعدّ عاصمة العلم والفتيا والقيادة الروحية لأتباعها من الشيعة الإمامية في العراق والعالم - فضلاً عنمن يتفق مع مواقفها ويشاركها الرأي من الطوائف والديانات الأخرى<sup>(٢)</sup> - ولما سجّله تاريخها القريب في صنع القرار لجمل الأحداث والمواقف في عالم الثقافة والأدب والسياسة وما يستجدّ من مبادئ وصيغات ومذاهب فكرية فهي بذلك تعدّ (المدينة الجامعية) على مستويات محلية وقطريّة أو دولية.

وقد تهيأً للشيخ المظفر أن يبدأ المرحلة المبكرة من حياته في الثلاثينيات من القرن

(١) تمتاز النجف بأنها مدينة التنوع الحضاري نتيجة ما تعاقب على أرضها من الأجناس والأعراق قبل الإسلام وبعده ورحم الله الشيخ الوائلي إذ يقول:

ينام غمار مهمل وقياصر	في أيها الوادي الذي برماله
فلخصت الأجيال تلك الحفائر	تکور فيه كل جيل بحفرة
ومن مات من أمس فكل دواشر	بها يستوي من مات من عهد آدم
ركائب أجيال تيممن ماجدا	يؤمّل جدواه مقىم وزائر

أنظر كتاب ديارات، محمد سعيد الطريحي، الطبعة الثالثة هولندا ٢٠١٠. النجف الأشرف إسهامات في الحضارة الإسلامية، لندن، بوكل إكسترا ٢٠٠٠.

(٢) تراجع المصادر التي غطت أحداث حركة الجهاد ١٩١٤ - ١٩١٧ وما تبعها في ثورة العشرين من التحام الشعب العراقي بكل طوائفه وأديانه وقومياته والمشاركة الفعلية في جبهات المواجهة العسكرية لرد عادية الاحتلال الإنكليزي للعراق.

ولا ينكر موقف المرجعية الدينية في النجف لتعضيد ودعم حركات التحرّر في المغرب العربي وفلسطين وكل الحوادث المفجعة التي تطال العالم الإسلامي من حيف وتعسّف وإرهاب قدّيه وحديثاً كما تشهده ساحة الدفاع المقدس اليوم في بلادنا من الاستجابة لنداء المرجعية في النجف وللقارئ أن يطلع على ما كُتب في هذا الباب وهو كثير لا يسعنا الإفاضة به الآن.

الماضي وينطلق ليدخل مضماره في العطاء فيجد أن الفرصة مؤاتية أمامه لاقتناصها بمستوى التعبير عن أفكاره وطموحاته في مواكبة التطور وطرح الفكر التجديدي متسلحاً بإيمانه العميق ومنهجه الرائع الذي أعدّه بحنكة وتوذة في خطوات متزنة هادفة لتحقيق ما يصبو إليه.

وَمَنْ يَتَحَرَّ بِدُقَّةٍ وَيَقْرَأُ بِإِمْعَانٍ مَقَالَاتَهُ الْمَشْوَرَةَ يَجِدُهُ لَا يَعِيشُ التَّرْقِّبَ بِقَدْرِ مَا يَقْدِمُهُ بِصَرَاحَةٍ مَتَنَاهِيَّةٍ وَبِقُوَّةٍ مَا يَعْرُضُهُ مِنْ أَفْكَارٍ وَمَتَبَيِّنَاتٍ كَانَ قَدْ طَرَحَهَا عَلَى صَفَحَاتِ الصَّفَحَاتِ وَالْمَجَالَاتِ إِضَافَةً إِلَى مَا يَلْقَيْهُ مِنْ بَحْثٍ وَخُطْبَةٍ فِي مَنَاسِبٍ وَمَؤَمِّنَاتٍ تَصْبِحُ فَحْواهَا فِي إِغْنَاءِ الْمَهْدِفِ الْأَسْمَى لَهُ فِي الإِصْلَاحِ وَالتَّجَدِيدِ وَبِنَاءِ أَسْسٍ قَوِيمَةٍ لِحَرْكَةِ الْيَقْظَةِ فِي تَلْمِسِ الْحَالِ الْحَاضِرَةِ الَّتِي يَبْتَنِي عَلَيْهَا الْمُسْتَقْبَلُ الْعَلْمِيُّ وَالْاجْتَمَاعِيُّ لِلْأَمَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ عُمُومًاً وَلِلْجَامِعَاتِ الْدِينِيَّةِ خُصُوصًا<sup>(١)</sup>.

ولو دلفنا إلى عالم الصحف والمجالات النجفية لوجدنا إحصائية واسعة وصل عددها منذ عام ١٩١٠ م حتى الثمانينيات يقارب أكثر من الخمسين منها إلى وفاة الشيخ المظفر حدود الثلاثين وقد بلغت مساحة ما شارك به منها تصل إلى حدود ٦٠٪<sup>(٢)</sup> إذا أضفنا لها ما نشره في الصحافة غير النجفية في العراق وخارجها وقد تضمنَت مواضيع تربوية وإصلاحية وعقائدية واجتماعية وفكرية وغيرها إلّا أن القارئ الكريم عندما يطلع عليها يجدها تتصف بطابع سلاسة التعبير وطرح المعالجات بطريقة جذابة كما يكتشف أن الشخصية المظفرية حاضرة أمامه تشاركه. ومن الأمور الواضحة جدًا أنه كثيراً ما يستعمل كلمات وألفاظ في غاية البلاغة لأداء المعنى المقصود والغاية التي يسعى

(١) أنظر (سير وترجم نجفية وأحلام اليقظة) فقد عالج بها مسائل مهمة ونبه إلى مباحث تحمل طابع الجدة وال موضوعية.

(٢) ولصحيفة الهاتف النصيف الأوفر ولم نستطع أن نحصل على تمامها بسبب عدم توفر الأعداد المطلوبة.



إلى بلوغها كما اتصف أسلوبه بأنه سهل التناول بلية العبارة مشرق الديباجة.  
هذه إضماماً مختصرة نقدمها للقراء مع الاعتذار عن عدم إيفاعنا بحق دراستها  
بسبب سرعة الإعداد لها في إصدارها مع الموسوعة لتقع بيد الباحثين.

داعيا الله العلي القدير أن يوفق في المستقبل لدراسة معالم فن المقالة عند الشيخ  
المظفر والإفاضة بما تضمنته من ملامح حركته الإصلاحية فيما وشحه قلمه الرائع إنه  
نعم المولى ونعم النصير.

محمد جواد الطريحي

١٤٣٧ ربى الأول

٢٠١٦ / ١ / ١

## محاضرات

### في آي القرآن الكريم<sup>(١)</sup>

---

(١) كتب الشيخ المظفر تقدمة لهذه المحاضرات بما يلي:

تألّفت في النجف الأشرف جماعة لإلقاء محاضرات لتفسير القرآن الكريم تجتمع كل يوم مرة في إحد النوادي العلمية النجفية ويلقي واحد منهم محاضرته، وقد شرعوا من أول الكتاب على الترتيب الواحد تلو الآخر وأنا أنشر محاضراتي الخاصة بي على ما فيها من التقاطع مستمدًا من الله المعونة. والمعروف أن بعض الجماعة الذين شاركوا معه في هذه المحاضرات هما المرحوم المقدس الشيخ صادق القاموسي وسماحة آية الله المرحوم السيد يوسف الحكيم طيب الله ثراهما.



## الحاضرة الأولى في فاتحة الكتاب<sup>(١)</sup>

### تسمية السورة

الفاتحة أو الحمد أو أم الكتاب أو القرآن العظيم: هي فاتحة الكتاب العزيز وابتداؤه من حيث الوضع وفي مفتتحها الحمد له سبحانه بعد البسمة إيداناً بمطلوبية هذا الابداء وتعلیمًا للمسلمين في استفتاح صحائفهم حتى وصف النبي ﷺ كما ورد في الأثر.. كل أمر ذي بال لم يبدأ بالحمد بالأقطع، ووصف الذي لم يبدأ بالبسملة بالأبتر<sup>(٢)</sup> مع ما فيه من التنبيه على استحقاقه سبحانه للحمد مع ماله من قدرة واسعة ورحمة باهرة دائمة وملك واسع ولفت نظر العبد إلى أن حمد الخالق وشكره أول واجب يفعله وأهم شيء يتعلّمه لأن الحمد أساس الطاعات وحقيقة العبادات فله ولتحقيقه رغب فيها وهو غاية الغايات ومتىهى المقاصد. فالمتضمن للحمد عمدة ما في الكتاب وكل أمر ونهي تابع له وعنده يتفرّع فكانت السورة فاتحة للكتاب، أم الكتاب، وأم الشيء عمدة وأصله فهذه هي أسرار تسميتها بالفاتحة والحمد وأم الكتاب والقرآن العظيم.

### البسملة جزء من السور

البسملة جزء من هذه السورة وآية من آياتها بل ومن آيات كل سورة ما عدا سورة براءة على ما نطق بها أحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام لا كما قيل أنها خارجة عن

(١) نشرت المحاضرة الأولى في مجلة الرضوان السنة الأولى العدد الخامس في شهر ربيع الثاني سنة

١٣٥٤ هـ.

(٢) الأبتر: هو مبتور الذنب وفيه تشويه للخلاق أكثر من الأقطع: مقطوع اليد وتشبيه الأثر ذي البال بالأبتر والأقطع إذا لم يبدأ بالبسملة والحمدلة لأجل تشويهه ونقصان فائدته واختلاف التشبيه إشارة إلى أهمية البسمة فقدم. (منه)



السور جميعها يؤتى بها تبرّكاً على حد الاستعادة من الشيطان وهذا البحث نتيجة فقهية في الصلاة هي وجوب قراءة البسمة وعدمه وتوسيع بعض علمائنا (طاب ثراهم) في البحث فيها لو قرأ المصلي البسمة لسورة وعدل عنها إلى أخرى فألزموا بإعادة البسمة للثانية اعتقاداً منهم على أن للينية دخلاً في تعين البسمة للسورة التي نوافها لها فالتي قرأها آية من المرجوع عنها ولو لم يأت بها ثانياً لم تكمل السورة الثانية، وفيما عندي أن هذا توسيع محبوب فيها إذا قرأ آية أو أكثر غير البسمة ثم عدل عنها دون ما إذا لم يقرأ إلا البسمة أصلًا<sup>(١)</sup>.

### معنى البسمة

معنى البسمة الاستعانة بالاسم وهو لفظ (الله الرحمن الرحيم) والابتداء به متى ممّا أو مستعيناً، والظرف مستقر قائم مقام المتعلق به إنما هو للمعنى لا للفظ وقرينة المقام كافية في الدلالة على نفس المعنى، فالمقدّر يكون معنى مستعين أو ابتدئ وليس هو استعينوا أو ابتدئوا بأنه لا يناسب ووضع البسمة في ابتداء الكلام في غير الكتاب العزيز فإن الكاتب أو المتكلّم إنما يتكلّم عن نفسه وهو المبتدئ لأنه يأمر غيره بالابتداء أو الاستعانة وهكذا أيضاً في الكتاب العزيز فإنما جعله الله سبحانه على لسان النبي والناس المستعين له تعليمًا وتدربياً ليقرؤوه، فالقارئ هو الذي يبتدىء ويستعين بتلاوة البسمة كما أنه هو الذي يستعيد من الشيطان فلا بد أن يقدر ابتدئ أو استعين.

ويصبح أن يكون المقدّر أيضًا ابتدائي أو استعانتي ولا أرى وجهاً للاعتراض عليه

(١) لأن الجزء الخارجي دائمًا إما أن يكون جزءاً ويتصف بالجزئية إذا انضم إلى باقي الأجزاء ولو إلى بعضها دون ما إذا لم ينضم إلى واحد منها ولا مدخل للقصد فيه. بداعاه أنه لما كان هو جزءاً خارجياً لم يركب اعتباري خارجي فلابد أن لا تحصل صفة الجزئية الخارجية إلا بعد الانضمام إلى باقي الأجزاء خارجاً لما هو معروف أن انتزاع الجزئية في مقام انتزاع الكلية إذ المتسايمان متكافئان قوة وفعلاً نعم إذا درج الجزء وحده يكون له شأنية الجزئية أي يكون جزءاً بالقوة كما أن الكل حينئذ كل بالقوّة.. (منه)



بأنه يحتاج إلى تقدير زائد فيه تكليف نحن في غنى عنه.

لما تقدّم أن التقدير للمعنى لا للفظ الابتدائي وابتدىء معناهما واحد إنشاء الابداء كاستعين واستعانتي معناهما إنشاء الاستعانة والغرض من التعبير باللفظ في مقام التقدير هو التعبير عن ذلك المعنى المقدر معنى والكل واف بتأديته.

ثم أن إضافة الاسم إلى (الله) إضافة بيانية إذ الاسم هو لفظ (الله الرحمن الرحيم) فتكون معنى الاستعانة بهذه الأسماء الاستعانة بذكرها. وإن قيل أن الاسم صلته وأن الاستعانة مستندة إلى ذات الله أي إلى المسمى تعالىت أسماؤه.



## المحاضرة الثانية في الحروف المصدرة بها السور<sup>(١)</sup>

الم

آية مستقلة بالاتفاق، والكلام في الحروف المصدرة بها السور لا يشبه الكلام في تفسير سائر الآيات، فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وهذه أسماء حروف يتتألف منها الكلام العربي وغيره، فليس لها ظاهر بل ولا باطن له طريق من نفس اللفظ، وليس الكلام الذي يتعلّم منها الكلام وإنما هي أسماؤها فالألف مثلاً اسم الحرف هو هي الحروف التي يتعلّم منها الكلام وإنما هي أسماؤها فالألف مثلاً اسم الحرف هو الجزء للكلام إذا أريد أن ينطّق به على حقيقته يقال (آه) بهاء السكت، وهذه الآية (ألف لام ميم) أسماء للحروف المتركّب منها الكلام فلا تدلّ إلاًّ على تلك كل المسمّيات، هذا ظاهرها وهذا باطنها وإذا كان لها معنى آخر فذلك خارج عن الدلالة اللفظية فلا تكون هذه إلاًّ رموزاً عليه وألغازاً فيه. فلذا كانت من المشابه كما ورد عن أئمتنا الأطهار عليهم السلام، ولا طريق لنا إلاًّ ما وصل من أحاديثهم الشريفة الثابت صحتها والتفسير التي لفقت لا تسمن ولا تغني من جوع.

نعم شيء واحد نستطيع أن نفهمه هو جهة إعجاز ذكر هذه الحروف بها هي حروف أو شبه إعجاز، وإن كنّا عاجزين عن إدراك معانيها الرمزية إلاًّ عن طريق أهل الحق.

### اعجاز الحروف المقطعة

وذلك الإعجاز أو شبيه الإعجاز: أنا نراها في مجموع سور نصف حروف الهجاء «١٤» حرفا هي: الألف، الحاء، الراء، السين، الصاد، الطاء، العين، القاف، الكاف،

---

(١) مجلة الرضوان السنة الأولى العدد السادس في جمادي الأولى / ١٣٥٤ هـ.



اللام، الميم، النون، الهاء، الياء. ومجموع حروف المجاء (٢٨) حرفاً أو (٢٩) حرفاً مع الممزة، وفيها نصف من كل نوع من أنواع الحروف وفيها نصف المهموسة المجموعة في (ستشندك خصفيه)، ونصف المجهورة خلاف المهموسة. وفيها نصف الشديدة المجموعة في (اجدك قصبت)، ونصف الرخوة خلافها وهكذا إلى آخر أنواع الحروف فإن كان عدد الحروف أحد الأنواع فردياً يؤخذ نصفه الأدنى والأعلى إذ لا يمكن الكسر فيها وفيها نكات أخرى من بعض قواعد تركيب الكلمات ويحتاج الاستقصاء في بيان هذه الأمور إلى وقت متسع نرجوه إلى فرصة أخرى وهذه الدقة ومراعاة هذا الحساب مما يعجز عنه الأديب الفائق في فنه.

وفي تعداد هذه الحروف أيضاً تنبية لطيف على أن هذا الكلام المنزلي والقرآن المعجز ليس مركباً لا من حروف يتراكب منها الكلام العادي وتنظيم منها اللغة العربية فلو كان من غير الله تعالى لما عجز البلغاء عن مثله والفصحاء عن نده مع اشتراهم في المعارضة وتظاهرون على النبي الكريم ﷺ وهم أهل الفصاحة والبلاغة وأهل الفن والإبداع.



### المحاضرة الثالثة في المنافقين<sup>(١)</sup>

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

ذكر الله تعالى المؤمنين فخصهم بالهدایة والإيقاظ بالكتاب العزيز وأثنى عليهم إعلاً لشانهم وترغيباً في اتباعهم ثم ثنى بالكافرين مؤيساً من إقناعهم ناقماً على تمرّدهم موعداً بالعذاب العظيم، وثلث بالمنافقين المذنبين بين أولئك وهؤلاء ابتداء من هذه الآية الكريمة فأفصح عن حالمهم وصخر بصنعيهم وأطال تبعيدهم وتنبهأ للMuslimين على تغلغلهم فيهم، أولئك هم أعظم خطرًا على الإسلام وأمضى شفرة على المؤمنين فاستلتفت الأنوار إليهم بلطف تعريض وحسن تقرير، إذ حكى نفاقهم وبدعواهم الإيهان والله وبالاليوم الآخر، وهم ليسوا بالمؤمنين.

فجھلهم بـ(من) الموصوفة، من غير أن يشير إلى معينين، شأنـ(من) النكرة الموصوفة والمعنى. بعض من الناس يقول آمنا أو ناس يقولون.

وفي التنکير والتتجهيل من الإبداع في التعريض ما لا يقوم به التعريف والتعيين، ذلك دلالة على وجود صنف من الناس غير محصور ليكون المسلمين في حذر دائم من بطشهم والمنافقون أنفسهم على خون من انكشاف سرّهم وافتضاح سوء مناويهم فيرتدع من كفر عن النفاق ويقف على حد الصراحة وهي إحدى الراحتين وصاحبها متّقي شره، والناس من غوائله في حذر والتدرجيل والمداجاة في كل شيء خطب يدع الناس في خبك وشماس وتلون واعتراض موضع الضلاله ومفازة حالكة بديجور من

(١) نشرت في مجلة الرضوان السنة الأولى العدد السابع، جمادى الثاني / ١٣٥٤ .

(٢) البقرة : ٢ .



الجمل وبهذا كان المنافق بالإيمان أعظم ذنباً من الكافرين جامعاً بين الكبيرتين كبيرة الكفر وكبيرة النفاق.

ومع ما في التجھيل من استهلاك لقوب المنافقين وتخدير لأعصابهم فيه أيضاً الإھمال لهم والإغفال لشخصياتهم حتى لا يعرفوا بين الناس فتكثر اتباعهم وتقوى كلمتهم وفي هذا حکمة اجتماعية خطيرة فإن في الشهرة من الأثر على النفوس فوق كل دلالة ومنطق وفهمهاً أكبر دعاية لآراء أصحابها وأعماله.

وإنما خص متعلق الإيمان بالله وبالیوم الآخر، فمع كونه حکایة عن حالم، هو کنایة أيضاً عن تصدیق الرسول، مضافاً إلى الإيمان بالله. فإن لازم التصدیق بالرسالة التصدیق بما أخبر به المرسل والإسلام بشهادتين شهادة الوحدانية وشهادة الرسالة فتكون إعادة الباء إشارة إلى هذا المعنى.

#### وما هم بمؤمنين

لهمَا أخبر الله سبحانه عن قولهم آمناً كان مقتضى سياق الكلام أن يكذب دعواهم التي قالوها. ينفي أهل آمنوا، ولكنه تعالى أنفني أنهم مؤمنون فعلق النفي بالفاعل لا بالعقل تأكيداً لتكذيبهم ولو سعى في إبطال دعواهم فإن فيه نفي ثبوت صفة الإيمان لذوات أنفسهم شأن اسم الفاعل الدال على الثبوت وهو أوسع من نفي حدوث الإيمان وأكّد كما هو شأن معنى الفعل أعني الحدوث.

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>

يخدعون يطلبون الخدعة ويحاولونها لا بمعنى يخدعون فيقال خادعة فخدعه فاخدع، وهؤلاء المنافقون يخدعون بإظهارهم الإيمان وإبطالهم الكفر كأنهم يحاولون



بجهلهم أن يخدع الله (تعالى عن ذلك) فيقبلهم مسلمين و يجعلهم في زمرة المؤمنين وهذه حاولتهم ضلالاً منهم لا تنافى أن الله تعالى علام بكل الخفايا محيط بجميع الكائنات، وإنما ينافيه انداده بالكذاب لا طلب خدعة جهلاً من الطالب و ضلالاً فلا حاجة إلى التأويل في الآية كما تكلفه المفسرون.

وما يشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يُخْدِعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُم﴾ فإن مفهوم أنهم لا يخدعون الله سبحانه والذين آمنوا وإن خادعوهم فأثبتت في صدر الآية المخادعة ونفي الخداع أخيراً ففيه التعبير من المخادعة إلى الخداع وهذا دليل على اختلاف معناها، وإنما فكيف يثبت الشيء ثم ينفيه، على أن اختلاف المبالي دليل اختلاف المعانى فأثبتت الخداع للمنافقين ونفاه عنه تعالى وعن المؤمنين، والله لا يخدع لأنه عالم بالسرائر، محيط بالضمائر والمؤمنون لا يخدعون لأنهم لا يؤثر عليهم اندادهم بهم لا يضرونهم شيئاً. فإن إظهار الكافرين للإسلام لا يزيده إلا علوًّا ولا يؤثر فيه إلا شوكة والخداع هنا كنایة عن لازمه وهو الضرر به المقصود من مخادعتهم هذه فأثبتته للمنافقين لحصول الأزمة ونفاه عن المؤمنين وعن الله أيضاً لانتفاءه فكانه قال (وما يضرّون إِلَّا أَنفُسُهُم).

#### المحاضرة الرابعة<sup>(١)</sup>

﴿أَوْ كَصَيْبٌ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلَمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَايَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمُؤْتَ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

وصف الكتاب المنافقين بما وصفهم، فأماط عن مكنونهم مدن التمويه، وضلّل أحلامهم وأماناتهم، ثم ضرب لهم مثلاً لسوء منقلبهم وخسارة تجارتهم بالمستوقد النار ليستضيء، فكان نوره ظلمة، والضياء ليلاً حالكاً، حتى استحقوا أن يكونوا الصم البكم العمى، لا يؤمل رجوعهم إلى حظيرة الهدایة، ولا ترجى لهم بصيرة بعد العمى. هكذا أمر علينا من آيات القرآن المجيد ما فيه مقنع لتضليل المنافقين وتهجينهم بذلك المثل البديع، ثم أراد سبحانه في هذه الآية أن يمثلهم بصورة ثانية شوهاء ساخراً بجهلهم، وكاشفاً عن السر في نفاقهم وتمرّدهم على الحق.

ففي الآية الأولى كان يمثلهم تعالى بالمستوقد النار حيث طلبوا الإسلام، وتحذّلوا زندد الاستضاعة بنوره، فلماً أضاء لهم، وفتح لهم باب الهدایة ورتاجها للدخول فيه، عموا عن الحق وضلّوا فذهب الله بنورهم وأعمى قلوبهم وتركهم وشأنهم في ظلمات الجهل يتخبطون!

أما هذه الآية فيريد فيها أن يمثلهم حيث أعنفو الإسلام، وتركوا مواهبه العميقة وأياته النيرة، ولماذا تركوه وصمموا عن آياته ومواعظه. فيجيب أن نوضح الآية، فنقول: لا شك أن الإسلام وافرة خيراته عمييم النعماء، وهو يصرّح بأعلى صوته داعياً إلى الحق

(١) نشرت في مجلة الرضوان، السنة الأولى العدد التاسع، شعبان المعظم / ١٣٥٤ .

(٢) البقرة: ٢٩



نذيرًاً من يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، فانتحله المنافقون لخирه الوافر، ولكن لدعوته إلى السعادة بإعلاء كلمته اتبذوه فصيًّا، عجزًا عن منازلة الشدائِد ولا صطبار على مقارعة الخطوب، ثم بعد ذلك حذا لأهله وشأننا، فصمموا عن صوت الحق تعالى، وتغافلوا عن استماع زواجه ونواهيه ووعيده بالعذاب خوفًا من أليم العقاب وعاقبة الخسنان، فكان تصامهم جهلاً منهم لا يغيّرُهم في يوم الجزاء فليًا.

فشأن الإسلام معهم وشأنهم معه يمثله: ما لو تلبد السحاب مرخيًاً عزاليه بخيرات الأرض، ليجعل من كل شيء حيًّا، ومع ما له من هذه البركات فيه ظلمات تلازم تلبد السحاب، ورعد وبرق لا ينفكان عن صوب الأمطار. والطائش بجهله غير الموطن نفسه على احتمال الشدائِد لتحصيل وفره ومغنته، يرتعد خوفًا من أهوال أصواته، تخيل له من فرط اضطراره سيفر عن نوازله، فيضع أصابعه في أذنيه ابعادًا هول المصائب من حذر الموت. ولأنَّ كان ما يخافه حقًاً وواقعاً، فيحتلُّه الباردة وفراره إلى ضلال، وهو محيط به مهما حاول الهجران لا يستمع لتلك الصواعق والأصوات المأهولة. وذلك كمن جأ إلى الفرار من الأسد بسد عينيه عن روبيته، أو أذنيه عن استماع زعقاته. هكذا كان المنافقون اتجاه الإسلام وأياته، فهو لهم صيَّب فيه لهم الخيرات ويدرِّ عليهم بالبركات فيطعمون فيه، ولكن يعافنه لشدائده ويضمرون له لسوء حسدًا وبغضًا، فيتغافلون عن استماع مواعظه، والالتفات إلى زواجه ووعيده الشبيهة بعصف الرعد في شدة وقوعه على الأسماع، تخوّفًا من العذاب وأليمته، وفيه ظلمات مخيفة، تلك سبمه الكأداء إلى الحق، والحق مر إلَّا مَنْ ذاق حلاوته وعرف نصيحة وتدوّق سلوكه. ولكن يا ترى أهلَّ كان تصاميمهم هذا وتغافلهم يجدهم نفعًا في الفراد عن عذاب الله الواقع وناره الحامية! ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾. هيئات ثم هيئات. فما أبدع هذا التمثيل وأوقعه في النفوس، إذ شَبَّهَ الإسلام بالصيَّب وشَبَّهَ زجره ووعيده بالرعد والبرق وطرقه المرة السولك

بالظلمات وشبه المنافقين التغافلين عن زواجره فراراً بمن وضع إصابعه في أذنيه لئلاً يستمع فراراً من الموت. وفي هذا التشبيه من الاهانة والتحقير ما لا يقوم به كل تمثيل.

### نظم الآية

ولعلّي الآن أوقفتك على حقيقة تركيب الآية وأسلوبها، وأنّ وقع القوم في حيص وبیص، فليس الغرض تشبيه المنافقين بالصيّب، ولا تشبيههم بأصحاب الصيّب على حذف مضاد، فإن كلّ هذا مما يفت بعضاً من البلاغة، ويضع من علو البيان، وإنما التشبيه. كما أعتقد لمجموع القضية الواقعية بمجموع قصة المثل المضروب وذكر الصيّب وما يلحق به، كتمهيد للمقصود من الملل، وهو بيان حال فرارهم من العذاب تصامّهم عن استماع الموعظ الزاجرة وتركهم التدبر في الآيات المنذرة، تلك السخرية المضحكة، ولابد لبيانها من هذا التمهيد.

ولما ذكر سبحانه ذلك التمهيد الذي هو أحد أجزاء المثل أو شرط فظه عدل عن تتمة المثل بذكر حالة المثل إيجازاً أو إبداعاً. كالآية السابقة. ليبيان ووجه السبه، مستغنىً عن ذكر تمام المثل، فاستعار لغافلهم جعل الأصابع في الآذان تمثيلاً حسياً لتصامّهم وجرياً على المثل المضروب، مشبهاً الزواجر الإلهية بالصواعق، والعذاب الواقع بالموت (والصواعق هي الرعد القاصفة والأصوات المرّوعة) كل ذلك تمثيلاً للمثل بصفة أخرى هي للمثل ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي بعذابه لا لوازاً معتصم، والذي يشعر بأن المراد الإحاطة بالعذاب، تخصيصها بالكافرين، والموت ما يقوله البعض لا تصاب لربهم.



### المحاضرة الخامسة<sup>(١)</sup>

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيَاثِيقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

هذا وصف للفاسقين في الآيات المتقدمة، الذين حصر الضلال بهم، والغرض منه تعريف الفسق ببيان أسبابه، وذكر أشياء ثلاثة.

نقضهم لعهد الله من بعد ميثاقه. النقض النكث ضد العهد وضد الإبرام، لا نقىض بإبرام، فلا يصح النقض إلاّ لما كان مبرماً، وليس خاصاً بنقض الجبل وحل فتلـه، حتى يكون هنا استعارة. كما قيل، بإبطال كل ما هو ثابت مبرم نقض له، ويقابلـه العهد، فكلـ ما ذكر له من معنى مرجعـه واحدـ هو ضدـ النقضـ، وأقربـ ما يعبرـ به عنه هو الإبرـامـ، فـعـهـدـ الـوـصـيـةـ إـبـراـمـهاـ، وـعـهـدـ الـإـمـارـةـ إـبـراـمـهاـ لـلـمـوـمـرـ وـالـتـقـدـمـ لـلـمـرـءـ فـيـ شـيءـ إـبـراـمـهـ، إـلـىـ غـيرـ ماـ ذـكـرـ مـنـ الـمعـانـيـ: كـرـعـاـيـةـ الـحـرـمـةـ وـالـأـمـانـ وـالـذـمـةـ وـالـيـمـينـ. وـالـمـرـجـعـ وـاحـدـ وـاـخـتـلـافـ فـيـ خـصـوـصـيـاتـ الـمـوـارـدـ، فـأـجـدـرـ بـهـ أـنـ يـكـوـنـ مـنـ بـابـ أـشـيـاءـ الـمـفـهـومـ بـمـصـدـاقـهـ، فـيـ كـلـ مـنـ مـفـهـومـيـ الـنـقـضـ وـالـعـهـدـ.

والـعـهـدـ بـهـذـاـ الـمـعـنـيـ (أـوـ الـمـعـانـيـ) إـنـهـ يـكـوـنـ مـنـ شـخـصـ لـآـخـرـ، كـمـ يـفـهـمـ مـنـ مـظـانـ اـسـتـعـمالـهـ، فـنـجـدـهـ هـنـاـ يـفـارـقـ مـعـنـيـ الـإـبـراـمـ، وـهـذـاـ شـأنـ مـعـانـيـ الـأـلـفـاظـ، إـنـهـ تـفـسـرـ لـتـقـرـبـ مـعـانـيـهـ إـلـىـ الـأـذـهـانـ، مـنـ دـوـنـ أـنـ نـقـفـ عـلـىـ حـقـيـقـةـ الـمـعـنـيـ بـتـفـاصـيـلـهـ وـلـذـلـكـ وـجـدـواـ مـعـنـيـ الـأـلـفـاظـ، لـيـرـتـكـزـ فـيـ الـذـهـنـ شـبـحـ لـمـعـنـيـ الـلـفـظـ، قـدـ لـاـ يـحـلـ مـحـلـهـ لـفـظـ آـخـرـ نـدـعـيـ مـرـادـفـتـهـ لـهـ،

(١) نـشـرتـ فـيـ مـجـلـةـ الرـضـوانـ، السـنـةـ الـأـلـيـ العـدـدـ الـعـاـشـرـ، رـمـضـانـ /١٣٥٤ـ .

(٢) الـبـقـرـةـ :٢٧ـ .

إن كان التعبير ليحصر إلاً عن تفسير أحد هما بالآخر، فنسبيهما التجاء مترادفين وهذا أمر يجده من تتبع اللغة العربية، وتذوق آدابها، وأنا زعيم لك إنك تصدقني فيما قلت، إذا ما تراجعت إلى لغاتنا الدارجة، وأردت التحقيق عن معاني الألفاظ، فتجد الباب - على أكثر - دونك موصداً، وإن كنت تحصن من نفسك أو تبادرك أن لكل لفظاً طابعاً خاصاً من المعنى في ذهنك لا يشاركه لفظ آخر قد نسميه - بالرغم من ذلك - مترادفاً معه.

وكل الذي أريده الآن أن لا تستنكر، إذا قلت لك: أن للعهد معنى ليس هو الإبرام، ولا أستطيع أن أعبر عنه إلاً بالعهد، لا أكثر ولا أقل، أما الإبرام فيتحقق من شخص واحد، والعهد - كما سبق - لا يتحقق إلاً بين شخصين من أحد هما بالآخر، فالحبل تبرمه، ولكن لا تعهد، ولا يصح أن تقول ذلك أبداً.

إذن، إضافة العهد إليه تعالى: إما لأنّه منه لعيده، وإما لأنّه له من عبيده. فال الأول كعهده سبحانه لهم بإقامة أدلة التوحيد والعدل والتصديق بالرسل، بخلق ذلك في عقوبهم، وإعطائهم قوة التمييز والإدراك، وكعهد وصية خلقه، على لسان رسوله، بما أمرهم به من طاعته ونهاهم عنه من معصيته، إلى غير ما هنالك من عهود عهدها الله تعالى لعيده.

والثاني كعهدهم له أن يناصر وارسوله، ويذبّوا عن مقدساته ويأتمروا بأمره ويتّهوا بنهيّه، وكعهدهم بيعه خليفة النبي ﷺ وطاعته حينها ولاه النبي ﷺ بأمر الجليل سبحانه يوم الغدير، إلى آخر العهود التي تفرض من العييد لله سبحانه. وعلى كلا معنيين تصح إضافة العهد إلى الله، فأما عهد من الله أو عهد الله، ونقضهم لكل هذا هو فسق وفجور، وخروج عن لباس العبودية. والفسق لغة: الخروج عن الحجاب. ثم لا مانع عن إيراد معنى عام لكل من المعنين المتقدمين للعهد، والإطلاق يقتضيه، فلا يختص بناحية



واحدة من العهود، كما جعله المفسرون لزاماً عليهم.

### «من بعد ميثاقه»

الميثاق: مصدر ميمي كالمعاد والميالد. والعهد يتضمن معنى الميثاق في الجملة، فبأي سؤال كيف يوثق الموثق؟ ولنا أن نجيب عنه بطريقتين:

١ - أن العهد يأتي بمعنى اسم المصدر وبمعنى المصدر فتقول للوصية: عهداً، وتقول: عهد الوصية، وبالمعنى الأول يعهد ويوثق، بمعنى إيجاده وإنشائه كما قيل: أتعهد عهلك، ومثله أوصي وصيتك -بـ- أن أعهد وإنْ كان متضمناً معنى الإبرام، لكنه تارة يجعل قابلاً للنقض، كما إذا لم يكن إبراماً محكماً، وأخرى لا يكون قابلاً له بجعله محكماً، ومعنى ميثاقه حينئذ جعله نافذاً أبداً، لا يصح عليه النقض، ونقض مثل هذا أشد ذنبًا وأكبر جرماً وكان ناقصه من «الفاسقين» المتمرّدين حقاً، فلذلك قيد سبحانه العهد المنقوض بقوله: (من بعد ميثاقه) تسجيلاً لذنبهم وتعظيمه عليهم.

٢ - قطعهم لما أمر الله تعالى به أن يصل. القطع: ضد الوصل وما موصول، يصح هنا أن تكون كنایة عن متعلق الأمر، أعني: الوصل لأنّه هو المأمور به، ولذا جعلوا أن يصل بدلاً عن ما، وأن يصل هو: الوصل ويصح أن تكون كنایة عن متعلق الفعل: كمال والرحم والجار: التي يتعلّق بها الوصل، فتكون جملة: أن يصل، بدل اشتغال من به، كقولهم: أعرفه حقه. وكقولهم أمر بالرجل أن يضرب عنقه، وأمر بالجار أن يكرم. ولا بد من هذا البدل، فإن الأمر لا يتعلّق بالأعيان الخارجية من دون تقدير فعل، كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُم﴾<sup>(١)</sup> المقدر فيه نكاحها مثلاً.

والأرجح في الآية إن لم يكن المعين هو الثاني، وفيها عندي إن هذا أمن تعبيراً. وأرضى أسلوباً، وإلا فالى مَنْ يعود الضمير في يوصل؟! كما أن إضافة القطع إلى الوصل ونسبته إليه لا تخلو عن بُعد وتكلف، فإن الشيء الموصول هو الذي يقطع، لا وصله.

ولي شاهد على هذا المعنى ما جاء عن أهل بيت العصمة، القرآن الناطق ﷺ، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾<sup>(١)</sup> قال أبو عبد الله عليه السلام: «وما فرض الله عز وجل في المال غير الزكاة فوله الذين يصلون» وروي العياشي عن سماعته، قال: سأله عن قول الله عز وجل: الذين يصلون... الآية، فقال: «هو ما افترض الله من المال غير الزكاة» وظاهر من هذين الحديثين أن (ما) كناية عن المال، وإلا فمن أين جاء ذكر المال؟! وما أدراك لعل المأمور به في كلتا الآيتين واحد، وهو ما ذكره الإمام عليه السلام فيكون الحديثان تفسيراً لآيتها هذه فتخص بالمال على النحو الذي ذكره الإمام، وما يدرينا أيضاً لعل غير الزكاة المأمور به في هاتين الآيتين: هو حقوق أهل العصمة على العباد، المغتصبة بظلم أهل الضلال الفاسقين!!، ولفظ الأمر ظاهر في الوجوب، وجعل مخالفته سبباً للفسق قرينة عليه أيضاً.

٣ - يفسدون في الأرض، بالفتن وتفرق الجماعة، و فعل المنكرات، مما يضر بالمجتمع الإنساني، ويفسد النوع البشري، وهذا أعظم الفسق وأكبر الذنوب عند الله تعالى، لأن به فساد غير الفاعل. ولا شك أن من اتصف بجميع هذه الصفات، فهو الخاسر في الدنيا والآخرة، ذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الرعد: ١٣. ٢١.

(٢) البقرة: ٢. ٢٧.



أهل البيت (عليهم السلام)





## عيُدُ المولِدِ النبوي<sup>(١)</sup>

السلام عليكم أيها المؤمنون

إن كل يوم تشرق فيه الشمس تشرق معها شمس محمد ﷺ من جديد، فكل يوم من دنيانا هو يوم ذكرى مولد نوره الساطع الذي يبهر العقول النيرة ويملاً النفوس الخيرية إيماناً.

ولئن تنادت أشرار الأرض وتصالحت ضلالاتهم على محق هذا النور الوهاج بكل ما هم من قوّة قاهرة وحيل ماكرة ودعایات فاجرة، فإنها لا تزيده إلا سطوعاً وانتشاراً وتلاؤاً وظهوراً ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَزِّلَ نُورًا وَلَوْ كَرِهُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وهذا من إحدى معجزات الإسلام الباهرة. ومن العجيب أن المسلمين - حتى المسلمين - أنفسهم أو الذين يخلو لهم أن يسمّوا أنفسهم بالMuslimين كانوا وما زالوا معولاً هداماً بيد أعداء الإسلام لنقضه وتهديم صرحة، وفي هذا العصر بالذات اتخاذ أعداء الإسلام في نشرهم لمنيّتهم الداعرة بين ظهرينا، اتخذوا من المسلمين وسيلة من أعظم الوسائل لهدمه ونقضه من الأساس فخلقوا منهم أعداء ألدّاء لدينهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون وما بعض المدارس عند المسلمين إلا مظهراً من مظاهر هذا التأثير المنطوي على الخداع والتمويه وثقووا - يا إخوان - أن الإسلام مع كل ذلك قد تحدّاهم وسيتحدّاهم إلى الأبد بقواه غير المنظورة، فيعلو بناؤه السامي ويتسامى نوره الساطع وتنتشر مبادئه الخيرية برغم الكافرين والملحدين والمستعمرين.

(١) خطبة المناسبة ألقيت في أحد الاحتفالات الكبرى المقامة في النجف الأشرف ونشرت في مجلة النجف الأشرف السنة الثانية العددان السادس عشر والسابع عشر.

(٢) التوبية ٣٢: ٩



وأقول (بقواه غير المنظورة) وأعني ما أقول، فإن المسلمين اليوم في جميع المعمورة أقل وأوهن من أن يحتفظوا بقوى الإسلام وكيانه أو أن يحسنوا الدعوة إليه. ولو أن غير الإسلام لاقى ما لاقاه من أعدائه من جهة ومن أتباعه المساكين من جهة أخرى لأصبح خبراً من أخبار كان، ينسى حتى ذكره ويطمس حتى اسمه، ولكن الإسلام يثبت وسيثبت أمام كل قوى الشر الظالمه التي لا تفتر عن محاربته بجميع الوسائل الماكنة الفاجرة ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup> وهنا أكرر القول أن هذه إحدى معجزات الإسلام القاهرة حقاً.

﴿وَالْعَصْرِ ۖ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

ألا ما أعظم خسران الإنسان: يرى الحق فيتعامى عنه ويتعارض له الخير فيحيد عنه، تراكمضاً وراء الشهوات، وانخداعاً بالشبهات.

لقد نادى القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة فتحدى البشر أربعة عشر قرناً بقوله: ﴿قُلْ لَّيْنَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

أبعد هذه الصرخة المدوية في مسامع الدهر والتحدي الصريح لجميع البشر شبهة لشتبه أو كلام لقائل؟ لماذا لا يجتمع أعداء الإسلام هذه المدة الطويلة ليأتوا بمثل هذا القرآن؟ وما جاء به الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب في محيط جاهل بدائي لا يحسن شيئاً من العلوم والمعارف. وهذا البشر المتغطرس الذي يناسب العداء للإسلام يملك من القوى ما لا يوصف في معارضه وعلومه ومخترعاته وفنونه.

(١) التوبة: ٩: ٣٢.

(٢) العصر: ١: ١٠٣ - ٢.

(٣) الإسراء: ١٧: ٨٨.

لماذا لا يجتمعون ليسكنوا صولة هذا القرآن الذي يتحدىّهم بصرىح القول هذه  
القرون المتباذلة؟ لماذا لا يجتمع على الأقل نصارى العرب وييهودهم وهم كثيرون  
ويimidّهم الغرب بيده وعلوّمه وسلطانه؟ لماذا لا يجتمعون فيأتون بمثل القرآن بدل  
أن يحاربوه بالأساليب الشيطانية من نحو الآباء اليسوعيين وجامعة بيروت النصرانية  
والمدارس التي يفتحونها هنا وهناك لنشر بذرة الإلحاد في أدمغة أطفال المسلمين  
ومجلات والكتب المضللة التي ملأوا بها الخافقين.

لماذا لم يجتمعوا فيأتوا بآية من مثله؟ إنهم عجزوا وسيعجزون؟ إن هذا هو برهان  
الله القاهر إنه الحجة الدامغة.

إذن لماذا لا يخضعون للحق بعد انبلاجه؟ إذن لماذا لا يعترفون بالأمر الواقع؟ إذن  
لماذا لا يؤمنون بالرسول والقرآن الكريم؟  
إنه التعصّب الأعمى وحب الشهوات وتقليد الآباء والرغبة بالدنيا عن الآخرة  
وبالظلم عن العدل والباطل عن الحق.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحُقْقِ  
وَتَوَاصَوْا بِالصَّيْرِ﴾<sup>(١)</sup> ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ  
فَصَلَىٰ ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحُيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالآخِرَةُ حَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) العصر ٢: ١٠٣ - ٣.

(٢) المؤمنون ١: ٢٣ .

(٣) الأعلى ١٤: ٨٧ - ١٧.



## الإمام علي معجزة الإسلام<sup>(١)</sup>

سادي

إن رجلاً كان في حياته وأطوارها معجزة الكون وخارقاً لما عرفه البشر واعتاده من عقريات ونبوغ.

حقيقة أنه يكون أعمدة القرون وما نسلت ومهوى قلوب الملايين وما انطوت وما حبنا لهذا الرجل إلاّ حب من رأى فيه الإنسان الكامل فعشق فيه كماله الإنساني ودرس في تأريخه الإمام العادل فهאם في عدل إمامته.

إنه الحق الصراح في كل ما لهذه الكلمة من معنى فجدير بعشاق الحق أن يصرّحوا لتمجيديه ويصرّخوا معلنين في تقديميه.

إنه المعجز في كل حياته وأطوارها لا ينحصر إعجازه في ناحية من نواحيه.

إنه المعجز في نشأته إذ يشب على الإسلام فيعتنقه بين الرجال اعتناق المتفاني المستهين بالموت وهو يافع متزوع والإسلام محارب حتى من أهله وعشيرته وقومه. وكل واحد يعرف عظيم أثر ذلك على الناشئ.

إنه المعجز في شجاعته التي لم يحدث تاريخ البشر الطويل عن مثلها يافعاً وشاماً وكهلاً وشيخاً يقهر كل خصم يصاوله ويهزم كل شجاع يقاتله.

إنه المعجز في فصاحته وبلاعته ولم يحفظ الإنسان غيره من خطب وكلمات بها حوت

(١) الكلمة التي ألقيت في دار العلّامة الشيخ محمد جواد السهلاوي، محلّة الجمهورية في البصرة، بمناسبة الاحتفال بميلاد الإمام علي عليه السلام وطبعت في كتاب ذكرى الإمام علي، مطبعة الآداب في النجف ١٩٦١ - ١٣٨١.



من أرقى ما يصله العقل البشري.

إنه المعجز في دينه وعقيدته وتصليبه وكم ضرب لها مثلاً رائعاً فيها ضحى بالدنيا وما فيها من اعتبارات في سبيل أن لا يتهاون بكلمة حق وإن ظن الناس في اعتباراتهم أنها صغيرة ولكنه لا يرى الدنيا بما فيها يقابل خطرها.

إنه المعجز في زهده وتقشفه وقدرّ عدّ مدرعته حتى استحبى من راقعها ولم يتخذ لبالي ثوبه طمراً وهو يومئذ ملك العالم والسيد المطلق لبلاد أقبلت الدنيا عليها بحذافيرها. إنه المعجز في عبادته وتهجّده ولم يفته أن يؤدي ورده من صلاة الليل في ساحة الحرب بين الصفين.

إنه المعجز في عدله وحكمه يساوي في العطاء والحكم بين القريب والبعيد والشريف والوضيع والصديق والعدو.

إنه المعجز في علمه وقد جاء بفنون من العلم و دقائق الفلسفة بما لا يمكن أن يأتي به شخص عاش في بادية جراء قاحلة من العلم والمعرفة والبحث والنظر ولو جاء أحد بما جاء به من جبابرة العقل الذين تربوا في بحبوحة العلم وأكبر جامعات العالم لكان مناراً للإكبار والتعظيم.

وأعظم معجزاته في نظري تجلّي أنواره وتعلق السيّار بقدسيته كلّا تقدّم الزمان وانتشرت المعارف والعلوم لاسيما في هذا العصر الذي افتتن أهله بالعدل الاجتماعي وافتتن الحق والحرية والإخلاص للمبدأ فإن هذا العصر يجد فيه المثل الأعلى الذي يستحق أن يكون معبوداً للجمّاهير.

وعقidi أن علي بن أبي طالب ﷺ هو نفسه أكبر معجزة خالدة للدين الإسلامي إذا تجاوزنا القرآن الكريم فإن رجلاً جمع بين الذكاء النادر والعلم والمعرفة اللتين بلغ بها الدرجة القصوى في صنف البشر إلى الشجاعة النادرة التي لا يهاب بها أحداً سوى



الله تعالى إلى المرأة الأدبية التي لا تأخذ معها لومة لائم أبداً منها عظمت. ثم بعد ذلك يكون له هذا الإيمان المطلق بالله ورسوله هذا الإيمان الذي لا يشوبه شك ولا يدانيه ريب. وهذا الإخلاص والتفاني للذان معهما صغر كل شيء في الدنيا منها جل وكبر.

إن مثل هذا الرجل لا يمكن أن يفرض فيه عدم التمييز بين الحق والباطل في الدين الإسلامي بما له من عقل جبار ومرافقته للرسول ﷺ من طفولته إلى أن شُبَّ إلى أن وارأه في ملحوظة قبره ولا يمكن أن يفرض فيه الجبن والخوف من إظهار عقيدته لو كان لا يؤمن بالرسالة. ولا يمكن أن يفرض فيه الطمع وحب الدنيا في كتمان شكه لو كان.

إن هذا الرجل بمجموع خصاله تكشف حياته كشفاً قاطعاً لصافي السريرة عن صحة العقيدة الإسلامية ورسالة نبيها الأكرم ﷺ إن موقفاً واحداً منه لو درسناه حق دراسته لكفانا اعتقاداً بأنه عبد الحق والأخلاق الإلهية عبودية مطلقة لا تشوبها مساهلة ولا يقلل منها تلکؤ عن أداء وظائفها على أكمل ما يفرضه إنسان لإنسان.

وكفى أن نتمثل موقفه في الشورى حينما طلب منه أن يباعي على شرط سيرة الشيفين فأبى أن يعد بما لا يرى الالتزام به وأصرّ على الامتناع كل الإصرار وترك أعظم منصب في العالم في سبيل أن لا يعمل خلاف الحق أو يعد فلا يفي بوعده. وكفى أيضاً أن نشهد موقفه في مبارزة عمرو بن العاص وبسر بن أرطأة لما كشفا عن سوأيتها هرباً منه فعفا عنها لكرامة الدين وحدها. وهم من ألد أعدائه والمؤليين عليه وكان يسعه أن يغض النظر ويفتكم بها. ولكنه أبى إلا الكرامة والخلق الرفيع والنيل الإنساني أما هما فأبيا إلا الصفاقة المخزية والفعلة الوضيعة.

وكفى أيضاً أن نقرأ موقفه المشرف مع معاوية وجنته لما احتجزوا النهر وأرادوا أن يقضوا على معسكره عطشاً وحينما كشفهم بحد السيف أبى إلا الترفع عن الدنيا ومعاملة الأنذال بنوع ما يرتكبون فأباحه لهم شهامة ونبلاً ويرهاناً على حسن نوایاه



الطيبة حتى مع أعدائه فسلام عليك يا أمير المؤمنين خالدًا ما بقيت الدنيا ومعجزة  
لإسلام ما طرفت عين ونقطت بنت شفة.  
سلام عليك وعلى الحق الذي أنت معه وهو معك.



### علي المثل الأعلى للإنسان الكامل<sup>(١)</sup>

لم يمض على البشر في جميع عصوره - فيما اعتقد - عهد كهذا العهد الذي نحن فيه، عصر يستيقظ فيه ضمير الخير وضمير الإنسانية النبيلة فيحب الإنسان أن يرجع فيه إلى فطرته السليمة الطيبة ونوازعه الكريمة.

أقول - وأنا واثق مما أقول - إن شبابنا المسلم اليوم متيقظ واعٍ وكله شعلة متوجهة في حب الخير والعدل والصدق والأمانة، عظيم الثقة بنفسه وبأمّته وبفطرته السليمة وسجيته الخيرة. وإذا كان بعض الناس يغلب عليه التشاوُم فإني - على العكس - لا أستشف إلّا الجانب المشرق في نفوس الشباب اليقظ الذي أصبح سجية الخير تتغلّب عليه والخلق العالي يستحثّه وروح التضحية متنامية فيه وتعقل الصالح العام رائدده.

أقول وأنا واثق مما أقول، إنني متفائل جداً بالروح العالية في أمّتنا المسلمة فقد ملّ الناس من الجور والظلم وسياسة الإذلال والإفقار والسيطرة والتحكّم والسلاح والحروب وأصبحوا يتطلّعون إلى كل دعوة للخير وكل هاتف بالعز والكرامة، بعد هذا التفاؤل أجد أن الوقت قد حان لأن تتقبّل القلوب في جميع بلاد الله دعوة الحق الصريح الخالص الذي لا يتمثّل كما يتمثّل في دعوة إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام التي هي دعوة الإسلام الخالصة الصريحة الصارخة إلى تنمية نوازع الخير في الإنسان وتزكيتها من الرذائل، والهاتفة بنا إلى الله تعالى التمسّك بصراطه المستقيم.

بل أصبحت النّفوس أرضاً خصبة لزرع تعاليم إمامنا وتوجيهاته للعدل والمساواة

(١) خطبة ألقيت في احتفال المولد العلوي بالنّجف بتاريخ ١٣ / شهر رجب / ١٣٧٨ .



والصدق والإخلاص والخلق الكريم والتهذيب الرفيع والتضحية في سبيل الواجب ولجميع القيم الإنسانية تلك التعاليم والتوجيهات التي هي رسالة الدين الإسلامي حقاً.

وما أعرق رجالاً حملته الأرض على ظهرها بعد نبينا محمد ﷺ أنزه وأحکم وأسلم وأعلم من إمامنا على بن أبي طالب ؓ في دعوته المخلصة الصادقة إلى خير البشرية وسعادتها لا يشوبها غرض وطمع ولا ضعف واستكانة ولا حقد وحيف ولا كبر وغطرسة ولا تحيز ومالأة.

وتجلية هذه الدعوة الخيرة وشرحها وكشفها للناس خير ما يعمله دعاة الإصلاح اليوم لتوجيه البشر إلى أرقى ما يصبوون إليه من بلوغ المثل العليا.

وإذا كان المسلمون فيها مضى من قرونهم الطويلة فدانتوا جانباً عن تلك التعاليم الإنسانية الراقية فالسر في ذلك أنهم تجربوا في تاريخهم الطويل على أيدي الظالمين الجشعين والمستغلين الفاسدين أنواع الغتصب والدواهي والآلام، حتى خدر الظلم نفوسهم وأوقرت أصوات المفاسد أسماعهم، وأفسد الأساس من العدل ضمائرهم وأنام الضغط عزائمهم فلا عجب إذا كنا لا نرى في المسلمين من أقدم العصور أثراً من تعاليم إمامنا إلاّ أصواتاً باهتة وأمثلة ضئيلة.

أما اليوم وقد استيقظ الضمير الإنساني كما قلت فحق أن تجد تعاليم إمامنا آذاناً صاغية، وقلوباً بحب الخير طافحة، ونفوساً إلى التكامل الإنساني توّاقة فقد أصبح بين الإمام وبين قلوب الناس وشائع تخلقها الطبيعة الإنسانية الخيرة المستيقظة إن قصر في خلقها التاريخ الطويل المظلم.

فمن هو من الناس لا يخفق قلبه شغفاً ويرفرف ضميره إصبعاً إلى ما يصف به أمير المؤمنين ؓ المتدين إذ يقول في علامات أحدهم (أنت ترى له قوة في دين وحزماً في لين



وإيماناً في يقين وحرصاً في علم وعلمًا في حلم يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل الخير منه مأمول والشر منه مأمون يغفو عن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه تراه بعيداً فحشه ليناً قوله غائباً منكره حاضراً معروفة مقبلًا خيره مدبراً شره. لا يحيف على من يبغض ولا يأثم في من يجب يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه لا يضيع ما استحفظ لا ينابز بالألقاب ولا يضار بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق. نفسه منه في عناء والناس منه في راحة بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة. ودونه من دنا منه بين ورحمة ليس تباعده بكر وعظمة ولا ذنوّه بمكر وخديعة.

هذه هي الأخلاق الكريمة الإلهية التي لوركت في إنسان لكان هو الإنسان الكامل في أعلى مثل الخير الإنسانية الرفيعة ولو أن الناس كلّهم أو أكثرهم أخذوا بهذه الأخلاق كما يريد أمير المؤمنين عليه السلام لكان البشر فوق ما يتصوره المصلحون ويتمناه المفكرون ولتبذلت الأرض غير الأرض ولعمت السعادة والأمن وهناء العيش والرخاء أصقاع الدنيا.

نعم لو قدر لدستور الإمام وهو دستور الإسلام حقاً أن يسود العالم لما أبنت الأرض ظالماً ومظلوماً ولأنمحي من قاموس لغاتنا كلمات العداوة والاستبعاد والفقر والذلة والكذب والبهتان والخداع إلى ما شئت أن تعبر من لفاظ الشر والسوء الفساد.

إن الإمام كان المثل الأعلى للإنسان الكامل في أقواله وأفعاله بل هو بملء عماله أقصى ما يمكن أن يفرض الكمال في المسلم المؤمن لا تجد فيه ثغره تؤخذ على الإسلام ولا هنات بل هو معجزة محمد عليه السلام الخالدة فإنه انصره فيه وذاب في دعوته واتصلت حلقات حياته كلّها بتاريخ الدعوة المحمدية فأفرغت قوالب كلّها أمثلة عليا للجهاد ونكران الذات والتضحية والتفوي والإيمان والزهد والعدل والإنصاف والصلابة والشجاعة والرحمة والإنسانية بأسمى ما يسعه التعبير عن هذه المثل العليا ومن أين



نبتدئ منها ننتهي إلى ما يدهش العقول ويحير الألباب فإن الصفات الكريمة تماسك فيه في سلسلة لا تنتهي إلاّ من حيث تبتدئ.

بالله عليكم هل شهد العالم في تاريخه منافساً في سلطان كإمامنا حين يعرض عليه في قصة الشورى أن يباع على سيرة الشيفيين فيأبى ويترك أعظم سلطان عرفه التاريخ، لأن هذه السلطان العظيم لا يساوي عنده وعداً بها لا يرى أو كذبة في وعد. وهي في فقه غيره من أهون ما يقدم عليه من يعلل نفسه في المخالفات بالمصلحة العامة وأية مصلحة عامة أعظم من أن يتولى الإمام الخلافة لإقامة العدل ونصرة الحق.

بالله عليكم هل أية مرؤدة في التاريخ كمرؤدة الإمام حين حاول معاوية وجنته في معركة صفين أن يمتهن وجنته عطشاً بالاستيلاء على الفرات وهم يقولون له (ولا قطرة حتى تموت عطشاً) فكشفهم عن الماء ثم أباحه لهم رحمة وشفقة على عدوه ولو منعهم مقابلة بالمثل لاستطاع ذلك ولا تصر عليهم ولو كان عند أهل الشام قلوب خيرة واعية لا عبرت بهذا الحادث الإنساني العظيم من هذا الفارس العظيم ولا نصاعت إلى الحق ورجعت عن غيها.

بالله عليكم أية شهامة حانية كشهامة الإمام حينما يتغلب على أعدى أعدائه الظالمين له وذلك في موقعة الجمل فينادي في جيشه (لا يجهز على جريح ولا يتبع مولياً ولا يطعن في وجه مدبر ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن) ووقف على قتلى الطرفين وبكاهم أحرا بكاء وصل على الفريقين أصدق صلاة ثم سرّح بعائشة مكرّمة إلى المدينة المنورة مع نساء متبنّرات بلباس الرجال.

لم يمض على البشر في جميع عصوره - فيها أعتقد - عهد كهذا العهد الذي نحن فيه، عصر يستيقظ فيه ضمير الخير وضمير الإنسانية النبيلة فيحب الإنسان أن يرجع فيه إلى فطرته السليمة الطيبة نوازعه الكريمة الطيبة بالله عليكم أي عدل أسمى من



عدل الإمام حينها يأتيه شقيقه عقيل وقد أملق واطفاله كأنما سوّدت وجوههم بالعظام من الفقر يستميحه القليل من بيت المال زيادة على سهمه فيؤثر أن يلوى عنه ويتحقق بمعاوية وهو يومئذ على بيت المال الذي يحبى من أغنى البلاد.

بالله عليكم أية عفة أبل من عفة الإمام حينها يظفر بأدھي أعدائه وأشدھم مكرًا وهو لا يقل خطراً عن أي شخص آخر هو عمرو بن العاص فيعرض عن قتلھ إكراماً بعد أن أمكن السيف إذ لاذ إلى خمسة الحقير مستجدياً من قبل الإمام ومروءته عفوه ولو فتك به يومئذ لما كان في عرف المحاربين ملوماً ولكنه ضحك منه سيفه ضحك العف من متھتك لئيم والفاتح هو الإمام بالأخير.

بالله عليكم أي زهد في الزاهدين يبلغ زهد الإمام حينما يصبح على رأس أعظم دولة تجبي لها نفائس الأموال من أطراف البلاد فلا يبني لبنة على لبنة ولا يعيش إلا على قرص الشعير وجريش الملح ولا يلبس شتاء وصيفاً إلا المدرعة التي استحيى من راقعها وينصف نعله بيده ويساوي بالعطاء بينه وبين غلامه قبر.

بالله عليكم أي تواضع في الخلفاء الولاة في تاريخ العالم ينتهي إلى تواضع الإمام حينما يقول لرعيته مستحثاً لهم على نصحه وهو الإمام المعصوم (وإن من أسفخ حالات الولاة عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفقر ويوضع أمرهم على الكبر وقد كرهت أن يكون قد جال في ظنكم إني أحب الإطراء واستماع الثناء. فلا تكلّموني بما تكلّم به الجبارية وإنه من استثنى الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بها أثقل عليه فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل).

بالله عليكم أية شجاعة في الدنيا تنتهي إلى شجاعة الإمام حينما يقف ليلة الهرير من معركة صفين بين الصفين يؤدّي ورده من صلاة الليل متتابلاً منقطعاً إلى الله تعالى مقبلاً على عداته في أخرج ساعات الهلع التي تنسى كل إنسان شجاع حتى نفسه.

بل أية صلابة في العقيدة بالله تنتهي إلى هذه الصلابة التي لا يبلغ وصفها الواصفون ولا يكاد يأتي على كنها المفكرون. بالله عليكم أية شخصية هذه ترتفع في إنسانيتها إلى أقصى ما يمكن فرضه في الإنسان الكامل أضف إلى البلاغة في البيان التي رفعته إلى أن يكون دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق وإلى أن يقول عنها أعدائه أنه ما سُن الفصاحة لقريش إلاّ على بن أبي طالب وأضف أيضاً إلى ذخيرة العلم التي حَيَرَ بها عقول الفلسفه بعد قرون وقرون وجاء بآراء لم يسبق إليها الفلسفه الأقدمون ولا أدركها المتأخرُون وقد عنيت بشرحها في مقال سابق لي أن القيته بهذه المناسبة بكراجي وهو من لم يترُب في مدرسة ولا كتاب إلاّ على مدرسة محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والقرآن الكريم.

بالله عليكم أية شخصية هذه فيها لها من علم عجيب وذكاء خارق وإخلاص للحق منقطع النظير وتضحية لا يشوبها وهن ولا ضعف وشجاعة لا تقابلها شجاعة وأنانية كاملة لا يشوبها نقص أليست هذه الشخصية بما لها من العظمة النادرة وما اجتمعت لها من الصفات الكريمة الصادقة هي أكبر معجزة لـ محمد ﷺ قبل أية معجزة أخرى إذ تؤمن به إيماناً لا يشوبه ريب وتتبع شريعته اتباعاً لا يخالطه أي انحراف وهي بعد هذه أكبر مرشد للبشر إلى سبل الخير وأعظم دليل إلى طريق النجاة في الدنيا والآخرة.

جعلنا الله من المتمسكون بولايته الأخذين بفضل تعاليمه إنه أكرم مسؤول.



## العدالة في الإسلام<sup>(١)</sup>

لم يعط الدين الإسلامي - على طريقة آل البيت عليهم السلام - قيمة لشيء من قيمه الأخلاقية والقانونية ما أعطى للعدالة بجميع ما لها من معانٍ، وفي كل صورها في جميع مناحي الحياة.

فإن الله تعالى هو (العادل) المنزه عن الظلم والعدوان، فكل ما لكلمة (العدالة) من معنى سام رفيع، فوق مستوى المخلوقات في عدالتها التكوينية والأخلاقية والقانونية. ومن مظاهر عدله تعالى أن جعل لكلّ ما نعمل جزاءً، وأعطى لكلّ من يستحق حقه من صغيرة وكبيرة، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

\*\*\*

من بعد عدالة الله . فيها عليه آل البيت من طريقتهم . فإن العدالة أساس الاعتقاد بنبوة الأنبياء الذين يجب أن يكونوا في سمو عدالتهم معصومين عن كلّ ما يشين البشر من جرم وخطأ.

وعلى مثل ذلك (الإمام) المنصور من الله تعالى الذي يتولى عهد الله في الناس

(١) مجلة النجف، السنة الرابعة، العدد، ٨، ١٩٦١ . وقد ألقيت المحاضرة في الحلقة الكبرى التي أقامتها مدينة كربلاء المقدسة هذا العام لإحياء ذكرى ميلاد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وكان لها صدى استحسان عميق في نفوس ذوي المعرفة كافة.



لهم ايتهم، ويتولاه الناس في طاعتهم الواجبة له ليهتدوا به ﴿قَالَ لَا يَنْأِلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

وفي الدرجة الثالثة، فإن العدالة في «الناس» في التشريع الإسلامي، شرط مفروض في ولادة أمور المسلمين وفي حكامهم وقضائهم، بل المتولين لأي شأن من شؤونهم المدنية والدينية.

ثم هي شرط حتى فيمن يؤمّهم جماعة الصلاة، فضلاً عن من يرجعون إليه في تقليله من المجتهدين في أحكام الدين (من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدینه مخالفًا لهواه مطیعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه).

وبالأخير هي شرط في قبول شهادة (الشاهد) في جميع القضايا المالية والحقوقية وغيرها، وشرط بالخصوص في شهادة (الطلاق) لإقامة وصحته. و(عدول المؤمنين) قد أرجع الله تعالى إليهم الأمور الحسبية حيث يفتقد الحكم العادل أو الإمام القائم.

\*\*\*

فالعدالة إله  
والعدالة في النبي  
والعدالة في الإمام  
والعدالة في المجتهد  
والعدالة في إمام الجماعة  
والعدالة في كل من يتولى شأنًا من شؤون الناس العامة  
والعدالة في القاضي



## والعدالة في الشاهد

والعدالة في المؤمن الذي يتصدى للأمور الحسينية.

كلّ هذه مفروضة في الشعّر الإسلامي على مذهب آل البيت عليهم السلام وطريقهم في العقيدة والحكم والدولة والسياسة والأمور الاجتماعية.

\*\*\*

فلا ولية لفاسق

ولا شهادة لفاجر

ولا سلطان لغير العادل

ولا حكم لظالم

ولا قضاء من تأخذه في الله لومة لائم فيحيف في قضائه

ولا رأي مقبول متبع لمجتهد متبع لهواه غير مطيع لأمر مولاه.

ولا إمامه من لا يتورع عن محارم الله

ولا نبوة من يجور في حكمه ويكتذب أو يخالف الله في صغيرة وكبيرة

وليس ربّنا من يجوز عليه الظلم والجحود وعذاب المطيعين وثواب العاصين.

\*\*\*

إنّ أساس الإسلام في عقيدته وتشريعه مقاومة الظلم، ومكافحة الجائزين، وجهاد العادين ومقاطعة الفاسقين، ومناهضة المستهينين بأمر الله.

وما امتلأت الأرض ظلماً وجوراً إلّا انكفاء الناس عن العدل، وتهاونهم في رضا حكم الظالمين، وإتباعهم لأهوائهم، ومجانتهم للحقّ والقسط، وخروجهم على طريقة



## آل البيت في الإسلام.

\*\*\*

فانظر إلى أي مستوى بلغته العدالة في الإسلام عند آل البيت عليهم السلام.

فهي إذ كانت في الله تعالى إحدى صفاتـه الكمالية الذاتية عندهم، كانت شرطاً تقوم عليه أسس الشريعة الإسلامية في أصول اعتقاداتها وفي تشرعيـاتـها القانونية لصلاح سياسـاتـ الناس وتنظيمـاتها الاجتماعية تبـدـيـعـ منـ الشـؤـونـ العـامـةـ الكـبـيرـةـ إلىـ النـواـحـيـ الـاجـتمـاعـيـةـ الصـغـيرـةـ.

فالعدالة تنظم العقيدة الدينية والتشريع القانوني في الإسلام من الله تعالى إلى الشاهـدـ.

وهـذاـ أـعـظـمـ شـيـءـ لـغـرـضـ ضـمـانـ سـعـادـةـ الـبـشـرـ وـأـمـانـهـمـ وـسـلـامـتـهـمـ وـصـيـانـتـهـمـ مـنـ الـظـلـمـ وـالـعـدـوـانـ وـالـجـوـرـ وـالـتـعـدـيـ لـوـأـنـهـمـ أـخـذـوـاـ بـهـذـاـ التـنـظـيمـ وـارـتـهـنـوـاـ بـهـ.

فليس - إذن - شيء في قيمته الأخلاقية والقانونية له ما للعدالة في التشريع الإسلامي الذي أراد للإنسان أن يكون مثلاً عالياً للطهر والتزاهة والعفة والبراءة والصدق والأخلاق، لنعمة السعادة بين الناس ولتقام بينهم أسس العدالة الاجتماعية والمساواة الطبيعية العادلة التي تعطي لكل ذي حق حقه من الحياة حسبما تؤهله الملوكات المتنوعة للأفراد والأعمال التي يحسنون القيام بها.

قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّا عَمِلُوا وَمَا رَبِّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

هـكـذـاـ كـانـ إـلـاسـلـامـ فـيـ عـدـلـهـ وـفيـ تـقيـيمـهـ لـلـعـدـالـةـ الـإـنـسـانـيـةـ وـتـقـدـيرـهـ لـأـهـلـهـ، وـكـانـ سـيـّـدـنـاـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ عليه السلامـ . وـنـحـنـ نـتـحـدـثـ عـنـ الـعـدـالـةـ بـمـنـاسـبـةـ عـيـدـ مـيـلـادـهـ . فـيـ الـقـمـةـ مـنـ الـعـدـالـةـ الـإـنـسـانـيـةـ وـالـمـثـلـ الـأـعـلـىـ لـلـمـسـلـمـ الـعـادـلـ وـالـنـسـخـةـ الـكـامـلـةـ لـلـمـؤـمـنـ الـمـاثـلـ الـذـيـ



أراده الله تعالى في تشريعه ولا تمثل كل شيء في كمالاته العجيبة القدسية، كما تمثل عدالته في أعماله الجبارية.

واستمع إليه يتحدث عن نفسه الجبار وهو الصادق الأمين، «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاتها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت».

فكم هي منزلة هذه الدرجة من الكمال الإنساني؟

إنه لا يسلب من نملة قشرة شعيرة في معصية الله.

وما قيمة النملة والشعيرة وقشرتها في التقديرات المالية؟ ولكن تقديرها الأخلاقي في شريعة الله عند أمير المؤمنين ينوف على تقدير جميع الأقاليم السبعة بما تحت أفلاتها في قيمتها المادية.

وقد برهن ﷺ في سيرته على هذه العدالة المثالية مما يعجز الوصف عن تحديده، وكفى ما عمله مع أخيه (عقيل) فضرب مثلاً لعدالته هذه... وكان أخوه قد أملق فاستماعه من بر المسلمين صاعاً يبتلع به هو وصبيته الذين كانوا سودت وجوههم بالعظم من الفقر على حدّ تعبيره ﷺ.

فأين هو بالقياس إلى من يهب الألوف والملايين من مال المسلمين لخاصته وذوي قرباه لا لشيء إلا لأجل القربي والولاء الشخصي.

\*\*\*

ما أعظمك يا أمير المؤمنين إنساناً كملت فيه جميع معاني العظمة الإنسانية، فقصرت عن بلوغ هدفه الرجال وعقمت النساء عن نظيره... ولو لا الأئمة من بنيه لما شقّ غباره أحد فيما تجلّى في شخصه العظيم كلّ ما دعا إليه النبي ﷺ من تخلية المسلم بالأخلاق الإلهية الفاضلة.



وقد صرّح فيما ندب إليه المسلمين من أتباع منهجه بعجزهم عن لحاقه، فقال: «غير أنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد».

وأي بشر غيره أن تعرض عليه (الخلافة الإسلامية)، وهي أعظم سلطان عرفه في الدول العالمية فیأباها مترفعاً عندما اشترط عليه يوم (الشوري) أن يبایع على منهجه معين وهو اتباع سيرة الشیخین، ولما لم ير الالتزام بهذا النهج طریقاً يعذر فيه عند الله لفظ الخلافة كما تلفظ النواة، وهو قمین بأن ينحدر عنه السهل ولا يرقى إليه الطیر، ولكنّه أبى على نفسه الكبيرة أن يعد فلا يفي أو أن ينحرف عن منهجه القويم في سبيل ملك يفني وجاه يطوى ودنيا زائلة كان قد طلّقها ثلاثة لا رجعة فيها.

مع أنه كان له في عرف الناس مساع من تأویل وتبدیل بعد أن يملک على الناس سلطانهم.

\*\*\*

هنا تتجلی عظمة هذا المخلوق الإنساني، وهنا تتجلی عظمة الدين الإسلامي وعقیدته التي لا تقبل المخاتلة والمراؤغة، ولا الانحراف، ولا التساهل، في أصغر صغيرة من شؤون العدل والصدق.

وحقاً إذا كان ﷺ، وحده، معجزة هذا الدين، بعد أن نعلم أنه نشا في أول ولادة الدين فعرف مداخله ومصادره، مع العلم أنه قد أُوقي عقلاً جباراً ونفساً كبيرة وشجاعة نادرة وروحأً قوية لا تلين لباطل ولا تتسامح مع الحق.

فلو كان في الدين الإسلامي من هنات يؤخذ بها لكان هو أسبق الناس إلى معرفتها وأشجمع على التخلّي عنها وأقواهم على كشفها، ولكنّه كان لا يتنازل عن أصغر حكم فيه لأعظم سلطان في الأرض.



إنَّ القيم الأخلاقية عنده مهما صغرت في أعين الناس هي أعظم عنده من الدنيا بها فيها ومن فيها.

سلام عليك يا أمير المؤمنين!

ما أقصرنا عن اللحاق بغيرك وما أجدرنا أن نهتدي بهديك وأن نقتدي بشرعيتك  
وأن نتلمس خطاك في عدلك، لترفع من صنع أمتنا إلى مقام العليين، وننشر العدل في  
الأرض ونملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً....



## خلود وتخليد<sup>(١)</sup>

للناس في تخليد أبطالهم وقادتهم وأفذاذهم سبل وطرائق متنوعة في ذاتها تبعاً لاختلاف المبادئ والأذواق أو نتيجة لاختلاف المثل التي يمجّدونها في مجتمعاتهم ويقرؤون عنها في عناوينها لوحة الفن الأخّاذة التي تكاد رؤاها تختطف القلوب قبل أن تتمثل صورتها في العيون ...

ولكل طريقة من طرائق التخليد نفتحتها العباءة ولكل سبيل طابعه المشع بلون الضمير والمحس<sup>(٢)</sup> بمدى الاندفاع النفسي وهذا وذاك أصدق فما ولساناً في التعبير عن ضمائر العاملين إن لم يكونوا مجهر الحقائق وشعاعها المصوّر للقلوب التي في الصدور. وعلى قدر ما تسجله أسفار التاريخ في صفحاتها لكل أمة من أنواع التخليد لأعظمها وفي ضوء إعدادها ومعدوداتها تستطيع جيداً أن تزن خلق تلك الأمة منها تقادمت عليها العهود وتحبط بمدى رقيّها وثقافتها في كل لون من ألوان الحياة ...

والتخليد أيها السادة كبير في صورته بسيط في معناه فهل هو إلا رمز لولاء الفرد لذلك المخلد أو شعار كل ما فيه الاعتراف بجدارته أو إماع إلى الشكر العظيم لذوي التضحيات والصلاح والبازلدين أنفسهم في مرضاته تعالى. وهذا فقط هو يكون خلودهم

(١) نص الكلمة الافتتاحية للحفل الذي أقامته جمعية منتدى النشر بمركزها العام في بنايتها القديمة الملائقة للصحن الحيدري الشريف بمناسبة افتتاح الباب الذهبي الذي أنسج بمساعي المرحوم السيد محمد كلانتر لحضره مرقد أمير المؤمنين الإمام عليؑ وكان ذلك عصر يوم الخميس الموافق ١٢ شهر شعبان ١٣٧٣ بمشاركة رائعة من أعلام النجف الأشرف وأدبائها الكبار كالشيخ عبد المهيدي مطر والسيد محمد جمال الهاشمي وبحضور سائر الطبقات.

(٢) المحس: من أحسن.. الشعور بالإحساس.



في كفتي ميزان الخلود ذاته مختلف الطبيعة كأبعد مدى يعرفه محل الاختلاف في النبوغ في الذوق في جودة الإنتاج والإخراج.

الخلود سلم يشق أفق الفضاء ليتهي طرفه الأعلى إلى السماء فهل سيستطيع ارقاء مراقيه كلها بشر ينقصه الحول والطول؟ وهل يؤمل إنسان يوماً أن تؤاته الظروف بمثل هذا الصمود..؟ اللهم إلا فتى النبي علي أخوه ووصيه الأمين.

ذلك هو الإنسان الذي ضرب في الخلود رقماً عالياً عبر سلم الخلود فخلد في نفسه في السماء كما كان في الأرض من أعظم الخالدين بكل ما حواه لفظ الخلود من مثالية يسعها حيز الإمكان.

أستغفر الله العظيم - حاشا لأبي الحسين أن يخلده المخلدون كما يخلدون ببطالهم وأعظمهم - إن التخليد الحقيقي الذي هو به جدير معلول لمعرفة الشخصية المخلدة بكل مناحي عظمتها وعلى ﷺ لم يعرفه إلا الله والرسول على حد تعبير سيد المرسلين. إن أبا تراب وهي أرقى الكنى لسمعه الشريف خلد يومه بيومه ونفسه بنفسه فعاش خالداً ومضى لربه خالداً باعتراف الجميع على حين لا نجد للدعایة يداً في بناء مجده ولا للزخارف التي اعتادها الناس أثراً في توطيد كرامته ولا لصطناعات النوعت التي تلوكها ألسنة الطمع فضل ولا بعض الفضل في دعم كيانه.

وناهيك بخلود لم يستطع جحده المارقون والقاسطون من دين الله وشريعة الإسلام أليس ذلك إلا لأنه ضرب لهم من نفسه العليا مثلاً في جميع ما كان لهم من مثل في الحياة حتى عجز واصفوه عن تصويره بحقيقة الذات والصفات ورحم الله أبا الطيب إذ يقول:

وتركت مدحى للوسي تعمداً  
مذ كان نوراً مستطيلاً شاملاً  
وإذا استطال الشيء قام بنفسه  
وصفات ضوء الشمس تذهب بباطلاً

لقد كان مثل أمّته في الشجاعة والتضحية والفصاحة والسمّاحة وحسن الجوار والكرم والنجد وصدق الحجى والغيرة وما إليها من كريم الأخلاق ولكنه (صلوات الله عليه) لم يبلغ ذروة هذه المثل فحسب بل تحدّى المثل ذاتها بكل ما للتحدي من معنى مريع تحدّاها بخوارق الصفات والممتنع بلوغه على بشر من هذه الخصال فلم تكن مواهبه الكريمة محض صفات إنما كانت آيات بينات وذات إعجاز.

ولهذه النفسية العالية التي رافقته حتى وفوده على بارئه العظيم فكانت ولم تزل بين جنبيه لم يشأ أن يرفض ما اعتاده البشر في تخليد الأبطال ولا أن يتقبلها كباقي الخالدين دون إجابة وجذاء، ويتلقّى شعائر التقدير من أمّته ورموز ولائهم بغير عوض أو مكافأة.. لم يشأ ذلك طالما كان السكوت عن هذا الخلق المجيد من سائر الناس منشؤه الاستسلام لصرعة الموت ورقدة الخالدين.

ولم يمت علي وحاشاه أن يموت أو ما قرأت في كتاب الله تعالى ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فكيف سيكافئ الإحسان بالإحسان والشكر بالشكر والمعروف بالمعروف...؟ فلنقرأ المكافأة من آثار التخليد ولتحسّسها من طريق الاستقراء.

وإذا نحن نظرنا الساعين لتخليد أبطالهم بأموالهم وقرائتهم وسائر ما عليه قدّروا أو يقدّرون وجدناهم أحياوا أثراً وخلدوا مثلاً دون أن يصيروا من أعماهم وجهودهم شيئاً مذكوراً، اللهم إلا ثواب الله إن كان ذلك التخليد من الطاعات.

وهنا بدأت الظاهرة العلوية تشع بنورها الأخاذ وبدأت الأذهان تنطبع بوحي جديد استلهمنته من عظمة قالع الباب (في يوم الباب).

هذا هو علي ﷺ يخلد مخلداً به في دنياه كما يضمن له الخلود في ذلك اليوم العصيب

(١) آل عمران: ٣٦٩.



- لقد رفع له محبوه قباباً ضاحت السماء وشادوا له ضرائح تفخر على الجنان ولكنهم لم يزيدوا عليناً وصيّ الرسول فخراً ولا شرفاً ولا محبة في قلوب رائديه - فها هو ذا علي يخلدُهم في أعماهم ويرفع لهم شرفاً باذخاً ومجدًا شامخاً وذكرًا عطراً فواحًا تستنشق عبيره ألف المتسكين بولاية أمير المؤمنين.

ومرت مواكب الخالدين على ذهن (ال الحاج مهدي) مقدم ورفاقه في الإحسان فأثارت في نفوسهم عواطف الولاء وتهالكت نفسه العالية ونفوسهم الشريفة إلى التخليد والخلود وأظن أنهم قارنوها جيداً ووازنوا الحياة بلونيها فرأوا أن حياة المال حياة خيال محدودة الشخصية رخيصة القيمة عند ناقدِي الشخصية بميزان العرفان ورأوا كذلك أن حياة الخلود لا تشتري ولا تتابع لا لغلالها فقط بل لأنها فوق مستوى المال فيما كل باذل بخالد.

وتوجّهوا من توّهم نحو باب مدينة الله ومدينة علم الرسول بهذا النضار الوهاج هدية متواضعة لم تجرأ على اجتياز الاعتراض ورمزًا جليلًا للولاء والاستمساك - ولكنهم ما إن لاح لأنظارهم نور على يملاً الفضاء حتى أيقنوا بالخلود - هذه مدينة علي تنتفض بأشباهها مهرجانات وأفراحًا وهذه أصوات الثناء تملاً الفضاء وليس في يوم ولكنها أيام فمن كان يعرف المقدم وصاحبيه<sup>(١)</sup> لو اعزّزوا بنضارتهم فليعتبر المتهاكون على المال

(١) قام بإنجاز الباب الخشبية أستاذًا في النجارة في العراق: الحسيني السيد كريم المرعبي الحلي وال الحاج حسن اليزدي وقام بالصياغة أشهر وأشهر أستاذة في الصياغة في إيران من حاز على الشهادات والأوسمة لتفوقه على غيره بهذا الفن، وهم الحاج محمد تقى الأصفهانى، وال الحاج السيد محمد العربيي الأصفهانى، و محمد حسين برورش الأصفهانى، وتصدى للقيام بإنشائه السيد محمد كلانتر بإنهاض ثلاثة من تجار طهران للإنفاق على الباب المذكور وهم: الحاج ميرزا مهدي مقدم وأبناء أخيه الحاج كاظم أغاثوكليان مقدم وال الحاج ميرزا عبد الله مقدم.

أنفق ثلاثة آلاف وخمسة مثقال من الذهب الحالص على الباب، وخمسين ألف مثقال من الفضة صيغت على شكل صفائح سميكة وضعت على وجه الباب تحت صفائح الذهب مباشرة - ومقداراً



وليبدلوا في سبيل انتخابهم للخلود بدلاً عن كل انتخاب.

وهذا هو (السيد كلانتر)<sup>(١)</sup> كثُرَ الله في صفوف المسلمين أمثاله يستبدل عن ندائِه بنتائج سعيه النبيل ولا غرابة في مسعيه هو من على وإليه - فكان سعيه يتحدى معاً أرباب المال والهمم ودعاة الصلاح والإصلاح وكأنه يقول: هكذا ينبغي أن يعمل المجاورون ويتعاونون المصلحون - سدد الله الجميع لسبيل الخير والصلاح.

ليس بالقليل من المينا الحالمة الثمينة ورصدوا له مبلغ عشرين ألف دينار عراقي واستمر العمل به ثلاثة سنين، وقد نصب صباح يوم الإثنين الثامن من شعبان سنة (١٣٧٣ هـ)، وأقيمت بمناسبة نصبه احتفالات في الأسواق والصحن الشريف استمرت أكثر من أربع ليال، وفتح وسمح للدخول منه والخروج يوم الخميس الحادي عشر من شعبان وقد تضررت هذه الباب وإطارها بسبب القصف المحمجي الذي طال المدينة المشرفة والمرقد الطاهر في سنة (١٩٩١ م) عند دخول الجيش الباعي الدموي للسيطرة على مدينة النجف الأشرف.

(١) السيد محمد السيد سلطان الموسوي الشهير بكلانتر (١٣٢٥ - ١٤٢٠) عالم جليل محقق فاضل يعد من الوجوه العلمية في النجف تصدّى لتأسيس مشاريع خيرية رائعة منها جامعة النجف الدينية والباب الذهبي للحضرة العلوية وأنجز تحقيقات رصينة مطبوعة كما في جامع السعادات واللمعة الدمشقية والمكاسب وأمتاز بحسن السريرة والتقوى وحب الخير.



### خلود النهضة الحسينية<sup>(١)</sup>

إن ذكرى ولادة سيدنا الحسين - ﷺ - هي ولادة لذكرى مأساة الحسين التي لم يخلق مثلها ولم يخلق جدتها الملوان، فما أن يخطر بالبال اسم أبي عبد الله إلاً وتتضخم في القلب تلك النازلة بالإسلام وال المسلمين فيعظم هو لها وتصغر المصائب دونها، ولا تدع للنفس مجالاً لفرحة عيد ميلاده أن تسلك إليها، ولا ترك للقلم مجالاً وللسان أن يصمد في تصوير هذا الحدث الذي ملاً بيت النبوة بمشرق نوره الوهاج غبطة وحزناً في آن واحد.

على أن مثلي لعجز من تصوير ما لا يُمَارِنَ ﷺ - من عيد في ميلاد أو من ميلاد في عيد - وما أويت كاتب من بيان فإن بلاغته لا تتجاوز التكرار لما هو مكررآلاف المرات ليل نهار.

ولكن الشيء البكر الذي لم يتكرّر في وجود الإنسان ولم يعرف له مثيل في تاريخ البشرية أن يظهر في الوجود إنسان مثالي كالحسين - ﷺ - بنهضته الجبارية التاريخية في مصاولة الظلم ومكافحة الطغيان ومقارعة الجور، ومناهضة الكفر والإلحاد، مضحياً بكل ما عنده من قيم واعتبارات، وبكل ما يملك من مال وبينن وحياة، فيستدر عطف الأجيال المتعاقبة لنصرة الحق، ويثير حماس النفوس الأبية على مقاتلة الظلم، ويعلم كل

(١) الكلمة التي ألقاها الشيخ المظفر في احتفال المولد الحسيني بالنجف وقد نعى فيها التحلّل الخلقي الذي انتشر في الأقطار المسلمة جماء والذي ساعد على انتشاره المستعمرون وختّمتها بتعريف منزلة «المجتهد» عند الشيعة وإنه وحده ذو الولاية العامة وله حق الفتيا والتصرّف بشؤون الناس وهذه التفاتة جميلة في تعريفه الحفل الذي يضم الآلاف من المسلمين بمن له الحق التكلّم باسم الدين لاسيما بعد أن لوحظ تسامح من ليس له هذا الحق في استعماله.



محب للعدل على التضحية في سبيل الواجب، ويفضح أعمال الطغمة الفاسدة المستبدة، ويكشف للناس الروح الجاهلية الخبيثة التي أرادت باسم الإسلام أن تخادع الناس للقضاء على كل معانٍ للخير وخير كل المعانٍ الإسلامية التي نادى بها محمد ﷺ.

أعود فأقول: إن الذي لم يتكرّر في التاريخ أن ينهض رجل كالحسين في ظروف للإسلام الخاصة فيعلنها حرباً شعواء على الظلم والفساد والكفر والإلحاد فيعيد الإسلام جدته، وللتوحيد صولته، ويعلن للعدل صراطه، وللحق منهجه، ولإباء الضيم والذل طريقه.

وإن تكون هذه الثورة عبرة لنا - نحن أبناء هذا العصر من المسلمين - ف فهي أحق من أن تكون عبرة تعصر فيها الدموع اعتصاراً ونقعد ملومين مدحورين عن مصاولة الظلم والإلحاد جيناً واستكانة.

وما أجد فيما وجدت عصراً كعصرنا الحاضر ولا يوماً كيومنا الذي نعيشه الآن طوح بداعئ الإسلام فهدمها وشنت شمل المسلمين فقوّضهم، وملاً الأرض ظليماً وجوراً والدنيا فساداً واستهتاراً. وقد مضت سنون طويلة والمستعمرون الصليبيون يدكون حصون الإسلام حصناً حصناً وينشرون راية الإلحاد نمراً نمراً ويبخسون حق الفضائل بخساً بخساً. ونحن - المسلمين لا بارك الله فينا من مسلمين - أعنام على أنفسنا إعاناً الضعيف المتخاذل للقوى المهاجم، وساعدناهم على ديننا مساعدة العبد اللئيم لسيده الجائر الحاقد، وشاركتناهم في هدم قواعدنا مشاركة الدين الغبي للعدو اليقط الجائز.

وإني لأنهني على كل واحد من المؤمنين الأخيار الغيورين أن يجوب البلاد الإسلامية من أقصاها لأدنها كما شاهدت قسماً من مظاهرها العابرة، ليرى بأم عينيه كما رأيت إلى أي مدى ترددت الحال بتعاليم الإسلام الصحيحة، وإلى أي تحلّل حلقي اقتبسناه



من أعدائنا الغربيين، وإلى أي استهتار وحشى بروح الدين بلغناه تقليداً لخصومنا المستعمرین.

وفوق كل ذلك وهو موضع الداء ومحزه<sup>(١)</sup> إن ولادة الأمور في بلادنا الإسلامية من أقصاها لأدنها مفسخ أحدهم أن يستجيب إلى داعية الغرب للاستهانة بتعاليم الإسلام والالتماس بمفاتن الشهوة واللذات الداعرة، ومبلغ حرّيّة مفكّرهم أن يستصبح دعوة اللادينية والإلحاد وصولة قويمهم أن يصنعن بالظلم والجور ووحشية شريعة الغاب.

ولاشك إن المستعمرین الطغاة يتضاحكون في سرّهم بملء أشداقهم على هوساتنا في تقليدنا لهم، ويفرحون بمتنهى سرورهم على انكفائنا على أنفسنا وديننا وعلى انعكافنا على أصنامهم التي نصبوها لنا لنقلّدها، ونحن نخادع أنفسنا بأننا بلغنا بتقليدنا لهم في الاستهتار الغایة من التقدّم والعمران والرقي في الاستقلال حتى أصبحت دعوة أفيون الشعوب لها المجال لتخدير المغفلين المساكين منا وإغرائهم على هدم حصوننا الإسلامية.

وبهذه المناسبة يجب أن لا ننسى مواقف النجف الأشرف في هذا المضمار وبطولتها وتفهمها لنيات المستعمر ودسائسه، فإنها بفضل علمائها الأعلام نواب الإمام هي التي أعلنت الجهاد على المستعمر حينما هجم على إيران لاحتلالها قبل الحرب العالمية الأولى وأعلنت الجهاد عليه أيضاً حينما هجم على العراق لاحتلاله في الحرب العالمية الأولى.

وما يلفت النظر حقاً أن جهاد النجف كان في صفوف العثمانيين مؤازرة لهم.

نعم كان جهادهم في صفوف العثمانيين مع إنهم كانوا من ألد أعداء النجف، وقد ذاق العراق منهم والنجف بالخصوص صنوف الآلام وأنواع العذاب، ولم يمنعهم ذلك من واجبهم المقدس الإسلامي في جهاد الكافر المستعمر.

وبعد هزيمة الأتراك بخيانة قوّادهم واحتلال العراق من قبل الإنكليز ثلاث

(١) موضع الحز: أي القطع.



سنوات تعلمون من الذي نهض في وجههم بالثورة الكبرى التي قادها العلماء بكل إخلاص وتصحية وحكمة. ثم أنتم تعلمون كيف نفض العلماء بعد ذلك أيديهم من الحكومة التي اصطنعها المستعمر فحرّموا انتخاباتها ووظائفها حتى أبعدوهم عن العراق.

ولا تزال النجف وعلى رأسها العلماء المجتهدون ينظرون إلى المستعمر وأحابيله<sup>(١)</sup> الخادعة نظر الخذر المستيقظ، ولا ننسى أن من أعماله التي دأب عليها ولقّن أدناه بها محاولة الانتقام من العلماء بتشكيك الناس في إخلاصهم وحسن نواياهم وفي ميزتهم الثقافية وعلو كعبهم في الإسلام. ومن بعض تلك المحاولات لالانتقام منهم إنكار جميدهم في الثورة وتناسي جهادهم في الدين، وبالأخير محاولة عزلهم عن الشعب وتقليل نفوذهم فيه وتصغير شأنهم عنده لأمانتهم. وقد نجح المستعمر في ذلك إلى أبعد نجاح فيما سبق، غير أن صبر رجال الدين وصمودهم أمام تلك المحاولات المرهقة وأمام نتائجها المنغصة من ضنك العيش وخلق الحريات هو الذي أبقى النجف وسيقيها مرفوعة الرأس دائبة في أداء رسالتها الإسلامية خالصة لوجهه الكريم.

ولا شك في أن هذا الموقف المقدر لعلماء النجف مستوحى من جهة استغاثاتهم عن الحكومات على اختلافها في شؤونهم المادية وقناعتهم بكل ما هو ميسّر لأدنى كفاف العيش، ومستوحى من جهة أخرى من فتح باب الاجتهاد، إذ ينشأ في كل جيل علماؤهم في الدرجة الأولى من ناحية الكفاية العلمية ومن ناحية الثقة بالله والانقطاع إليه والجهاد في سبيله لا تأخذهم فيه لومة لائم.

ومنزلة المجتهد عند الشيعة - كما تعلمون - منزلة الإمام في أنه المرجع للناس في شؤونهم الدينية وغيرها وليس لأحد غيره حتى الإفتاء، وليس لأحد غيرهم حق الحكم

---

(١) الأحابيل جمع أحجوبة وهي المصيدة.



والتصرف في شؤون الناس العامة، له ما للإمام من الفصل في القضايا والحكومة بين الناس، والرادر عليه راد على الإمام والرادر على الإمام راد على الله وهو على حد الشرك بالله، كما جاء في الحديث<sup>(١)</sup>. فليس المجتهد الجامع للشراط مرجعاً في الفتيا فقط بل له الأولوية العامة وذلك من مختصاته، ولا يجوز لأحد أن يتولاها دونه إلا بإذنه وإجازته، كما لا تجوز إقامة الحدود والتعزيرات إلا بأمره وحكمه.

تلك حدود الله تعالى التي فرضها على عباده. وبعد هذا أفالا يكون موقف الإمام الحسين -عليه السلام- عبرة لنا للنهضة بأمتنا الإسلامية للرجوع إلى حضيرة الإسلام والرشد الديني والهداية الإلهية. وما أرخص النفوس والمال والجاه في سبيل إقامة عدل الله في الأرض وصرح الدين الإسلامي في الكون. ولنا بسيدهنا أبي عبد الله عليه السلام الأسوة الحسنة وبطريقه المثل الأعلى الذي يحتذى.

أهمنا الله تعالى الصبر ووقفنا لوحدة كلمتنا وجمع قوتنا وهدانا سواء السبيل. اللهم وإليك المشتكى وعليك المعول في الشدة والرخاء. فأفضل علينا من رحمتك ما لا يغير من حالنا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي للشيخ الكليني ٨: ١٤٦.

(٢) الرعد ١٣: ١١.



### يا أبا عبد الله<sup>(١)</sup>

تنصرم القرون وذكراك باق مع الدهر وتموت الناس وثورتك حية في القلوب ففي تاريخ حياتك حياة التاريخ، وفي جلال معناك معنى جلال التضحية، وفي خلود سرك سرّ خلود الكرامة لقد جئت إلى الأمة الإسلامية مشرقاً كالشمس تجلي للناس عن خفايا الناس وتهوى المؤمنين إلى صدق العزيمة ومكافحة الظلم والثورة على الباطل.

وحق أن أهنيك في يومنا الأغر في تاريخ العراق مهد ثورتك بانتصار وثبته الجباره التي أطاحت بالظلم والعدوان والاستعباد، وانتقمت من الظالمين، فإن هذا من اشعاع نورك الوهاج الذي أنار للناس سبل الظفر بجيشنا الباسل.

---

(١) مجلة النجف السنة الثانية العدد الأول /١٣ / توز / ١٣٧٧ - ٣١ / محرم / ١٩٥٨ .



### يا نور الحق<sup>(١)</sup>

في تاريخ حياتك حياة التاريخ، وفي جلال معناك معنى جلال العقيدة وفي خلود سرك سر خلود الفضيلة.

لقد جئت إلى العالم كالشمس المشرقة كشفت عما في خفاياه من كامن الرذائل القذرة التي كانت تهدّده بوباء الجاهلية، فتضطُّح به إلى موت الكرامة والفضيلة والإنسانية بل جئت كالقنبلة الذرية - وأنت نقطة ارتکاز الدهر - فانفجرت لتكهرب الدهر بتيار قوّتها، فأحرقت صروح الشرور وهدّتها، ولكن نشرت الحياة في معناها اللائق بالحق والعدل والحرية.

سيدي إن قلت «الناس عبيد الدنيا، والدين لعن على ألسنتهم» فقد سحقت بقدميك الكريمين سيدتهم ومعبودتهم وهي كل ما يملكون ويعبدون، فأثبتت للإنسانية الحائرة ببرهان تصحيتك كيف تسمو النفوس، وكيف يرتفع الحق نوراً يتوجّج، بل ناراً تذوب عنده وتتبخر جميع اعتبارات هذه الحياة الفانية أو المعبدة الفاجرة وجعلت اللعنة الدائمة على الظالمين؟

فعليك منا - يا أبا الشهداء - سلام الله أبداً ما بقينا وبقي الليل والنهار.

---

(١) نشرت في مجلة البيان النجفية، السنة الثانية العدد ٣٥، ١٩٤٧.

## **مقدمات كتب**





## ما أعظم تاريخ الكوفة<sup>(١)</sup>

ما أعظم تاريخ الكوفة وما أجلّ ما أبنته لنا من آثار أدبية وعلمية لا تنسى مدى الدهر، مصّرها الإسلام في إبان نهضته الكبرى، وفي زمان كان يقفز بأجنحة من الإيمان ليحلق على العالم كله بهدايته، ويكتسح جبابرة الكفر وطواغيت الشرك لقد كان وهو يناثع مملكة فارس العظيمة يبحث جيشه عن مقر للقيادة العامة توفر فيه شروط الصحة والراحة، فرحت به هذه الأرض (أرض كوفان) وهي ضاحكة له بسمائها المجلوّة، ومائها العذب، ونسيمها الساحر الذي يتَّلَّفُ من نسيم السود المبلول وهبوب الصحراء الجافة، وأصبحت (كوفة الجناد)... وهذا مبدأ تكونها التاريخي.

ولكن جامعها العظيم هو قلب الكوفة النابض، أو المركز الجذّاب لدائرة الجناد العربي، فلفّ حوله هذا الجناد الفاتح الفخور بقوّته وإياباته، والذي يتمثّل في هذه القبائل العربية، فراحت كل قبيلة تلتمس في هذا الجامع فخرًا إلى فخر، أو ميزة لعزها بالاختصاص بأحد جوانب الجامع الأعظم فأصبحت الكوفة (كوفة القبائل) أيضًا، وقسمت إلى أرباعها المعروفة كل ربع إلى جانب من الجامع تختص به عدة قبائل، وكان أحظاها هاتي التي احتضنت بالجانب الشرقي أفضل جوانب المسجد، وهم قبائل اليمن، وقسمت بعد ذلك إلى محلاتها السبع. فمررت عليها - بحكم ضرورة التقدّم - أطوار العمران، من مضارب وخيم، إلى دور بنيت باللبن غير المشوي فأنشأت الشوارع والسكك، إلى دور وقصور بنيت بالأجر. وهذا حديث شيق يغري المؤرخ على البحث والتنقيب.

---

(١) تقديم كتاب تاريخ الكوفة للسيد حسين (حسون) البراقى.



ولما تصرّت الكوفة على هذا النحو أصبحت مركزاً للسياسة الإسلامية وعاصمة للخلافة، فمررت عليها - بتأثير مركزها - أدوار متناقضة هي جملة أدوار الإمبراطورية الإسلامية، فمنيت بحروب وحوادث مخزنة ومدحشة. كل هذا ما جعل لها منزلتها التاريخية اليوم وفي كل يوم التي ترتبط بتاريخ تطورات الإسلام في أهم عصوره وأدقّ ظروفه والتي تستهوي غواة التتبع والبحث.

ثم لم ترض بذلك حتى جعلت لها مركزاً للأدب والعلم - نتيجة لمركزها السياسي - هو الوحيد بين البلاد الإسلامية، ما عدا البصرة يومئذ التي تنازعها هذه المنزلة في تصارعان ويتجاولان، وكثيراً ما جرّ هذا التحرب إلى الخلاف في الآراء العلمية والأبحاث الأدبية، ولا زلنا نسمع قال الكوفيون وقال البصريون.. فكانت الكوفة أيضاً (كوفة العلم والأدب) أو مدرسة الثقافة الإسلامية الجامحة وهذا ما زاد في قيمتها التاريخية بآثارها العلمية والأدبية، وبها أنجبت من علماء وأدباء وشعراء هم مفاحر التاريخ الإسلامي في أهم أدوار نهضته الثقافية.

كلنا يعرف عن الكوفة شيئاً من أهميتها التاريخية في هذه النواحي التي تقدّمت وفي نواحى أخرى تعرفها في غضون هذا المؤلف الذي بين أيدينا - ولكننا لم نعرفها في مؤلف واحد جمع شتات تأريخها على ما بها من مغريات للباحثين والمؤرخين وإنما التاريخ الإسلامي في أدواره التي مررت (والكوفة مركز حركته السياسية والعلمية والأدبية بل التجارية) يعطينا فكرة عامة مشوّشة عنها تحتاج إلى التنظيم والتنسيق، ولا يزال كثير من نواحيها يحتاج إلى تدقيق عميق وبحث طويل في المصادر التاريخية المتنوعة، وفي موقع متفرقّة في كتب اللغة والحديث والأدب والرجال والبلدان التي لا تُحصى، فما أشرف الناس إلى مؤلف يُسبّع نهمهم في تاريخ هذه البلدة القديمة، ولماذا غفل المؤرخون عن هذه النقطة الأخّاذة!



نعم سمعنا وقرأنا عن بعض المؤلفات القديمة التي طواها الدهر معه وضن بها على الباحثين فلم تبق لها عين ولا أثر منها:

١. (تأريخ الكوفة) لأبي الحسين محمد بن جعفر المعروف بابن النجاشي الكوفي المتوفى في سنة ٤٠٢ هـ ذكره في (كشف الظنون).
٢. (تأريخ الكوفة) لابن مجاهد المعروف ذكره في (كشف الظنون) أيضاً.
٣. (كتاب الكوفة وما فيها من الآثار والفضل) للنجاشي صاحب كتاب الرجال المشهور (ذكره في ترجمته).
٤. (كتاب في المزار وفضل الكوفة ومساجدها) لجعفر بن الحسن بن شهريار المتوفى في سنة ٣٤٠ هـ (ذكرها النجاشي المتقدم في رجاله).

ولما ألقى المستشرق الفرنسي المشهور (المسيو ماسينيون) محاضرته عن الكوفة في “الجامعة المصرية” لفت الأنظار إلى هذا الموضوع التاريخي المهم، وكان لها وقع جميل في نفوس المثقفين، مما دلّ على شغف الناس في تعريف تاريخ الكوفة هذه البلدة القديمة، وليس هذا مما يشفي العليل وينفع الغلة، أين المحاضرة الواحدة – منها كان صاحبها – من تاريخ هذه البلدة العظيمة الكبيرة التي امتدّت عدة قرون شعلة من حروب وحركات سياسية وأدبية وعلمية إلى أن انطفأت مرّة واحدة، على أنّا لا نزال بحاجة إلى كتاب قديم يصحّ أن نعوّل عليه كسند تأريخي نحتاجّ به. إذن بماذا نسدّ هذه الحاجة، وأين لنا بالكتاب الذي يطمّن رغبة المولعين بالآثار القديمة؟

أظن – لأدنى تفكير – يذهب فكر القارئ لينجو من هذه الحيرة إلى اقتراح جمع المتفرقات فيما يخص الكوفة المثبتة في غضون الكتب المتنوّعة. فتؤلّف تاليهاً منسقاً في كتاب واحد على شريطة ألا يقحم رأي المؤلف بين آراء القدماء، ولا يتصرّف بأكثر من نقل أقواهم وتنظيمها، وبذلك يهياً كتاب قديم في أقواله وآرائه كما نروم وإن كان حديثاً



في جمعه فيتمكن به الباحث أن يصل إلى الحقائق مع الوقوف على حفريات الأثريين الحديثة ويتحقق الغرض الذي من أجله يعني المحققون بالكتب القديمة.

ولكن هل يظن المقترح أن من السهل تلبية مثل هذا الاقتراح، وكم نراه يحتاج إلى مجهد عظيم وسير طويل في بطون الكتب التي لا حدّ لها، وكم يحتاج إلى أمانة في النقل ودقة في الملاحظة وإتقان في الوضع.

ومن حسن الصدق أو من توفيق الباحثين أن يلبي هذا الاقتراح قبل وقوعه فيُخرج لنا العلامة الأستاذ (السيد محمد صادق آل بحر العلوم) هذا الكتاب الذي بين أيدينا من تأليف الفاضل المرحوم (السيد حسين البراقي)، ذلك المؤلف الشهير المشكور على تنبّهاته لكثير من المواضيع التاريخية التي لم يطرقها غيره من المؤلفين، وعناته الخاصة بها، ولا تزال مؤلفاته المخطوطبة بمكتبات النجف مصدرًاً نافعًاً لتأريخ النجف وعلمهائها يعتمد عليها ومن مؤلفاته الثمينة المبتكرة له هذا الكتاب (تأريخ الكوفة) الذي قد سمعت حاجة الباحثين إلى مثله وقد ان المؤلفات القديمة التي سمعنا عنها ولم نرها. وقد وفي هذا المؤلف بشرط المقترح فجمع أقوال العلماء المتقدمين والأحاديث والسنن كما هي، ليوقفك على إضمامه من تأريخ الكوفة لا تستطيع أن تقف عليها في غير هذا الكتاب مجموعة.

ولما كان الكتاب الأصلي غير واف باستقصاء تأريخ الكوفة انبرى له صديقنا الأستاذ (السيد محمد صادق آل بحر العلوم) فزاد فيه زيادة ذات شأن يذكر فيشكراً، ونقّحه تنقيحاً زاد في جماله وقيمة التاريخية حتى أصبح كتاباً مشتركاً بينهما، وإذا كان قد نسبه إلى مؤلفه الأصلي فلاجل الاعتراف بفضل المتقدّم وابتکاره للموضوع الذي كان أساساً متنيناً بني عليه هذا الكتاب فخرج وافياً بالغرض وتعرف تصرّفاته وزياداته على الأكثر في أواسط الكتاب وأواخره إذ تشم أن الأسلوب قد تغير بما لم يتّفق له مؤلف في



عصر (السيد البراقى) ويتجلى ذلك لك عندما تقرأ المنشور عن المؤلفات التي طبعت أو عن المقالات التي أنشأت بعد (البراقى) بسنين كثيرة.

ولا يسعني إلا أن أعظم مجهد صديقي الأستاذ وتحرياته الثمينة وتنقيباته عن كل شاردة وواردة بما لم يتفق له باحث غيره، ولئن زج بعض محاكماته التاريخية وآرائه الخاصة أحياناً، فتلك ضرورة البحث تدعوه وإنّ فهو محتفظ بشرط المقترن ينقل لنا أقوال المتقدمين وآراء المؤخرين كما هي، فأعطانا أثمن مجموعة نادرة في هذا الموضوع.

ومن المواضيع التي استقلّ بها وحده في هذا الكتاب ولم يكن لها أساس في الأصل معجم أسماء الكوفة وقرابها ومحلّاتها وما يتعلّق بها من النواحي والبقاء والديارات والقصور.. أللخ، ومعجم نقائصها وقضائها وولاتها وتاريخ حوادثها وفتنهما وغير ذلك كثير، فأرجو لكتابه التوفيق وأداء الغاية التي جمع لأجلها.



## أقدم كتاباً هو الأول من نوعه

تقديم كتاب تاريخ الديوانية مؤلفه الحاج ودّاي العطية<sup>(١)</sup>

في أمسية من أمسيات الشامية الجميلة قضيت سويعات سعيدة عند الأخ الحاج ودّاي العطية أحد رؤساء الحميدات في داره العamerة بجوار مكتبه الغنية بنفائس الكتب فأوقفني على مجاميع قيمة من جمعه تختصّ تأريخ الفرات الأوسط بما فيه النجف الأشرف وكربلاء جمعها في مادة دسمة من متفرقات الكتب والمخطوطات التاريخية النادرة ومشافهات ذوي الخبرة والاطلاع.

وما كانت تلك المجاميع يومئذ (وذلك في سنة ١٣٧٠) إلاً مشتّات متفرقة لا يربطها إلاً ما يجمع بينها من أنها تأريخ الفرات الأوسط ومن أنها مذكريات قصد منها تسجيل وحشد المادة للتاريخ المنسي والمهمل من ماضي هذا القطر، ذلك القطر الحافل بالحوادث الجسام والماجريات المثيرة وبالعلماء الأعلام والزعماء المبرزين والأشخاص النابهين والشعراء المجيدين والشجعان المدهمين<sup>(٢)</sup> والرجال المجريبين... وما إلى ذلك

(١) الحاج ودّاي بن عطية بن غضبان الحميداوي (١٨٨٩ - ١٩٨٣)، مؤرّخ نسّابة ولد في الشامية ونشأ بها، دخل المدارس الرسمية وتخرج فيها، اتجه للمطالعة والتحقيق وكان زعيماً لقبيلته، انتقل إلى كربلاء سنة ١٣٦١ وسكنها متقدّغاً للبحث والتأليف وكانت لديه مكتبة قيمة فيها نفائس المخطوطات وله اهتمام خاص بتاريخ عشائر الفرات الأوسط وحوادثها. من كتبه المطبوعة: تاريخ الديوانية قدّيماً وحديثاً، على هامش العراق بين الاحتلالين. والمخطوطة: الأسر الفراتية، العشائر والأسر العلوية في الفرات، مشجرات العلوين، رؤساء العشائر في الفرات (١٠ - ١)، وفيات العلماء والأدباء والشعراء. مصادر الترجمة: معجم الأدباء ٦/٤٣٨، مجلة الموسم ٥/١٤٣، معجم المؤلفين ٣/٤٥٤، تراث كربلاء ٣٦٣.

(٢) يقال ادّهم الرجل: كبر وشاخ.

ما يتّصل بتاريخ المدن الفراتية وتأسيسها والأنهار ومجاريها والأراضي وسكانها وتاريخ العشائر وأنسابها حتى أنساب العلوّين وتاريخهم.

ولا يقف الإنسان على هذه (المجاميع) إلاً ويشعر بالمشروع الضخم الذي عنى به صاحبه في ذلك الجمع لهذه المادة الواسعة التي تصلح أن تستخرج منها عدّة مؤلفات نافعة عند تنظيمها ثم يعجب من اطلاع هذا الرئيس وما يبذله من سعي متواصل ومجهود كبير في التقاط نوادر التاريخ وذلك من سنين طويلة وفي الحفاء المتكتم حتى على أعزّ أصدقائه ثم ما يتحلّ به من صبر المتبع الحريص على كل شاردة وواردة من غير لحب ولا ضجة ومن عشق متجاوز الحد لتسجيل وقائع التاريخ ودقائق الأمور وهو مستمرّ مع ذلك كله يبحث وينقب ويسأّل ويسجل ويحاكم بين الآراء ويعادل بين الشهادات.

والأعجب من ذلك كله أن صاحب هذه المجاميع - على حرصه عليها واعتزازه بها - لا ينظر إليها النظرة التي تستحق الإكبار لولا ما لاقى من تشجيع إخوانه على أن يضع عدّة مواضيع ويجمع كل ما تفرّق في هذه المجاميع فيضم كل درّة إلى أختها وكل حادثة إلى ما يربطها للتّألف عنده في ذلك سلسلة كتب متصلة الحلقات محبوبة الصلات ينفع فيها القارئ والباحث والمؤرّخ فكان كما أرادوها هو ذا يقدّم - أو أقدم أنا - للقراء أول كتاب من هذه السلسلة، كتاب (تاريخ الديوانية) ليحلقه بكتاب آخر هو (حوادث الفرات) ثم بباقي السلسلة وأنا إذ أقدم لهذه السلسلة إنما أقدم كتاباً هو الأول من نوعه في تاريخ هذه البلدة وفي الأسلوب الذي اتبّعه المؤلّف في مواضيعه وتسجيلها فإنه إذ يتحدّث لك عن موضوع يخص الديوانية وما يتّصل بها كتاريخ إنشائها ومنتشرتها وحكّامها في جميع العهود وتواضعها من الأقضية والنواحي وعشائرها وسكانها فإنك تجده يتحرّى في بحثه دقائق الأشياء وتسجيل متنبه ما يصل إليه بحثه وتتّبعه عن أمور



قد لا يجد من لا يعني بشؤون التاريخ كثير أهمية لها عنده كتاريخ بناية مدرسة أو توظيف شخص وهو في تحصيل هذه الدقائق الصغيرة قد يبذل من الجهد والمالي ما لا يحيط فكر الرجل العادي به.

يسجل كل ذلك بأسلوب تارينجي محض بعيد عن الأساليب الأدبية والخطابية فلذلك خرج هذا الكتاب مرصوصاً بالمادة التاريخية المفيدة.

ومن بين أن التاريخ دائمًا يحتاج سجله إلى يد أمينة نزية لا تتأثر فيها تسطره بسلطان العاطفة أية عاطفة كانت وقليل هم أولئك المؤرخون الذين يتجرّدون للتاريخ ولا يتّجرون به. وكذلك كان مؤلّف هذا الكتاب من ذلك الطراز النادر فإن نفسه الخيرة وبعده عن السياسة وأغراضها وغناه عن الانجذاب بأفكاره أو بتأليفه وعشقه البالغ لسطر الحقائق التاريخية المجردة كما هي قد وقعت.

إن كل ذلك كان كفيلاً بإخراج هذا الكتاب سجلاً أميناً للتاريخ النزيه حسبياً استطاع أن يصل إليه تتبعه المتواصل الدؤوب فالكتاب من هذه الناحية كان قليل الميل فيما كتب أخيراً عن تاريخ العراق ومدنه.

وإذا كان يبدو أنه قسا على بعض الشخصيات فهي الحقيقة التي يعتقدها ويرى أنه يجب أن يسجلها وإن كانت عليه ومع ذلك فإن الكتاب لم يخل من بعض العواطف التي أملت بعض التعليقات العابرة ولكنها ليست من نوع تلك العواطف التي تشوه الحقائق وتغيّرها أي ليست بعواطف شخصية نفعية وإنما هي الغيرة على وطنه من جهة والتزعة الأخلاقية أو الدينية التي عنده من جهة أخرى فإن هذه لها السلطان على تفكيره وتوجيهه كتابه وتعليقاته الطفيفة العابرة على بعض الحوادث والشأنون مما جعل الكتاب بعيداً عن الدجل السياسي والمحاباة الشخصية والمجاراة للظروف وهذا مما زاد في قيمة الكتاب وهو على كل حال يستحق الاقتناء والمطالعة لا سيما من يعنى بتاريخ



الحقبة الماضية من تاريخ الفرات وإنني لأرجو له الرواج والانتشار ولصاحبه التوفيق والتسديد ومن الله تعالى نستمدّهما له ولي.

في ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٧٣



### تقديم نشرة البذرة<sup>(١)</sup>

تعود بي الذاكرة وأنا أحrrر هذه الكلمات للجنة التأخي من طلابنا الأعزاء إجابة لرغبتهم في تقديم (البذرة) إلى قرائهم - تعود بي الذاكرة إلى مبدأ غرس هذه البذرة في نفوسهم والعوامل التي دفعتنا إلى ذلك قبل حفنة من السنين.

ولبيان هذه العوامل أذكّر القراء بحال النجف الأشرف يوم واجهت التطورات الحديثة في البلاد الإسلامية فظهرت فيها فئة من الناس تقبّلوا هذه التطورات بصدر رحب واندفعوا بتيارها وغالي بعضهم فتقبّلها على علاته حتى أزرى بكل قديم وبكل ما يمت إلى ذلك من قريب أو بعيد، بينما بقي القسم الأكبر مصرّاً على رفض كل جديد حذراً أن يفتح التجديد منها كان كوة على القديم فيتسع إلى التأثير على الاعتقادات المقدّسة.

وكان من الطبيعي أن تقع خصومة بين الطرفين قد تصل أحياناً إلى العنف والشدة، وهذا بالضرر مما يضاعف تعصب كل من الفريقين لرأيه وابتعاد كل منها عن الآخر. وبهذا كادت النجف تخسر شبابها وهو طموح بطريقه إلى الحرية والتجدد وتضاءلت على أثر ذلك الحركة العلمية للمعارف الدينية في الشباب النجفي، وحدثت هوة كبيرة بين الشاقتين القديمة والحديثة.

وهذه الخصومة وأثراها في بلادنا عامّة هي التي دفعتنا إلى الوقفة من الطرفين موقف من يريد أن يقرب بينهما ب التربية ناشئة دينية تكون هي الحلقة المفقودة التي تتطلّبها

(١) نشرة البذرة السنة الأولى العدد الأول الصادر في يوم الخميس ١ / ربيع الثاني / ١٣٦٧ - ١٢ / شباط ١٩٤٨ الصفحة ٤ - ٢.



الحاجة وينشدنا كل من الطرفين وكان هذا العمل - في اعتقادنا - خير الحلول التي يمكن بها أن يتلافي الوضع في معاهد النجف الأشرف قبل أن يحل الجدب في حدائقها الغناء (لا قدر الله).

وقد وقّتنا بحمد الله إلى إلقاء (البذرة) في نفوس هذه الصفة من طلابنا وكانت أن تفرع طبقة متوسطة تأخذ من الحديث ما لا يصطدم مع المثل العليا وتضيفها إلى الثقافة القديمة المختارة.

ولأنكم سرورنا بتقبّلهم هذه الفكرة على أحسن ما نأمل واجتهدتم في تحقيقها بما يكتبون ويحاضرون وينشرون في صحفهم المدرسية التي جعلوها ميداناً لأقلامهم وحدب على كل واحدة منها جماعة منهم أطلقوا على أنفسهم اسم لجنة من اللجان كل لجنة تأخي الطلاب، وللجنة رجال المستقبل، وللجنة العمل والثقافة...

وقد رغبت هذه اللجان أن توحّد مجهودها بهذه النشرة التي أطلقوا عليها اسم (البذرة) لتكون رمزاً إلى البذرة التي غرستها كلّيّتهم في نفوسهم يوم استجابوا إلى رغبتها وقد تركوا أمر إخراجها إلى لجنة التأخي.

ما سرّنا كثيراً في خطة بذرتهم هذه فكرة توحيد جهودهم مع إخوانهم من طلاب الكلّيات الأخرى والمدارس العالية ليحققّوا بذلك روح (التأخي) التي دعا إليها الإسلام ففتحوا للطلاب حقولاً خاصاً تلتقي فيه أصواتهم من كل صوب.

وي بهذه الطريقة نرجو أن يتحقّق قسم من آمالنا في توحيد جبهة الشباب الوعي في العراق الذين سيقوم على عواتقهم في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى كيان العراق الاجتماعي. ونحن نهيب بالشباب المثقّف فيسائر الكلّيات أن ينحو هذا النحو في تكوين روح التأخي بين جميع الطلاب أيّما كانوا.

أما بعد - يا طلابنا الأعزاء



فماذا تريدون أن أقول في تقديم نشرتكم إلى إخوانكم من الشباب وفي رغبتي أن تقوم هي بتقديمكم ولم بعد ذلك أن يحكموا عليكم بها يلمسون فيها. وكل ما أقوله الآن بل تقوله جهود أساتذتكم الذين حدبوا عليكم هذه المدة: (هذا جنائي وخياره فيه...). وتقبّلوا أنتم وجميع الشباب تحيات.



### افتتاحية مجلة النجف<sup>(١)</sup>

تلك أمنية ملحة راودت طلاب (كلية الفقه) الأعزاء من أول سنة من نشأتها هي أن يصدّروا صحيفة دورية يملكون زمامها ويتمكنون من توجيهها الوجهة التي يوّلونها، لتعبر عن مشاعرهم الإسلامية ونشاطاتهم العلمية وأهدافهم الإصلاحية.

وقد سبق لطلاب (كلية منتدى النشر) الماضية سلف (كلية الفقه) أن أصدروا في ستين مجلتهم المحتاجة (البذرة) تلك المجلة الطلابية الخفيفة الظل النشطة، وكان مديرها المسؤول الأستاذ هادي فياض. فكانت خير لسان ناطق يومئذ عن مشاعرهم ونشاطاتهم وأهدافهم، نالت توفيقاً وثناءً بالغاً من قرائها.

وكان هذا السبق الموفق حافزاً لإثارة رغبة طلاب كلية اليوم أن يتعهّدوها (شجرة) نمت بعد تلك (البذرة) التي غرسها طلاب كلية أمس وما كان لهم إلا أن يتفاعلوا مرة أخرى في نهضتهم الجديدة وهم أوسع أفقاً وأكثر عدّة وعددًا.

وما كان عليهم لو يختارون مجلة (النجف) مضماراً لهذا السباق، ومديرها المسؤول هو نفس مدير (مجلة البذرة). وما كان من الأستاذ الفياض إلا أن يفتح صدر (النجف) لهذه الطبيعة المؤمنة، فيمكّنهم من القيام بتحريرها اعتزازاً بهذه الحركة المباركة وتشجيعاً لهذه النهضة الميمونة المعول عليها لبناء صرح سامي للعلم وإشادة مجتمع قوي للدين.

**أيها الطلاب الأعزاء:**

نحن اليوم في قمة الصراع العقائدي والفكري الذي يستهدف فيه القضاء على البقية الباقيّة من الإسلام. وكل مسلم مؤمن برسالة الدين الإسلامي لابد أن يشعر

---

(١) مجلة النجف السنة الخامسة العدد الأول جمادى الأولى / ١٣٨٢ - تشرين الأول / ١٩٦٢ .



شعوراً عميقاً بأن عليه واجباً ثقيلاً لا ينوه فيه إلا الأبطال المجاهدون من الرجال.

وأنتم - أيها الشباب الناهض من متسببي كلية الفقه - في الطليعة من الشاعرين بضرورة التضحية في سبيل رسالة الإسلام. والذي أعتقده ويعتقد كل من يرعى كلية الفقه إن هذا الشعور النبيل هو الذي دعاكم إلى الانخراط في هذا المعهد الناشئ استعداداً للدخول في معرك هذه الدعوة الخيرة التي تستهدف نشر الفضيلة وتكوين خلق إسلامي رصين.

وما أحوج المجتمع الإسلامي إلى طائفة مجاهدة مؤمنة تأخذ بيده إلى الصراط المستقيم من تعليمات الدين الحنيف ﴿فَأَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لَّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنَذِّرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

أخذ الله بناصركم لإعلاء كلمة الله في الأرض إنه خير مسؤول وهو الموفق للصواب.

---

(١) التوبة: ٩ . ١٢٢



### يوميات جريدة الهاتف<sup>(١)</sup>

أكتفي بالظاهر من حياة الناس، فأستريح إلى ابتسامة الجليس، وأقتتن بمداعنة المجتاز في الطريق، وألتذّ بمفاهيم القرین، ثم أروح - كما تشاء لي عزلتي - مستريح البال من التفكير بأخلاق المجتمع وحياته وأنقلب إلى أشغالى الخاصة لا يهمن عليّ الجزع من المحيط.

أما اليوميات فالكتاب الاجتماعي - كما يقول عنه صاحبه - الذي استمالني إلى ما فيه من لذة النقد وفكاهة الأسلوب ودقة التصوير فحملني على مطالعته بشوق، حتى عرفت منه وأناأشعر بتبدل في سذاجتي ونظرى إلى الناس ورحت متبرّماً بما حولي من محيط وألس عن كثب مغازي بعض العادات ودخائل السرائر فنغمص علىّ كثيراً من عيشي وراحتي !

هكذا حدثني بعض من أعرفه بسلامة النفس وطهارة الضمير، وأكبر الظن أن إعجابه بالمؤلف وأسلوبه هو الذي فتح من قلبه باباً واسعاً لولوج أفكار الكتاب؛ وجعل من نفسه آلة حساسة تهتز لوجات صوت المؤلف الخارج من أعماق القلب أو عذبات اللسان أحياناً. وهذا أول ذنب الكتاب - إن صحّ هذا التعبير - وأظن صاحبه سيقول: يا حبّذا هذا الذنب! وهل تؤلّف الكتب إلاّ لهذا الذنب؟!

أما أنا فأشاشة هذا الصديق الذي أصبح ضحية المموم - فيما أظن - بالإعجاب بهذا الكتاب الذي جمع بين دفتيه صوراً غريبة صور الاجتماع، وألواناً متضاربة من ألوان الحياة وقد استطاع المؤلف ببراعته أن يقتنصها من عرض الحوادث؛ وينتهزها من

---

(١) مجلة المصباح السنة الأولى المجلد الثاني الجزء الثاني والثالث ١٣٥٤ - ١٩٣٦ .



الفرص السائحة في أيامه وليلاته، في أوقات شغله وفراجه.

إن نظريات علم الاجتماع على الأكثر نظريات جافةً أو دقيقة، لأنها قواعد عامة عملية؛ يستدعي فهمها وتذوّقها كثيراً من التجارب والتطبيق على الحوادث الشخصية تطبيقاً دقيقاً، وهذا الكتاب إذا كان اجتماعياً - وهو كذلك في جملته - فهو تطبيقات عملية مباشرة، قد تلمس من بينها حقيقة لذلك وفهمها من طريق التجربة للحوادث التي تكررت لك مثلها وهذا خير ما في الكتاب، وللخليل براءة فائقة في تناول الحوادث اليومية فيخلق منها ليومياته صورة اجتماعية ذات معنى وفكاهية لذيدة، وبذلك يبعدها عن الابتذال الذي يبدو لأول وهلة.

وتجده في هذا يستعين بالألفاظ العامة الدارجة ليصل إلى أعماق قلبك وليضحكك ويسليك كما يريد؛ وهذه عادة كثير من الفكاهيين من كتاب العصر في الأقطار العربية، حتى أصبح الإنشاء باللغة العامية أو بالمزيج منها ومن الفصحي شعاراً للصحف الفكاهية، ويعزى ذلك عند بعض الناس إلى قصور لغتنا الفصحي عن أداء هذا النوع من الأدب، وبهذا يحتاج من يرى استبدالها بالعامية، وربما يدرس بعضهم السُّم في العسل ليطّوّحوا بلغة الدين الإسلامي، وقد فاتهم أن هذا القصور كان من ناحية الناطقين باللغة لا من ناحيتها نفسها.

كن من شئت من علماء اللغة العربية، وجرّب نفسك أن تسترسل في كلامك باللغة الفصحي، فلا تقدر عليه بدون التحفظ الشديد والاتكاء بعد ذلك على الألفاظ العامية وجرّب نفسك بعد ذلك - إذا أبى - عند ثورة العاطفة فستجد لسانك مقهوراً بطبيعتك على الذهاب إلى اللغة العامية أو المزيجية. وليس ذلك لأن قيود الفصحي وقواعدها أكثر بكثير من العامية كما قد يظن ونحن نعرف عن العرب آبائنا كيف كانوا لا تستطيع أشداقهم أن تلوك غير الفصيح. بل لأن الفصحي لا تزال لغة القلم فقط،



ولم تصل بعد إلى حد تكون به لغة المنزل والسوق والمحافل، وبعبارة جامعة لم تصر بعد لغة اللسان، كما كانت عند آبائنا، ولا يصح لنا أن نسمى أدباء لغتنا العربية إلا عالين باللغة لا ناطقين بها وفرق بين الأمرين كثير، ولذلك نحن لا نزال فاقدين مزايا اللغة العربية وخصائصها حتى في كيفية النطق بها، وبالأصح لا نزال بعيدين عن نفس اللغة.

وشيء واضح أن الكلمة لا تمتزج بالنفس حق الامتراج، ويكون لها التأثير على أعماق القلب، حتى يسبقها المعنى إلى الفكر، أو يدخلان مرة واحدة عند سماعها، ولا يحصل هذا إلاّ بعد أن تكون اللغة كغريزة للسان ينطق بها من غير سبق تحفظ وتأمل فكر، أو فقل: بعد أن يكون الفكر عندما يتصور الألفاظ يتصور المعاني معها كشيء واحد وبالعكس، كما لو نظرت إلى المرأة فتنظر الصورة معها بنظر واحد كشيء واحد، وعند ذلك ينظر السامع أو المتكلم معنى الكلمة بجلاء من جميع النواحي والخصائص التي تتکفل بها الكلمة بسرعة فائقة، واللفظ مرآة المعنى، فكلما كان اللفظ أجمل بطول الممارسة والتدريب عليه كان المعنى أجمل، كما أنه كلما كانت المرأة أجمل كانت الصورة أجمل ونجد ذلك من نفستنا في اللغة العامية أو المزجية عند المثقفين بالأداب العربية وعلوّمها.

وهذا هو السر في التجاء الكتاب الفكاهيين إلى العامية حين يريدون التأثير على العاطفة والوصول إلى أعماق النفس، فقدنا هذا النوع من الأدب في لغتنا العربية واضعناه، وكان من المحتم على أدبائنا أن ينهجوا بنا غير هذا النهج، وإن كلفهم في مبدأ الأمر جهداً وعناء وقد تكون له بروادة مجوحة، ومن المرجح أنهم ومعهم الناس سيذوقونه فيملح لهم ويلذ، وتشترك به بعد ذلك الأقطار العربية جميعاً، لا كما هو الآن، ففكاهة المصري والصوري لا نجد لها طعمًا ولا لوناً وكذلك العكس، وهذا عجز في اللغة أو عجز فينا كما هو الصحيح.



ويجب أن نعترف للخليل هنا أنه قلما يلتجرئ إلى العامية في فكاهته نعم يتکع عليها اتكاءً، وقد لا تخلي يومية من يومياته من هذا التعكّز، وعسى أن تصلح هذه الحال أدباءنا الفكاهيين وغيرهم فيسدوa إلى اللغة العربية خدمة جلى، والإصلاح الأعظم من هذا وغيره تعليم اللغة الفصحى حتى تكون لغة اللسان بيننا وإصلاح الأقلام من مبادئ هذا الإصلاح الضروري لأبناء الضاد ولغتهم لغة الدين الإسلامي لغة القرآن، فمتى نتبّه.....



## تصدير كتاب المختار الثقفي للشيخ أحمد الدجيلي<sup>(١)</sup>

تشرف الكتاب بالمثلول أمام سماحة العلامة الجليل الشيخ محمد رضا المظفر معتمد منتدى النشر، وبعد اطلاعه عليه تفضل علينا بهذه الكلمة القيمة

لا زلنا نعرف في المختار الثقفي رجلاً لاماً في تاريخ الثورات، وشجاعاً مدهاً<sup>(٢)</sup> في الحروب، وخطياً مصقعاً<sup>(٣)</sup> على المنابر، وسياسياً منكراً<sup>(٤)</sup> في قيادة الناس واستغلال العواطف. وهو مع كل ذلك شخصية متارجحة في ألوان العقيدة المذهبية، يُغرى الباحثين بالفحص عنه وعن سرّه، ويدرس نفسيته وعقيدته، ولا سيما إنه قاد أكبر ثورة ضد الدولة الأموية باسم الأخذ بشارات الحسين الشهيد قتيل العبرة.

والتاريخ لا يسعه أن ينصف مثل هذه الشخصية، فيكشف كل حقيقته للناس، لأن أعداء آل البيت لا يروق لهم أن يخلص مثل هذا التأثير الجبار من النقد والتهم بما يصح وما لا يصح، ومحبّو آل البيت من جانب آخر يحرضون كل الحرص على أن يظهر مثل هذا الأخذ بأعظم ثأر لهم بأسمى المكارم الدينية والأخلاقية، فتبقى لأجل ذلك جانب جد مغربية من حياة مثل هذا الرجل تحتاج إلى التمحيق والبحث.

(١) الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدجيلي (١٩٢٦ - ١٩٩٠)، عالم شاعر مؤرخ متبع تخرج من كلية الفقه وزاول الخطابة ثم انصرف إلى التعليم والتربية. له أحلام الشباب، أزهار وأشواك (ط)، أعلام الأدب من آل الدجيلي، رسالة في الفلسفة عن الخير والشر، حياة المختار (ط).

مصادر الترجمة: أعيان الشيعة ٥٢ / ٥٧، خطباء المنبر ٣ / ١١٣، شعراء الغري ١ / ٣٠٢، مشهد الإمام ٤ / ١٠٣، معجم المؤلفين ١ / ٧٤، نقباء البشر ١ / ٤٢٩، معجم رجال الفكر والأدب ٢ / ٥٦٧.

(٢) يقصد (المغامر).

(٣) خطيب مصقع: بلبيغ، العين ١: ١٢٩.

(٤) صاحب خبرة.



أضف إلى ذلك أنه على الرغم من كونه علويًا في تربيته وزنته وخصائصه عديدةً لبني أمية وآل الزير، وهو الوحيد الذي أخذ بثأر الحسين فشفى صدور شيعته إنه على رغم كل ذلك، فإن خطوط ثورته وتاريخه في العقيدة الصحيحة والفقه الإسلامي على طريق آل البيت عليهم السلام ليست واضحة كل الوضوح، بل لا تزال منها جوانب غامضة تحتاج إلى التدقيق والتحليل، لا سيما أن التساؤل لا يزال باقياً من الموجّه أو الم Giz لحركته الثائرة التي لا تصلح بحال في مذهب الإمامية بدون إجازة الإمام أو رضاه.

**فهل ثار بإجازة الإمام زين العابدين عليه السلام؟**

**ولماذا لم يعلن الإمام ذلك؟**

أو لماذا يستغل الإمام انتصاره إن كان عن أمره فيحضر لقيادة الثورة؟

ولكن كل ذلك لم يقع ولم يدل سير الحادثة والتاريخ أنه ينبغي أن يقع.

**فهل نرجح أنه لم يكن مجازاً من الإمام بالمعنى الصحيح من الإجازة؟**

إذن فهل ثار بإجازة محمد بن الحنفية؟ لأنه - كما يقولون - كيساني العقيدة ولكن ابن الحنفية ليس بذلك الشخص الذي كان يدعى الإمامة حتى يحيى مثل هذا العمل الهائل بدون رضا الإمام وقد أريقت فيه آلاف الدماء المسلمة وذهبت كثير من الأموال الطائلة والفرح بوقوع الانتقام من قاتلي الشهيد أبي عبد الله شيء والرضا والإجازة للعمل شيء آخر.

وإذا لم يثبت كل ذلك أو لم يثبت ما يبرره، فكل ما قام به من عمل ليس له وزن صحيح في مذهب آل البيت ليصح أن يعد المختار من الشخصيات المقدسة في تاريخهم. هذا موضع أحد الجوانب الحساسة، بل أهم ما في ثورة المختار التفعي التي تحتاج إلى درس وعمق في الدرس، لكشف ما أغلق من نفسيته وصحته عمله والالتزام بما



قام به من عمل لشفاء الصدور الواجبة<sup>(١)</sup> على قتلة شهيد الطف، يدعو - كما قلنا - إلى التشبيث بالطريقة الصحيحة لتبرير عمله أو إلى البحث - على الأقل - عما يكشف هذا الغموض.

مضافاً إلى أن معرض ثورته ووقائع حروبه هي في حد ذاتها معرض لذين لمجبي الانتقام من الظالمين والمعتدين وتاريخه تاريخ حقبة حساسة من تاريخ أهم العهود الإسلامية تليق بالدرس والعرض والتأليف.

على أن غموض الحوادث التاريخية هو نفسه وحده يثير في نفوس الباحثين الرغبة في التميص والتأليف بل يحمل القراء على الاستقصاء وتتبع مجريات<sup>(٢)</sup> تلكم الحوادث. إن تلك الأمور، بل هذا الأمر الأخير بالخصوص أحد الدوافع - فيها أعتقد - لتأليف هذا الكتاب المفيد الذي أقدمه بين يديك مؤلفه قرة العين بل الجلدة ما بين العينين الأستاذ джили، بل لئن دفعه حبه لثورة المختار الذي حمله على الدفاع عنه بكل ما أوي من قوة فإن الغموض في تاريخه كان هو الحافز الأول والمشجع لاختيار هذا الموضوع الشيق عند الباحثين والكتاب.

وبعد هذا، فإن القارئ له حسابه عند المؤلفين في انتقاء موضوع أبحاثهم والمتضرر من القراء أن تغريم على المطالعة دراسة أمثال هذه الموضوعات فيستدرجون لاقتناء الكتاب حينما تثار فيهم الرغبة الكامنة لمعرفة غواصات التاريخ.

وإني لأحمد مؤلفنا لباقته في استغلال هذه الناحية من كرام نفسيات القراء لترويج ما يريد أن يدعو إليه في مؤلفه هذا.

وهذا مؤلف - على صغره - يعطيك درساً جديداً عن حياة المختار يمكنك من

(١) المغناطة.

(٢) جمع (ما جرى) عمّلت هذه الجملة معاملة الكلمة المفردة، فجمعت جمع مؤنث سالم.



الاطلاع على أسرار ثورة هذا الرجل الحديدي وحسن نوایاه في جهاده وجميل بلائه في حروبه.

وإذا كان الكتاب باكورة<sup>(١)</sup> تجربة مؤلفه في النشر، وهو في بوادر عمره المديد إن شاء الله تعالى فإني أنوّق له الانتشار والرواج وإقبال القراء المتعطشين مثل هذه البحوث النافعة.

وأسأل الله عز وجل أن يجعل منه مؤلّفاً بارعاً - كما جعل منه شاعراً حسّاساً - ليخدم الحق في مؤلفاته المقبلة التي ستكون إن شاء الله في الطليعة من بين الكتب الحديثة.

وأرجو لي ولهم التوفيق، إنه ولي التوفيق.

---

(١) باكورة الشيء: أوله.



### تقديم كتاب صور الحياة لضياء سعيد<sup>(١)</sup>

في كل موجود نصيب من الجمال يستهوي النفس الحساسة في الأصوات في المناظر والأماكن في كل ما تحسه النفس وتذوقه، وبإزاء هذا الجمال ما نسميه بالسماحة أو القبح وهو ما تعافه النفوس وتجاهه.

ولكن إذا حاولنا أن نقيس هذا المجال أو ضده بميزان علمي وحد منطقي نجد محاولتنا تذهب ادراج الرياح فانا في الوقت الذي نقرب لتفكيرنا تعريفاً بجمال المرأة - مثلاً - شبيهاً بالتعريف العلمي نجده لا يتفق ومعنى الجمال الذي تفهمه أمة أخرى للمرأة فقد يستهجن الأفريقي أربع الصور ويتدوّق أقبحها في ذوقنا وهكذا في جميع محسوساتنا من منظورات وأماكن وموسيقات وسموعات.

ولماذا لا يكون الجمال الحقيقي هو ما يدركه غيرنا دون ما نحسه نحن؟ على أن أفراد أمة واحدة يختلفون في تذوق الجمال فما هي حقيقة الجمال؟ وعجزًا عن ادراكها - أو لأن الأمر الواقع يجب أن نعتقد نحيلة عرفانياً إلى الذوق الذي خلقه الله في حواسنا التي يختلف باختلاف الأمم بل البيئات بل الأفراد وقلما نعرف ذوقاً عالمياً يشترك فيه جميع الناس كالموسيقى - مثلاً - التي يتذوقها الغربي ويستعز بها قد يمجها ذوق العربي كأشد ما يستنكر من الأصوات.

وإذا صح أن الذوق الذي يختلف في الناس هو الحكم العادل في الجمال فلا حقيقة للجمال وراء ادراك هذا الذوق الخالص حكم اختلاف الأمم والبيئات بل وللتربية أيضاً فيستطيع العربي منا أن يتذوق ما يتذوقه الغربي - مثلاً - إذا ربي ذوقه في بيئه غربية وبالعكس .. والفنون إذا كانت نشأتها في احضان الذوق كما هي الحقيقة فهي خاضعة لما

(١) مجموعة قصصية صدر لها الطبعة الثانية عام ١٣٨٣ - ١٩٦٤ في النجف المطبعة الحيدرية.



يخضع له الذوق من التربية واختلاف البيئات فليس لها حقيقة علمية وراء هذا الذوق . إذن - وهذى هي التبيّنة التي نحاوّلها - ليس من النقص في أمّة من الأمم ألا تستملح في أمّة أخرى لها ذوقها الخاص به فتعدّه من الفنون الجميلة فالعربي الذي لا يتذوق ألوان الحياة الغربية واطوارها لا يصح أن يُعد محروماً من الذوق السليم وبالعكس مادام الذوق ليس أمراً حقيقياً يصح أن يعلل ويقع تحت قانون منطقى ثابت حتى نصفه بالسلامة وبضدها وإنما لكل أمّة ذوقها الخاص السليم عندها الا اذا كان الفرد يقيس في بيئه خاصة ولا يكتسب ذوقها فنسميه بفساد الذوق ولا بأس الا يفسر الا بعدم قبوله للتربية لا أكثر.

والأدب بجميع مناحيه والوانه من تلك الفنون التي يتحكم فيها الذوق بأقصى حدود التحكم فله جماله وله قبحه فلتن اختللت اطوار الأدب العربي في القرون التي تعاقبت عليه فذلك من جراء تقلبات الذوق ومن احتكاك الذوق العربي بأذواق الأمم الأخرى ولا يصح لنا أبداً ان نصف هذا الذوق بسلامته مره وبفساده أخرى فمنذ كان الأدب العربي يتذوق الكلام المسجع فله ذوقه وليس لنا أن نعارضه في ذوقه الا اذا أخلّ بأداء المعاني فان هذا الاخالل شيء حقيقي واقعي لا علاقة لحكم الذوق فيه فيجوز لنا أن نأخذ ذريعة للطعن في هذا النوع من الأدب.

واليوم إذا أبى العربي أن يتذوق (أدب القصّة) أو هذا الفن الغربي الجديد فلا يحق للغربي او المستغرب ان يطعن في سلامه ذوقه كما لا يصح لنا ان نطعن في اذواق غيرنا إذا استهجنوا بعض ألوان الأدب عندنا وعشاق لون هذا الأدب إنما عليهم ان يوجدوا الطريق السهل للتربية اذواق ادباء اللغة العربية فإذا أباها الأدب العربي عندئذ فلهم ما يشاؤون في الحكم بفساد ذوقه على شريطة ان يفسروه بعدم قبوله للتربية لا أكثر . وإنما اليوم - وأمامي هذه الأضمام من القصص العراقية للأخ الاستاذ (ضياء سعيد) لأقول عنها كلمتي - وإنما اشكر منه قبل كل شيء هذه الثقة بي لا أخشى



على نفسي النقص إذا قلت اني لا اتذوق القصص وان كنت أحب لنفسي ان تتكلف هذا الذوق لئلا اخالف الشعور العام الجديد في القصة ولعله الآن ندم على اختياري للمقدمة، ولو علم من قبل ذلك هذا الذوق الخاص السليم او السقيم لا يصح ان تحكم أنت على أحد هما لما مكتنني من مقدمة كتابه بعد للنشر الى منتدى النشر فمن يضمن عندي قلمي الا يحرر كلمته عن الكتاب.

ومع ذلك وليطمئن الاخ المؤلف اني لست محروماً من هذا الذوق كله في أدب القصة وفيها عرضه على ذوقي من كثير من القصص العربية لم أجده فيها الحلاوة التي ذقتها في هذه القصص العراقية ولما كنت اقرأ بعضها في الهاتف الغراء وجميعها في كتابك كنت اجد فيها لذة تحملني على انهاء القصة قراءة بلهفة وشوق واكثر من ذلك فاني اعرف فوائد القصة من الناحية المنطقية التي لا علاقة للذوق فيها، فأاعرف انها أداة قوية لنشر الثقافة العامة اذا استخدمت عند من يتذوقّها فيستطيع القصصي ان يخلق في قارئيه افكاراً عالية والثقافة التي يريدها من طريق التسلية بالقصة، واذا كنت قرأت بعض القصص للكتاب فلم أجد فيها لونا ولا طعم ولا قرأت فيها نفس كاتبها، فاني قرأت في اكثر قصصك - أيها الاخ - هذه الروح القوية التي يحملها قلمك بل قلبك الظاهر المغمور بالسلامة واللطف والحنان والابنان.

ولا اكتمك ولا اكتم القارئ - ان أكثر ما أعجبني من هذه القصص هذه الروح التي تذوب في خلال سطورها فتظهر مرأة قوية جباره وآخرى رقيقة حنونة وثالثة مؤمنة بالله قانعة ورابعة متبرمة بالأخلاق الفاسدة وبيهرجة المدنية وخامسة ساخرة بالأوهام والضلالات ولعلي واثق من القول بأنك عرفت كيف تستخدم هذه الروح لإفراغ هذه القصة وبالاً صحيحة عرفت كيف تستخدم القصة لإفراغ هذه الروح.

وإن طالبني القارئ برأيي في اسلوب هذا المؤلف الإنساني فيكتفي ان ارجعه الى اي قصة منه فهي تحدثه عن اسلوب جديد وبيان بلية له حلاوته وبراعته وحيثئذ استطيع ان



اقتنص منه الرأي قبل اعطائهرأيي فأحصل على موافقته كما أريد، وقبل كل شيء اريده ان يعلم اني لما قرأت لأول مرة إحدى قصصه في الهاتف الغراء داخلي بعض ما يداخل الناس عندما يقرؤون لأشخاص لم يعهد لهم النشر والتاليف ولم أكن منفرداً في تحمل هذا الريب أو الذنب ولكن استطاع الاستاذ (ضياء سعيد) مؤلف هذا الكتاب بظرف قصير أن يثبت لي ولغيري كفاءته الشخصية وبراعته الفنية فاشغل كرسياً شاغراً من كراسي الادباء أو (أدباء القصة) بالأحرى وفاز بإعجاب الادباء وتقديرهم وإذاعتهم بعيقرنّته فليسمح لي أن أنهنّه بهذا الفوز والنجاح وقد ادعى كثير من القصصين انهم نهجوا في قصصهم نهج المذهب الواقعى فوصفوا لنا الحياة الاجتماعية على ما هي عليه ولكن هناك فرق بين من يعرض علينا العاطفة صحيحة واضحة لا غباوة فيها يقنعوا بصحته ويقفنا بحسن نيته وبين من يعرض لنا ملتاثة سقية فتحس ان في نفس الأديب غرضاً وفي طبعه زيفاً وفي ذوقه سقماً فالأديب القصصي الواقعى المخلص الصحيح العقل يكون مرشدًا أكثر من المرشدين وواعظاً دونه الوعاظ حينما يعرض للرذيلة فيرسمها والى الشر فيصوّره تصویراً أميناً، فكتابك هذا يا صديقي جاء كما اريد وهو آية في الابداع فهنيئاً لك ما اخرجه للناس من أدب وفن وتقبل مني تحية طيبة مباركة ولم يبق الا ان اتمنى لك ان تستمر في خطتك الادبية هذه لتحتفف قراءك بين الفينة والاخرى بما يسد الفراغ الموجود في القصة العراقية التي اتمنى لها الذيوع ل تستغل لنشر الثقافة العامة والأخلاق الفاضلة وأعتقد ان قصصك مما يساعد على تربية الاذواق التي لا تتألف هذا اللون من الأدب ولعلي أنا منهم.



### رشحات الفيوض<sup>(١)</sup>

فن العروض - على ما أعرفه - فنٌ ضيقة دائرة محدودة مسائله أبدع فيه واضعه (الخليل) رحمه الله فأنهاه إلى حده المحدود فلم تغفله درّة يلتقطها سواه ولم يخطئه تنقيبه لؤلؤة يغوص عليها غيره إلاّ يسيراً ليس له ذلك الاهتمام وقد استوفاه تلاميذه وأتباعه فلا مجال لأي مؤلف بعد هذا أن يضيف حلقة إلى سلسلته.

ولكن النقص الذي يستدرك فيما رأيته من التأليف الموضوعة لهذا الفن حسن الأسلوب وجمال الذوق في الترتيب والتبويب وتقريريه إلى طالبيه بوضوح العبارة.

ولما اتفق لي أن أقف وقفه المستعجل على (رشحات) قلم صديقنا الأديب الفاضل (الجواهري) في كتابه هذا واستشرف على رياضه الزاهرة اليانعة أكبرت جميل ذوقه الرائع وروعه أسلوبه الطريي ورأيته قد حاول أن يسد ذلك النقص في (رشحات فيوضه) فكانت محاولته الموفقه وكان عمله المشكور لابناء الصاد ومتذوّقى هذا الفن.

ولقد جاء كما شاءت له عبريتته وهبته يسد فراغاً من بين كتب هذا الفن ليس بالقليل فكان جديراً بالإعجاب والتقدير وكان جديراً بالاقتناء وكان مقرّباً لمسافة روّاد علم العروض وساداً حاجتهم.

فيما بورك بمؤلفه الفاضل المهدّب ووّفق لاستمراره في أعماله إلى حيث تتطلّبه هبته الشّماء من التأليف والإبداع.

١٣٥٣ / ٦ / ٢

(١) تقديم كتاب رشحات الفيوض إلى علم العروض، تأليف الشيخ علي مير أحمد الجوهرى، الطبعة الأولى مطبعة أهل البيت /١٤١١ ١٣٧٠ قم.



## شعراء العراق<sup>(١)</sup>

إن المترجم الذي يريد أن يجعل موضوعه رجال وطن خاص عليه ان يراعي ناحية ولادة أولئك الرجال ونشأتهم كل المراعاة ان يعطيها ما تستحق ولكن مؤلف كتاب (شعراء العراق) أبى إلاّ أن يقول في مقدمة الجزء الأول «قد راعت هذه الناحية بعض المراعاة واعطيتها ما تستحق» فكيف راعاها بعض المراعاة ثم اعطتها ما تستحق؟ وهنا ستعلم في ذهنك خاطرة ان موضوع كلمتي هو هذا الكتاب! ولا شك انك أصبحت في حدسك.

وبماذا تحصل نسبة المرء إلى الوطن؟

يفرض عليك مؤلف (شعراء العراق) ألا تنسى أن التربية وحدها كافية لأن يستدل بها على وطنيّة الشاعر. اذن فالذي تربى في مدارس انكلترا عالم انكليزي وفي اميركا عالم امريكي وان كان من زنوج افريقيا، فإذا أردنا أن نترجم علماء وادباء الانكليز

(١) تقديم كتاب شعراء العراق تأليف صاحب (عبد الصاحب)، مجلة الاعتدال النجفية العدد التاسع السنة الخامسة شوال ١٣٥٨ - تشرين الثاني ١٩٣٩ ص ٥١١.  
وترجمة المؤلف عبد الصاحب عمران الدجيلي (١٩١٣ - ١٩٩٥): باحث، أديب، مؤرّخ، شاعر. ولد في النجف ونشأ على والده وقرأ مقدماته على أستاذته عصّره وتوسّع في الأدب وتاريخه ونشر مقالاته الأدبية في الصحف العربية وعيّن بالمدارس النجفية أستاذًا للأدب العربي وأحيل على التقاعد. له من المطبوع: شعراء العصور ١ - ٣، شعراء العراق، أعلام العرب في العلوم والفنون ١ - ٣، الشعوبية وشعرياتها، أنسام وأعاصير (ديوان شعر)، ديوان دعبد المخزاعي. توفي في النجف خنقاً من بعض اللصوص بداره يوم ١٢ شعبان ١٤١٥ هـ.

مصادر ترجمته: الأعلام ٤/١٠، شعراء الغرب ٥/٤٣٦، معجم الأدباء ٣/٤٠٥، ماضي النجف ٢٧٩/٢، الذريعة ١٤/١٩٩٤، معجم المؤلفين ٢/٢٨١، نقابة البشر ١/٣٥٢.



لابد وان نترجم كل من تربى في جامعاتها ومدارسها؛ وتعد في عصور الخلافة العباسية هي الجامعة الكبرى التي تلتقي فيها جميع ثقافات الامم الإسلامية، فاكثر شعراء البلاد العرب منهم والمستعربون هم شعراء العراق على هذا الفرض! فهل هذا صحيح؟ لا شك في صحة هذا عند المؤلف ”حيث تربى الشخص اعتبر ذلك وطنا صحيحاً له، بقى علينا أن نعرف رأي القارئ في ذلك!

وأكبر الظن ان حب مؤلفنا لوطنه - وللعاطفة اثر كبير لا يسلم منه اكثرا المؤرخين - جعل لموضوع كتاب اوسع حد ممكن، حيث يدخل في اكثرا شعراء اللغة العربية فيكتب هذه المفخرة للعراق، على أن مفاخرة العراق بشعراه اغنى له من اضافة ما ليس له.

### مؤلف الكتاب

هو الأديب اللامع صاحب الدجيلي وإذا ذكرته فإني أذكره بإعجاب، إن هذا الشاب شغوف بالأدب منذ نعومة (أظفاره) ولقد قضى شرخ شبابه باحثاً ومنقباً الكتب الأدبية ببحث ويستفيد لاهياً عن كل ما يشغل الشباب فاستطاع ان يرتب من بين مبعثراتها كتابه الذي أسماه (شعراء العصور) في ثلاثة أجزاء صغار، ونشره قبل سنوات، فكان أنموذجاً لجهود الشباب مكللاً بالنجاح، ومنسقاً بذوقه الادبي الرقيق، يرجع اليه الباحث المتبع، مع فكرة صغيرة عن كل شاعر يستريح اليها المتأنب فتعينيه عن اضاعة الوقت في مطولات الكتب.

وفي عقيدتي أنه في هذا الجزء الأول الذي ظهر من (شعراء العراق) أكثر توفيقاً وأبعد نظراً وأغزر مادة، وسيأخذ له مكاناً مرموقاً في المكتبة العربية إذا تمت اجزاؤه الثلاثة ونرجو ان يتوفق أكثر فيتفوق في الجزأين الآخرين.



وأنت تراه في هذا الجزء الذي يبحث فيه عن شعراء العراق في العصر الجاهلي والإسلامي والعباسي ويقع في (١٣٦) صفحة ويترجم (٥٣) شاعرًا من فحول الشعراء أول ما يذكر اسم الشاعر بحروف بارزة ويضع على يساره تاريخ المولد والوفاة، ثم يأخذ في ترجمته في ثلاثة مراحل: في الأولى يعطيك نبذة ناضجة عن تاريخ حياته وفي الثانية يتكلّم عن منزلته الأدبية وفي الثالثة يمر بك على بعض المختار من شعره.

وهكذا يسير على هذه الخطة المحمودة في كل هذا الجزء؛ فيجمع مميزات الشاعر في صفحة او صفحتين يطمئن إليها الأديب. ولا شك انه مجهد شاق يقدر عليه وإذا كان هذا مجهد عصارة الشباب فنحن ننتظر (مع المعجبين بنبوغه) روحًا أدبيا في مستقبل حكمة الكهولة يجعله في مصاف نوابع الأدب في العراق. رزقه الله طول الحياة والتفرغ لخدمة الأدب والتأليف.



### مقدمة كتاب العقد المنير<sup>(١)</sup>

من النواحي الفقهية التي ما زالت تشغل بالفقهاء، وتدخل في صميم استنباط الأحكام الشرعية، هي مسائل الموازين، والمقاييس، والنقود، والمقادير، لكثير من الأشياء التي وقعت موضوعات لكثير من الأحكام في الشعع الإسلامي المقدس وما تزال موضع ابتلاء عامة الناس في حياتهم الدينية.

ومن بينها – ولعلها في القمة منها – مقادير النقود من الدرارهم والدنانير التي ورد ذكرها في كثير من الأحاديث، وهي موضوعات لكثير من الأحكام، في جملة من الفروع الفقهية.

ولا تزال هذه المقادير – ومنها النقود بالخصوص – موضع شك، وموضع رد وبدل، ويبحث وكلام، عند الفقهاء – وهي في الحقيقة – من المشاكل العريضة في الفقه الإسلامي. وهذا ما جعلها من الموضوعات التي تحتاج إلى الاستنباط والاجتهاد، أي من الموضوعات الاجتهادية التي يجب الرجوع فيها إلى المجتهد.

وتحقيق بكل واحد من هذه الموضوعات أن ينفرد بالبحث، استقصاء لجميع نواحي الكلام فيها، ولجميع أحكامها، كما وضعت بعض الرسائل في الموازين والمقاييس، من قبل بعض العلماء ولما كانت هذه المقدمة موضوعة تمهدًا لخصوص هذا الكتاب الجليل فإن الجدير بي أن نتحدث عن مشكلة “النقد” بالخصوص.

والذي أعتقد أن سر المشكلة فيها يكمن في أمرين:

(١) مقدمة كتاب العقد المنير في تحقيق ما يتعلق بالدرارهم والدنانير تأليف السيد موسى الحسبي المازندراني ج ١ ط ١٣٨٢ مكتبة الصدوق طهران.



١. إن النقود في العصر الإسلامي الأول التي جاء ذكرها في الأحاديث، ألغى التداول بها من أقدم العصور الإسلامية، وببعضها ألغى منها حتى أسماؤها ومصطلحاتها، فبقيت تاريخاً محاطاً بكثير من الشك والغموض، ولم نعد نفهم حق الفهم تلك المصطلحات كما كان يفهمها من خطوب بها في الأحاديث عنها في تلك العصور، كالدرهم البغلي الذي جاء ذكره في أحاديث مقدار المغفور عنه من الدم في الصلاة، وغيره كثير.

إن تلك النقود - حتى في العصر الإسلامي الأول - كانت مختلفة كل الاختلاف في مقاديرها من ناحية المساحة، والحجم، والوزن، والقيمة، وكل واحدة من هذه النواحي موضع تعلق لحكم من الاحكام المختلفة. وهذا ما يقضى علينا ان نضبطها ضبطاً دقيقاً يزيل التردد فيها والشك حد الامكان.

والفقهاء - رضوان الله عليهم - لم يألوا جهداً في بحث هذه النواحي وغيرها، ولم آراء مختلفة فيها وتوجيهات متعددة، ولكن لازالت هذه الابحاث مبعثرة في غضون الكتب الفقهية، متشربة في جميع أبواب الفقه، غير منقحة التنقية الكافي الذي يرکن إليه. فكان - والحال هذه - مما يعسر جداً على الفقيه الباحث الذي يريد ان يلم بجميع أطراف هذه الموضوعات ان يتيسر له الرجوع الى جميع ما كتب عنها واستيفاء البحث عنها، لأن هذا ما يتطلب جهداً مضنياً، ووقتاً طويلاً، وفراغاً واسعاً لا يعرف مداه إلا من ابتلي بهذه المسائل وتحرأها للعثور على مظان البحث عنها في مواضعها المتفرقة في الكتب الفقهية الاستدلالية غير المفهرسة ولا المعونة، ولا المرقمة، لاسيما المطبوعة على الحجر.

ولو شك ان يتيسر هذه الموضوعات بجمع متفرقاتها في كتاب واحد من أهم ما ينبغي ان يعني به الباحثون، وهو ما يسد فراغاً كبيراً في كتبنا الفقهية.



وموضوع ”النقد“ بالخصوص لم توضع فيه رسالة خاصة مستقلة فيما أعلم.

وقد كنت أنا من الناس الذين تشغلهن هذه النواحي ويتمون أن تتهيأ الفرصة لتبني مسائلها، وتوضيحها، واستيفاء حقها من البحث والتنقيب والتحقيق، وقد شكرت الله تعالى على أن يتهيأ في هذا العصر باحث قدير وعالم متبع يعني بهذه الأمور فيهض مشمراً عن ساعد الجد بالبحث عنها، والتأليف فيها كالأخ العلامة الأجل حجة الإسلام والمسلمين الحاج السيد موسى المازندراني أيده الله تعالى، وأيد به الدين الإسلامي الحنيف.

فإنه - حفظه الله تعالى - قد انبرى إلى موضوع ”النقد“ في مبكر من تاريخ حياته العلمية يوم كان مشغولاً بالتحصيل في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، فوضع كتاباً طريفاً وافياً بكل ما يخص موضوع ”النقد“ أدى جهده العلمي يومئذ الحق المطلوب من مثله وأكثر، حتى كان موضع تقدير العلماء وثنائهم الجميل.

وكان قد نشر هذا الكتاب باسم ”العقد المير في تحقيق ما يتعلّق بالدرارهم والدنانير“ في النجف الأشرف وطبع في المطبعة العلمية سنة ١٣٦١ هـ أي قبل تسعه عشر عاماً وأضاف له خاتمة في المقاييس والموازين هي في المقاييس العلمية ذات وزن كبير.

والشيء المسر حقاً أن ينبري مؤلفه - حفظه الله - مرة أخرى إلى هذا الموضوع بعد أن اكتملت عنده وسائل البحث والتنقيب عن النقد القديمة والحديثة، فأعاد النظر في كتابه، وقتلته بحثاً ودرساً، ووسعه إلى النحو الذي يتطلبه المنهج العلمي الدقيق، والوسائل البحثية الحديثة عن تاريخ النقد، فأصبح الكتاب كتاباً ثلاثة أكثر اتقاناً، وأعزر مادة، وأنظم فكرة، وأبعد أثراً، وأنفع فائدة شكر الله تعالى مساعيه، وجعل مستقبله خيراً من ماضيه.

وإنني لوأثق أن هذا الكتاب الجليل، سيُسد فراغاً كبيراً في المكتبة الفقهية الإسلامية،



ويمهد لطلاب العلم الوصول الى الغاية بأقرب سبيل، ويوفر عليهم وقتاً كثيراً كان يضيع سدى في التفتيش في بطون الكتب ومصادر البحث عن هذا الموضوع، في الموضع المتفرقه المتراميه الأطراف.

ومن الطبيعي ان يكون لهذا الكتاب شأنه الذي يستحقه من التقدير، ونصيبيه الوافر من الانتشار والذيع والاستفادة مد الله تعالى في عمر مؤلفه الشريف ليحقق مشروعات أخرى في التأليف تسد فراغات اخرى لatzal تتظر من ينبرى لها من المجاهدين ذوي الكفايات، واللياقات العلمية والفكرية والله تعالى هو الموفق المسدد لكل صواب.

٢ شهر رمضان المبارك ١٣٨٠ هـ



## العاصمة الدينية الكبرى

تقديم كتاب مشهد الإمام مؤلفه محمد علي جعفر التميمي<sup>(١)</sup>

لا شك أن النشاط الفكري الذي حظيت به هذه البلدة العلمية من عهود بعيدة، مضافاً إلى ما لها من نشاط سياسي وخلق اجتماعي ونزعه حرية، مضافاً ذلك كله إلى مركزها الديني من جهة كونها عتبة مقدسة تضم مرقد سيد الكوئين أمير المؤمنين عليه السلام هي مهوى أفئدة ملايين المسلمين وموضع عناء ملوكهم وأمرائهم من جهة كونها عاصمة دينية هي مرجع تقليد طائفة كبيرة من المسلمين، كل ذلك جعل تأريخها حافلا بكثير من المزايا التي تغرى المؤرخين والمعطشين للبحث بأن يتبعوا الزوايا المهملة والأثار المبعثرة والخيايا المنسية.

ولكن بقدر ما لهذه البلدة من صور لامعة في تأريخها العلمي يبتدىء من عهد الشيخ الطوسي العظيم المتوفى سنة ٤٦٠ هـ، قد منيت - وباللاإسف - بالغموض في سلسلة حوادثها التأريخية والعلمية بسبب حرمانها من يسجل تأريخها وتاريخ رجالها في تلك العصور الغابرة، ولعل السر ان حركتها الثقافية كانت ولا تزال منصرفة بكلها إلى التخصص بالفقه الإسلامي وما يتصل به، فلم يكن من العلماء ولا الأدباء على كثرتهم طيلة تأريخها المجيد من أهتم بهذه الناحية - أعني الناحية التأريخية - فلم يُسجل من تأريخ هذه العاصمة الدينية شيء يستحق الذكر والعناء، وبقيت فيه مجالات البحث

(١) مقدمة كتاب مشهد الإمام مؤلفه محمد علي جعفر التميمي وهو بأربعة أجزاء. بحث في الأول منها تاريخ تأسيس النجف، عمارة المشهد العلوى وفي بقية الأجزاء اهتم بترجمة أعلام الأسر النجفية. وميزته أنه استقى المعلومات مما هيأ له رجال كل أسرة من تأريخها طبع في المطبعة الحيدرية عام ١٩٥٥.



لا تزال بكرأً لم تتوفّر له المصادر المبسطة غير ما هو مبعثر في الزوايا وبطون الكتب، ومخيبات الآثار والجاميع وهذا ما يحز في نفس كل من يتطلع إلى الماضي ليفتش عن حوادثه وكل من يهمه أن يسجل سلسلة تأريخها الحافل بجلال الآثار والأعمال.

وهنا يتجلّى مقدار التبعة الملقة على عاتق من يقحم نفسه في تسجيل تأريخ هذه البلدة، كما يتجلّى ما يلاقيه من عقبات كأدء في طريقه قد تحمل أقوى الناس شكيمة على المزيمة من هذا الميدان. ومن خرج ظافراً ولو بعض الظفر في تسجيل ما قصر فيه التاريخ القديم فانه يستحق التقدير والاعجاب بل الشكر. وفي هذه العصور الأخيرة عني جماعة بتدارك ما فات السابقين من تأريخ هذه العاصمة الدينية، ولم تظفر المطبع بتناجمهم على رغم الحاجة إلى مثله، وكأنهم درجوا على نهج السابقين أيضاً في اهمال هذا الواجب المقدس عدا الاستاذ الجليل الشيخ جعفر محبوبة في الجزء الاول من كتابه (ماضي النجف وحاضرها) الذي لم يفتني ان اقول كلمتي عنه حين صدوره، وقد نشرت في مجلة "الاعتدال" الغراء المحتجبة.

وأرأي الآن متلهفاً لصدور هذا الكتاب الثاني عن تأريخ النجف الذي مكتنني الاستاذ "التميمي" من الاطلاع على الجزء الاول منه لأقدمه إلى القراء وكان أول ما واجهني واعجبني منه تحريره لدقائق التاريخ عن مرقد الامام عليه السلام وان كان فيه من التكرار ما أرجو ان ينخله منه عند تجديد طبعه للمرة الثانية وليس هي بال بعيدة عليه.

وانه ليستشـف القارئ من صفحاته مقدار الجهد المبذول من المؤلف والصبر على التتبع لالتقاط النوادر من تأريخ هذا المرقد المقدس، ولم شعـث ما تفرق في الكتب والصحائف المطوية والصحف المشورة، وألف بين متفرقات ما استوعبته الآثار. فجاء في مجموعه مجهوداً مشكوراً وعملاً مموداً وسجلاً خالداً لكثير من المطويات المعروضة للإهمال والنسيان، شكر الله سعيه وأجزل ثوابه وجعل عمله خالصاً لوجهه الكريم،



وحقیق بمن تمسک بالعروة الوثقی من خدمة سید الكونین ورئیس الموحدین وامام الاهین، ان یستلهم من روحه الجبارۃ، ونفسه العظیمة الطاهرة المؤمنة، ما یجعل منه عاشقاً للحقيقة المجردة، وملهماً یرنو الى نور الحق الابلج.

وبحذا لو ینال هذا الكتاب الحظوة لدی کل عالم ومتعلم وأرجو أن یسد الفراغ الذي نحس به في هذا الباب، ويتدارک ما فات الاولین من القيام بهذا الواجب وجدير بأن یقتنيه کل من يتطلع الى تأریخ هذا البلد المقدس وفقه الله تعالى الى اكماله، وأرجو لكتابه الرواج والانتشار لیعم الانتفاع به ومن الله تعالى نستمد التأیید والتسدید.

١٧ جمادی الاولی سنة ١٣٧٢ هـ



### حافظ القبائل العربية على تقاليدها<sup>(١)</sup>

أرأيت تلك الجماعات الحرة على ضفاف الرافين (الجماعات بكسر الجيم في لغة القرويين بالعراق) أم رأت مثالها في بلادنا العربية البدوية؟  
أرأيتها كيف تربح بجوها الطليق الفاتن، وتعيش في استقلالها الفكري والاجتماعي،  
وتتمتع في سذاجة عيشها وخشونته؟

لعلك كنت رأيتها، فأصبح من افتتن بجمال نفوسها او كرم طباعها وسمو اخلاقها  
ورباطة جأشها وقوة قلوبها وابائها على الخسف والضيم!

أفي ذلك من سر غير ان تلكم الحرية الطليقة والعيش الساذج الخشن يبعثان على  
مثل هذه التربية العالمية، تلك التربية التي حاولتها المدنية الحديثة المزيفة من طريق آخر  
فأخفقت وجرها الترف إلى الخنوع والنرجوع والضعف والخور (فان الترف.....).

نعم! وكم في تلك القبائل الحرة من صفات اخرى تشاهد فيها صلابة عودها

(١) عنوان التصدير لكتاب القضاء العشائري تأليف فريق المزهر الفرعون حيث أشاد بالتصدير يقوله: هبطت علينا من وادي الغري ينبع العلم وعاصمة الأدب وباب حطة الله ومنبع الفقه الإسلامي رسالة من الأديب الفاضل الأستاذ العلامّة الشيخ محمد رضا المظفر معتمد منتدى النشر في النجف الأشرف يقرّظ فيها كتابنا (القضاء العشائري) وحيث أن الرسالة ذات مغزى أكثر من أن تكون تقريراً لذلك فإننا نثبتّها مفخرة للقضاء العشائري ولتكون مشكاة يُستضاء بها ونوراً يُهتدى على ضوئها.

أما المؤلف المرحوم الشيخ فريق (١٨٩٠ - ١٩٦٥) وهو أحد زعماء العشائر العراقية من ساهم في ثورة العشرين وله مواقف وطنية مشهودة انتخب عضواً في مجلس النواب في دورتين ١٩٣٥ و١٩٣٩ وله كذلك كتاب الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ١٩٢٠ . من مصادر ترجمته معجم المؤلفين ٤٩٢ / ٢، معجم الادباء د. كامل الجبوري ٤٤٣ / ٣.



وقوتها المعنوية منبعثة من تلکم الحرية والبساطة، هي استمساكها بنسبها القبلي ومباغتها في المحافظة على تسلسله إلى جدها الأعلى الذي تحت راية اسمه تجتمع كلمة القبيلة وتتوحد صفوتها، وبه فخرها وعزها.

هذا هو طبع العربي الصريح وطابعه الذي ليس لأمة أخرى من أمم الأرض وهو دليل نقاوة دم الوشیج من أرومته - فیری في نسبة الصراح عنوان مجده الخالد وسر فخره التلید ومحض عزه القومي، بل يرى فيه كل معنى عروبته التي تجتمع حدودها في نسبة ومجتمع نسبة في حدودها، ولا يرى اقبح من أن يكون المرء أعمجياً لا يتصل له نسب معروف ولا قبيلة تذكر فتشكره.

ولا تعجب بعد هذا إذا رأيت القبائل العربية قد اتخذت لها طابعاً خاصاً من عاداتها القديمة وتقاليدها الموروث من الآباء والأجداد، فتشتقت الحفاظ عليها من المحافظة على نهجها وتجدد فيها أن فيها مفخرة القبيلة واعتصامها وسر جامعتها وكيانها، فتستعصي على كل من يحاول ابتزازها هذا التراث الخالد بخلود القبيلة الخالدة بخلوده، حتى إن الباحث قد يرجع به تاريخ بعض العادات والتقاليد في القبائل العربية إلى ما قبل الإسلام ذلك الإسلام الذي جاء منها وإليها، فيرى أن بعضها قد تمنع على تعاليم الإسلام أن يتأثر بها كل التأثير خصوصاً في أحوال القبائل الشخصية ونظمها الاجتماعية في علاقتها بكل قبيلة بأخرى وعلاقتها بأفراد القبيلة الواحدة، تلك الاحوال والنظم التي تسمى بالأحكام العشائرية وتعطي بالأخير اسم (قانون العشائر)، فيفوز هذا القانون متتصراً في هذا العصر عصر التطور والتجدد في كل مناحي الحياة.

ولا يغيب عليك أن تعلم أن من نوع هذه المناعة والمحافظة هذا المؤلف القيم الذي بين أيدينا والذي قام به مستسهلاً كل صعب الزعيم الفاضل الشيخ فريق المزهر، وقد رأى أن التطور قد دبّ في محيط العشيرة العراقية، وأخذت تستسیغ التحضر الذي قد



يقضي على الحفاظ العربي في تقاليده، فيجري إلى التساهل أيضاً في نسب القبيلة الذي يراه العربي - كما قدمنا - هو كل معنى عروبه التي يعتز بها ويفتخرون بل هو كل ما في نفسه من معان سامية وأخلاق عالية.

فأراد المؤلف أن يجمع هذه التقاليد والعادات لقبائل العراق في كتاب يبقى للأجيال المقبلة، لا للتاريخ فقط ولكن ليحتفظ بتراث تلك القبائل ألا تنساه. حتى تبقى في مناعتتها مستعصية على الحضارة الغربية (الزائفة اليوم وبعد اليوم) التي هاجمتها وحاولت أو تحاول ان تأخذ بأيدي أولئك العرب الأباء المتمتعين بهذه الحرية الواسعة إلى سور من التحضر الضيق في جوه ومحيطة.

ولعل المؤلف الرعيم أقدر الناس على تأليف هذه المجموعة النادرة في قيمتها التاريخية، وهو - سدد الله خطاه - أضاف إلى البراعة والبراعة علمًا جماً بشؤون العشائر العراقية، وكفى أنه أجدر زعماء الأفذاذ الواقفين على سبر أغوارها.

ويكفي أن يكون هذا الكتاب بذرة ومادة لكل من أراد أن يطرق هذا الموضوع البكر الذي افتح بابه وافتض بكارته، وهو أول زعيم فيما أعرف من زعماء القبائل اشتغل في التأليف خصوصاً في موضوع خطير كهذا ونرجو أن يوفق في باقي مؤلفاته كتوفيقه في هذا الكتاب الذي حاز فيه فضيلة الابتكار والتقدم لا عدم الأدب أمثاله.

النجف الأشرف، معتمد منتدى النشر، ١٣٦٠ ربیع الثاني سنة



## على هامش كتاب ماضي النجف وحاضرها

... تعرف مؤلف كتاب (ماضي النجف وحاضرها)<sup>(١)</sup> الأستاذ الشيخ جعفر محبوبه عند أول اتصالك به، بلباقته وبراعته في استخراج نتف التاريخ عن النجف، ومن بين الكتب الكثيرة الأوراق المبعثرة هنا هناك شغف يقتل وقته الثمين في استخراج كلمة واحدة قد لا تستحق في نظرك بعض هذا العناء، ولكنه نفسه يعرف قيمتها كدرة لا تقدر بثمن، فينظمها إلى أختها، حتى استطاع أن يطلع علينا بكتابه هذا العجيب، الذي ابتعاه بشمن من العمر غالٍ، وبعنفوان شبابه حتى هذا العام !

كثير هؤلاء الأثريون الذين يهيم هياهم على ورقة قد لا يكون لها قيمة معنوية سوى أنها بالية، أو فيها كلمة بالية، وإذا شاهدتهم لا يسعك إلا أن تسخر بهم ويضحكك طيشهم، وفي عين الوقت يهزّون بك أشد ما تتصور، وقد لا يرون لك قيمة في المجتمع أو الحياة، ومنهم مؤلف هذا الكتاب، فجاء كتابه يمثل حرص الأثري المنكب عن كل غُثٍ وسمين ورخيصٍ وغالٍ وقد لا يدع لنفسه مجالاً للاختيار، ولا

(١) وهو كتاب مهم في بابه وله الامتياز على المؤلفات الصادرة في تاريخ النجف الأشرف من حيث السبق ولما تضمنه من المعلومات التفصية لأن الشيخ آل محبوبه أدرك في عصره أمة من المعينين بهذا التاريخ واطلع بنفسه على أصول الوثائق والصكوك والمجاميع ونقل منها مباشرة أو بالواسطة القريبة إلى كثير من الشخصيات والأحداث وكان من ذلك ما أشار إليه في المقدمة... (وأني لاقت المتاعب والمشاق في جمع هذه الأوراق ونقبت عن محتوياتها كثيراً وسافرت في طلبها عدة أسفار ولم يكن من همي تزويق الألفاظ الفارغة.... ما أشار إليه الشيخ المظفر في قراءته للكتاب.

وما دبجه قلم الإمام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في المقدمة بحق الكتاب المؤلف بأنه حاز فضيلة السبق والابتكار إلى تأليف ضروري لابد منه وقد فتح الباب لمن بعده.. وليرعلم أن كتابه من الكتب الحالدة والآثار القيمة التي تمثي مع الزمان وتسير مسیر الأفلاك ..



لفكره دليلاً للنقد وبالرغم من ذلك قد يدرك من نفسه هذا الحرص، فيقول لك في صفحة (٥٨): (وأكثراً الشعر المثبت على أحجار الكاشي من الشعر الرديء الضعيف، وإنما أثبتناه حفظاً للآثار).

يريحك المؤرخ بالأمس على الأكثر في أمانة النقل عن كل ما يسمعه ويقرأه ويقف عندها عن كل رأي وتعليق وشقة المؤلف اليوم بعيدة عنه كل البعد، فلا يجدىك إلا عن كل ما يظنه أو يعتقد صواباً، استخر جه من بطون الكتب وثنيات الأوراق والصحف، وأضاف إليه خيالات وظنونا يدعمها بكلمة الفن والعلم، فيريحك - يائساً - من أمانة النقل وتستريح به إلى صورة تأريخية تفهمها من طرفها.

أما صديقنا مؤلف هذا الكتاب فهو يتردد بين الذوقين:-

يغترف من هذا لذلك ومن ذاك لهذا وأراد - على ما أحسب - أن يطل من نافذته على الأسلوب الحديث من التاريخ والبيان ليتناول منها ما يرضي قارئه على الأكثر، لولا ان يده لم تستطع ان تتناول اضماماً كافية لتزويد ذوقه، فكانت ترى الذوقين المتبعدين يتزاحمان ويتصارعان فيتغلب أحدهما - والأرجح هو الأول - وعلى الأقل يتساويان - إذا أبيب ففيتتج منها أسلوب ثالث وحيد في بابه.

الليس كذلك أيها الصديق؟! وهنا اعترف بلباقتك، لما انهزمت لقولك في الصفحة الرابعة (لم يكن من همي تزويق الالفاظ الفارغة...)، فأذهب سالماً.

وبالغ المؤلف حقاً في جمع كتابه من زوايا متبااعدة كانت عزيزة على امثاله وتواضع إلى حد بعيد لكل حقيقة من درسة حتى أقنعوا أن تأتيه من مكمنها طائعة، فجمعه محيطاً بمختصر تاريخ النجف من شتى النواحي، ولا أجد له أخذيه كثير عذر، اذا ما كان غمض بعض الشخصيات كما يرون - وكما أرى أحياناً - أو أغفل بعض الحقائق التاريخية كما يعتقدون ولوه جواب واحد يكفيه اذا قال:- (على المرء ان يسعى بمقدار جهده....).



ومع هذا فلا أستطيع أن أغافل عما فاته من فن الطباعة كثيراً ومن رسم الخط، فجاء كتابه كما شاهدته أو تشاهده.

وبالأخير أعتقد أن من عرف كيف ذهبت آثار النجف وتبعثرت، يعرف قيمة مجهود المؤلف في استخراج كتابه الذي هو أول كتاب ظهر من نوعه، وقد زاد ثروة المكتبة العربية وأسدى للنجف وأهلها خدمة تذكر فتشكر على عمر الأيام.



# خواطر





### ثلاثة ألقاب<sup>(١)</sup>

ثلاثة ألقاب كان لها معنى عظيم عندنا كما لها عند غيرنا فعلاً فلما أسأنا استعمالها صارت لا تؤدي المعنى الذي وضع لها وهي:

أولاًً - لقب (العلامة) الذي صرنا نطلقه حتى على الناشئين والمبتدئين من طلاب العلوم الدينية.

ثانياً - لقب (الأستاذ) الذي صار يطمع فيه كل من كتب سطراً أو درس الأجرامية.

ثالثاً - لقب (المجتهد) الذي صار يدّعى كل من درس أوائل العلوم الدينية بعد أن كان من حقوق الرئيس الأعلى للطائفة.

### الحاكم الجائر<sup>(٢)</sup>

أهينيك وأعزيك

أهينيك

لأنك تدفع الرذيلة عن المساكين المحررين من سعة العيش، إذ تصبح  
- يا ظالم - خير متنفس مباح لضغفهم المكبوت بشتمهم ولعنهم لك.

فإن شعورهم بالحرمان إذا لم يجدك متنفساً له التمس في غيرك البريء مما سلقوه فيه  
بألسنة حداد ظليماً وعدواناً.

(١) البدرة السنة الثانية العدد الخامس.

(٢) مجلة النجف السنة الثانية العدد التاسع في ٢٢/ ذي الحجة/ ١٣٧٧ - ١٩٥٨ / تموز.



وأعزيك

لأن ظلمك تعبير صارخ عن نقصك الكامن المستور، وعن شعورك الباطن بضعة  
نفسك أو ضعفها فتؤلف بين رذيلتين، وتجمع بين فضيحتين.  
وبالأخير لا يفلح الظالمون، ولا ينجو إلا المخلصون  
فمن منكم (هل أنت - يا ظالم - أو المظلوم) هو الفائز...؟؟

أيها الإنسان <sup>(١)</sup>

### أحدثك

إن أكثرنا - نحن أبناء آدم - نتّهم أنفسنا بالكمال فنغضب عندما يصارحنا (الغير)  
بنقائصنا، مع أن الكمال لله وحده، وهذه التهمة - لو درينا - من أعظم نقائص البشر  
المستعصية لأنها سر فشل اطباء النفوس من اقدم العصور، فلا يؤثر طبهم في نفوس  
تتوهم أنها تتمتع بالصحة.

وهذه التهمة كالربا في المال يقصد بها الربح، لتربى في النفس كما لها الموهوم ولكنها  
تنقصه وتزيد في الخسارة، كعدد سالب نصيفه في (علم الجبر) الى عدد سالب ليتتج عدداً  
سالباً تحت (الصفر) هو مجموع العدددين.

والله إنما يربى (صدقات النفوس) في اعترافها بنقصها وتواضعها للحق، كعدد  
موجب نصيفه الى عدد سالب أقل منه فيستهلكه ويرفع بالمجموع الى ما فوق (الصفر)  
فيما آن للبشر ان يشفى من دائمه القديم بالتواضع.

(١) مجلة النجف السنة الثانية العدد الثالث عشر في ٤ / ربيع الثاني / ١٣٧٨ الموافق ١٨ / تشرين الأول / ١٩٥٨.

أيها الإنسان<sup>(١)</sup>

ترزعم أنك خليفة الله في أرضه، وأنت لا تعرف من أسرارها إلاّ ما يقنعك أنك جاهل بأصغر ما عليها وتدّعي أنك أقوى مخلوق في تدبيرك وأنت عاجز عن توجيه نفسك إلى حسن تدبيرها في أضعف ما عندك وتطمع في أن تخرق حجب الكون لترى ما وراء المنظور، وأنت لم تخل إلى الآن مشاكل نفسك الفكرية من أقدم العصور، حتى مشكلة أنك مختار أو مجبر.

فمتى ترزعم أن لا يحق لك أن ترزعم...؟

ومتى تدّعي ما ليس لك أن تدّعي...؟

ومتى تطمع إلاّ تطمع أن تكون الإنسان المظفر...؟

أيها الديinar<sup>(٢)</sup>

عليك من مخلصيك أفضل الثناء، لأنك استطعت أن تستبعد الأحرار بإغرائك، وتحرر العبيد بقدرتك، وتقيم الدنيا، وتقعدها بجبروتك.

أنت للسرّاق قائدتهم، للجرائم وللمرتشين مرشدتهم، لسحق الضمير وللأغنياء سيدهم الرؤوف بهم مع سجنهم لك، وللفقراء عدوّهم اللدود مع إخلاصهم في حبهم، وللمستعمرین مغريهم على وضع الأغلال في أنعاق الشعوب، وللمستعبدین المساكين سرّ بلوتهم في هذه الحياة.

أنت (زينة الحياة الدنيا) ولكنك لا تجتمع إلاّ في شح أو حرام، ولا تتفرق إلاّ من إسراف أو انتقام ومع ذلك انت للكريم عبد المطيع، وعند الزاهد أحق من قراضه

(١) مجلة النجف السنة الثانية العدد الخامس عشر في ٢٦/١١/١٩٥٨.

(٢) مجلة النجف السنة الثانية العددان السادس والسابع في ٥/ ذي القعدة ١٣٧٧ - ٢٤/ مايس ١٩٥٨.



الجلم<sup>(١)</sup>:

من أنت؟

هل تدری من أنت؟

أنت - أم أنا - ...؟؟؟....

أيها الشاب<sup>(٢)</sup>

أنت قوة الحق في وجود الإنسان ولك حق الوجود في قوة انسانيتك بل انت عنفوان الإنسانية في سموها وسمو النفس في عنفوانها الى حيث لا يتناهى من الكمال المطلق.

لا يجد منك إلا الجهل الموجه المشنط<sup>(٣)</sup> أو ظلم المعتدي المتغطرس أو مرض يقعد بك عما خلقت له ولأنك قراره الوارثات المتخلفة فلا تحرر إلا على اساس مئات منها تأخذ ناصيتك من سجن الى سجن فاحذر ان يضيع اسم الحرية من نفسك.

أصلاح ما ابنته لك الايام ليسلك الىأسوء ما اختفى من نفس الإنسانية المطلقة من الوحشية والجاهلية الاولى وانت لا تدری وخذ لنفسك من نفسك ما يصلحها تكون أنت...

أيها الطالب<sup>(٤)</sup>

أدعوك إلى شيء واحذر منه.. أدعوك إلى الاعتداد بنفسك، فان نفسك هي التي تلهمك الخير والأخلاق والعلم، لا محيطك ولا معلمك ولا كتابك، بل قد تحررك هذه

(١) الجلم: المقص الذي يجوز به أوبار الإبل والقراضة ما يقع منه قال الإمام علي عليه السلام فلتكن الدنيا في أعينكم من حثالة القرظ وقارضة الجلم..

(٢) نشرة البذرة السنة الأولى العدد السادس ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٣) المشنط: قيل شواء مشنط لم يبالغ في شيء.

(٤) مجلة النجف السنة الثانية العدد الثاني عشر في ٤ / ربيع الأول / ١٣٧٨ - ٨ / أيلول / ١٩٥٨ ،



الأشياء الى خسارة لا ربح بعدها ابداً.

وأحدرك أن تفهم منه الغرور بنفسك ل تستغنى بها عن الموجه محيطك ومعلمك وكتابك، فيا سوء طالع ذلك الطفل الذي يتعلم المشي وحده بالسقطة تلو السقطة وقد يهلك او يتعطل قبل ان يخطو خطوه الأولى.

وما أبعد المعرفة الشاهقة التي تناول المصائب الشائكة وتجابب الحياة القاسية.

حتى لو كنت فيها الرابع.

#### أيها العدل<sup>(١)</sup>

أشكرك: أنك ثقيل الظل على الناس، مر المذاق في الأفواه، شديد وقر الأسماع، وتبغضك القلوب حاذقة، وتعاديك القوة غالبة.

ومع ذلك تحاول ان تلجم المحافل فريداً مكرماً، وتقربك الحكومات ضيفاً عزيزاً، ويرصدك المستعمرون ضميراً حياً، وينصفك الجشعون إلفا صريحاً، ثم تطرد من بينهم جميعاً منبوداً مدحوراً.

فإلى متى تنخدع بمدحنة الكاذبين، وثناء المنافقين، وتملق الدجالين.. فانطلق من سجن الأرض الظلم أهلها إلى سماء الحرية اللامنهائي حيث (الحق المطلق) هو الحاكم.

#### أثمن نصيحة

ليس عندي أكثر مما تتلقّونه في تعليمات مدرستكم وإذا كان لابد من الجواب فليس هناك أولى في تقديم النصيحة لكم ولنفسي - بعد الوصية بالانقطاع الى العلم - من ان يستشعر الطالب بانه مجاهد في هذه الحرب العوان التي أثارها هذا العصر ضد الدين الإسلامي وما يتطلّبه هذا الجهاد من التضحية والشجاعة والاخلاص لله تعالى وحسن

(١) مجلة النجف السنة الثانية العدد الثامن في ٣/ ذي القعدة ١٣٧٧ - ١٩٥٨ / حزيران / ١٩٥٨ .



النية والصدق في القول والعمل ليكون مثالاً لمن لا تأخذ في الله لومة لائم.<sup>(١)</sup>

### ظاهرة الطالب الديني

لا شك أن أبرز ظاهرة في الطالب الديني بعد العلم والمعرفة أن يتخلّى بالأخلاق المحمدية من الصدق والأمانة والتواضع والعفة والفتوة بالترفع عن الرذائل وعما في أيدي الناس ونحو ذلك من الأخلاق الفاضلة وإذا حرم منها فالأولى به ان ينصرف الى عمل آخر ولا يحشر نفسه في طلاب الدين دجلًا وجدلاً فيقنع بالاسم وحده وهو حال

من حليته.<sup>(٢)</sup>

(١) في سؤال للشيخ وجهته نشرة البذرة إليه: ما أؤمن نصيحة تهدونها للطالب الديني؟ ... البذرة السنة الثانية العدد الخامس الصفحة .٣١٠ - ٣٠٩

(٢) جواب الشيخ عن سؤال وجهته نشرة البذرة إليه كالتالي: ما أبرز ظاهرة تحبونها للطالب الديني؟ ... نفس العدد أعلاه.

### بسالة العرب<sup>(١)</sup>

الشيخ (م) من رجال (الثورة العراقية) كان يرسل من مركز الثورة (النجف الأشرف) للقبائل العربية، لتحريرهم على الأخذ بحظهم من الجهاد المقدس في سبيل تحرير المسلمين.

نعم! وكان لحد بعيد من دعوة الثورة والمعتقدين بنجاحها، جال في كثير من مناطقها، ولم يكدر يقترب من إحداها - قبيل الظهر - إلا وأصوات المدافع وأزيز البنادق قد صكت مسامعه، وهزت الأرض من تحته.

دنى إلى بيوت إحدى القبائل الثائرة وال Herb الطاحنة على أميال قليلة عنها ويقاد أن يخالط شرارها تلك البيوت وأنسل بين زغرة النساء، وضوضاء الأطفال؛ وعواء الكلاب، إلى (مضيف) هناك لأحد أصدقائه من وجوه القبيلة، وقف حائراً - وليس في المضيف إلاّ (القهوة) في موقدها والحضرير البالي - ونادي برب البيت ثم بالعجز الشمطاء زوجته.

العجز (راكضة تشعر بأذياها الطويلة، وعلى أسرة وجهها البشاشة الفطرية، وملء أهابها الكرم العربي؛ فرحة بمقدم عالمهم المحترم وصديق زوجها القديم) أهلاً بالشيخ!  
حيّاك الله! ساعدك الله!

الشيخ: وبك أكثر! وساعدك الله على....

(تقبل كتفه، ثم ترجع راكضة، تأمر نساءها بتهيئة طعام الغداء، وتحجيء حاملة الفراش للشيخ، والخطب لوقود القهوة، تفرش له إزاء الموقد، ويجلس).

---

(١) جريدة الهاتف، عدد ١٠٧، ص ٥.



**العجز: من أين جئت في هذه الساعة الملعونة؟**

الشيخ: سمعت أنّ الانكليز هجموا عليكم، وكنت عند عشيرة (بني...)؛ وقد علقوا وساروا الحربة ولم يتركوا مركوباً يصلح للركوب، جئت إليكم ماشياً، هي: ماشياً؟!

هو (يستمر): جئت ماشياً من طلوع الفجر وسرت تحت أشعة الشمس المحرقة، وقطعوا على الطريق (آل...); ولو لا أنهم عرفوني وعرفتهم لأخذوا كلّ ما عليّ من ثياب.

(تودع العجوز النار للقهوة ويسود الصمت، ثمّ يعود الشيخ للكلام).  
وأين الآن زوجك (محسن) وأولادك الثلاثة، وهل هم في ساحة الحرب.  
نعم ذهبوا كلّهم من الليلة الماضية إلى المعركة ولم يعودوا؛ والآن - تسمع - قد اشتدت الحرب، ومن قبل ساعتين.  
ذهبوا كلّهم !!

وكلّ عشيرتنا، ولم تبق إلاّ النساء والأطفال (يتضائق الشيخ ويظهر عليه الاضطراب النفسي، ولكنّها تستمر تحدثه مفتخرة وبكل هدوء عن أحوال هذه الحرب المشؤومة منذ ثلاثة أيام، وعلى الأخص هذا اليوم، وعن شجاعة قومها الأبطال الذين دحروا قوة الانجليز المعززة بطائرات تقصف بصواعقها الجهنمية، حتى بيوتهم التي لا تتقوس إلاّ على نساء وأطفال تتضور في سبيل استقلال العراق).  
هو: ما ذلك الدخان المتتصاعد.

هي (تررقق عيناها بالدموع): البارحة ألقت الطيارات قنابلها على (جماعة) من بيوت القصب هناك فاضطربت النار فيها وأحرقت أمتعتهم ومواسיהם؛ بل وذهب

الكثير من العائلات طعمة النار والقنابل.

وتحدث هنا جلبة يقوم على أثرها الشيخ فيسأل: ماذا حدث؟

هي: أظنّ قتيلاً جاوا به الآن (تقوم إلى حاجر المضيف وترجع). لا! ولكن جريحاً قد مات، وقد بلغت قتلى اليوم لحدّ الآن ثلاثين رجلاً، غير النساء والأطفال، ويالأسف!

هو: بل وألف أسف على هؤلاء الأبطال الذين يبضوا وجوهنا!

هي: نعم آسف ألاّ أرى مع القتل أحد أولادي مضمخاً بدمائه؛ قد نال وسام الشرف الخالد (الشهادة) فاساهم نساء قومي النياحة والبكاء.

(ثمّ تعص شفتها وتکاد أن تقطعها تحرقاً).

هو: لا تقولي ذلك! أرجو أن يتتصروا على أعدائهم ويتمتعوا بالحياة حياة العزّ والاستقلال ولا يصيّبهم ظلم، ظلم هؤلاء فهم لم يعملا إلّا لأجل البلاد وفي سبيل الاستقلال.

هي: أنتن سبّيقى لهؤلاء أثر في أرضنا؛ كلاً! ولا شكّ أنّ قومنا الأشاؤس سيعودون هذه الليلة ظافرين بعدهم الألد، وتنتهي الحرب (يعتريها شيء من الدهشة، فينقطع كلامها قليلاً وتسارق النظر إلى ما وراء الشيخ، لأن شيئاً هناك يلفت نظرها، وتستمر) ولكن... ولكن ما أحلى الشهادة! أرجو أن يشفع لي أحد أولادي عند (الزهاء).

هو: إن شاء الله يظفر قومكم بعدهم، ولا ترين مكروهاً!

\*\*\*

بعد ذلك يسود الصمت بينهما، ويجلس الشيخ القرفصاء مطراً، حول موقف القهوة وقد ينكث الرماد بمختصرة كانت بيده، أو يعبث؛ بالقهوة وأوانيها ويرتشف منها؛ وقد استولى عليه التفكير العميق وأصبح لا يشعر كثيراً بما حوله.



يفكر في نفسه وهو يجدها . بعد حديث هذه العجوز - أمّا أمر واقع : أمّا الالتحاق بالرجال ، وهناك الموت النزؤام ، وقد يتوجه إلى خوض غمار القتال ، وهو لا يحسن حمل البندقية ، ولا فنون الحرب ، وأمّا البقاء مع النساء ؛ وهذا العار والشمار ، ولا سبيل لرجوعه القهقيري ولا بدّ له أن يقف على خطّة الحرب وأخبارها في هذه المنطقة ، ويجتمع برؤسائها .

ومن ناحية أخرى ؛ ساورته الشكوك في نجاح عصابات لا مدد لهم من عدد وعدة إلا الإيمان والأخلاق ؛ وهذا الجيش النظامي المدجج بأحدث الأسلحة والآلات الحربية تمده دولة عظمى لا تغيب الشمس عن مستعمراتها ، بكلّ ما تستطيعه من حول وقوفه ، وهذا دوي المدافع والقتال الذي زلزل الأرض بأهلها كافٍ وحده لرعب قلوب قوم لا يؤلفون إلا جماعات عزلاء !

وقال لنفسه ؛ لو كنا شاهدنا هذه الأهوال المخيفة أترانا نحضر هؤلاء المساكين على هذه التضحية النادرة بالنفس والأهل والمال ؛ في سبيل أمنية لعلنا مغرورون بها ؛ وكيف يجوز لهذه القوة القاسية أن تلين لهذا الضعيف الواهن عدوها فتمكنه من تنسم حياة الاستقلال والحرية .

بينا هو في هذه الأفكار والهواجرس ، وإذا بالعجز وثبت وثبة اللبوة المادردة وتصرخ بشريد تستوقفه بأقبح كلمة عار سمعها .

التفت الشيخ التفاتة المدهول إلى خلفه ؛ حيث الحادثة غير المتوقعة من هذه العجوز المادردة ؛ وذعر لما رأها قد تعلقت بأذيال رجل قد نفذ من تحت جدار المضيف منهزمًا (وهكذا المودة في مضيف الريف القعيبي ترتفع جدرانه بين الحنایا عن الأرض) وهو يولول تولول الخائف المستجير ، ويتوسل بها أن تتركه لشأنه ولها عهد الله أن يذهب حيث تريده .



وكادت أن تسحبه - وهي تستنجد . ببناتها ليسرعت إليها . لو لا أن هذا الشريد  
تمكّن بخنجره أن يفصل ما تعلقت به من أذياله، ويلوذ بالفرار هارباً لوجهه لا يلوى  
على شيء.

أما العجوز فقد قفزت إلى الباب، من دون أن تعير الشيخ التفاتها، بالرغم من  
استيقافه لها؛ فاطلقت رجليها للريح خلف الشريد على غير جهة المعركة.

يقول الشيخ وقفت مبهوتاً أنظر إليها تطارده وتقدّفه بالحجارة، وتبعتها أمرأتان بيد  
كلّ منها عمود، لا شكّ أنها يريدان قتلها بهجمة واحدة وحركتني النجدة إلى أن أنهض  
لمساعدتهنّ عليه، لو لا أنّ نساء الحي قد تجمعن وقد تصاعد إلى عنان السماء صياحهنّ  
وزغاريدهنّ فأكبرت على نفسي الخروج بينهنّ وأنا على هذه الحال.

واعتقدت في هذا الهارب قد جاء سارقاً أو طارقاً قد أمن خلو الرجال من الرجال،  
وعجبت منه مدججاً لا يدافع عن نفسه بسلاحه، ولم أزل أحدق النظر بهم حتى غابوا  
عن ناظري في منعطفات الزروع والأشجار.

ولم تمضِ بضع دقائق على جلوسي حائراً قد أشكّل على موقفي الغريب، إلا وهذا  
الشاب الشريد قد رجع إلىّ ورمى بنفسه في أحضاني يستغيث مستنجدًا بي، وهنّ وقفن  
على الباب يتحامين الهجوم عليه وهو في كنفي، لمقامي الرفيع عندهم، ولكن لم يتركه  
من كلمات اللوم القارصة والسباب اللاذع،وها هي ذي العجوز ترمي بقناعها عليه .  
استهزاء به . تشير إلى أنه امرأة، وهي رمز الجبن والجور، والشاب يتميز خوفاً وغيظاً.

وكانت دهشتي عظيمة لما تأملته وتحققت أنه (شعلان) الذي أعرفه فرخ هذه  
العجز الصغير، وقد توسيط العقد الثالث من عمره، وهاتان الواقتتان زوجه وشقيقته.  
فحنوت عليه حاجزاً، خشية أن يصاب بأذى أو مكروه، وتعرفت خبره من حديثه  
المضطرب وصوته الخافت؛ وعلى ملامحه أثر التألم العميق، وهو منهوك القوى يتنفس



الصعداء من التعب الذي عاناه هذا اليوم.

كيف وقد كان طيلة هذه الليلة الماضية في ساحة الحرب، كأحد الحرس على جنود الأعداء خوف الهجوم الفجائي؛ وجالد وكافح في المعركة الهائلة التي دارت بالهجوم المقابل عند طلوع الشمس، ولا تزال الحرب قائمة على قدم وساق، وكاد أن يشتبك الطرفان بالسلاح الأبيض والآن قد زالت الشمس، ثم يجيء إلى هذه الطامة الكبرى فتطارده أمّه هذه المطاردة المزعجة؛ وهو لا يستطيع أن يمد على أمّه يد المدافعة خوف العار الفاضح!

على أنه لم يكن له عهد بالطعام بعد طعام العشاء الماضي؛ وهو لم يكن إلاً رغيفاً وتغيرات لا تتجاوز مقدار الكف؛ فكيف تراه الآن قد خارت قواه من ألم الجوع وحده! فما كان منه إلاً أن جاء لبيتهم - بيت الضيافة - يسترجع قواه بلقمة يتناولها واقفاً، ثم يرجع إلى الجهاد المقدس عن الدين والوطن وإلى العزّ الخالد بالتضحية في سبيل المجد العربي.

أمّا أمّه العجوز ذات الحمية والنجدة، فلم تكن تراه مقبلاً من ساحة الموت، إلاً واتهمته بالخور، وظننته منهزاً من نار المدافع الموقدة، إلى نعيم عرسه التي بنى بها قبل أسبوعه، قد ساقه الحب إلى التمتع بلقياها بقية النهار.

وقد يكون في نفسه هو استراق نظرة من حبيبته، أو أن يطبع على جبينها قبلة الوداع الأخيرة؛ لكن لا بالمقدار الذي اتهمته به أمّه ولعلّها أيضاً لا ترضى لابنها أن يترك الحرب باحثاً عن طعام يسكن به جوعه فقد وقف شعرها عندما وقع بصرها عليه، وجاشت في نفسها الغيرة على قومها أن تلحقهم وصمة العار إلى آخر الدهر فرار ولدها، وكيف ترضى لفلذة كبدها أن يكون سبة لها ولأبيه وأهله (والموت أحل من ركوب العار)!



لقد أصابتها نوبة عصبية فقدت بها رشدها؛ فراحت تطارده ليرجع من حيث أتى؛ قبل أن تعلم به نساء الحي؛ وهنا الفضيحة الكبرى، ولم تفسح المجال لأن يسمعها عذرها المشروع، فلم يجد بدأً من الانهزام أمامها إلى حيث تريد، وأرها أنه راجع إلى الحرب، ولكنه استتر بين الزروع، ووجد الفرصة للوثوب إلى (المضيف) الذي لا يسكنه أحد كامناً في إحدى حنایا، لعل أن تحس به زوجته فتأتي له ببلغة عيش.

يقول الشيخ: أحسست بعد ذلك أنّ دخولي المضيف كان ثقيراً جداً على هذا الشاب المختفي؛ وأزعجه مسامي الذي لا يتذكر له نهاية قريبة، وزاد الطين بلة دخول أمّه المكان، فجعد الدم في عروقه، ولما أدرك أنها أحسست بمكانته أراد أن ينجو من عقابها الصرام والفضيحة العظيمة بالهزيمة إلى حيث النجاة، فوقع الذي وقع.

وها هو ذا الآن إلى جنبي يستكين؛ ويبيسط عذرها المشروع إلى أمّه وزوجه وشقيقته؛ اللائي تأльн عليه ويتوعدن بالقتل والفضيحة المخزية.

ولولا توسطي الأمر بقناعهنّ أن يأتين له بثلاثة أقراص شعير، ويقف راجعاً إلى المعركة لذهب ضحية الخوف من العار؛ أو بسالة النساء العربيات.

إنّ أمّة هذه بطولتها وبسالتها وهذا شعورها لا تموت إلاّ كريمة، أو تحى حياة الخلود والشرف.



### ليسمعها المسلمون...<sup>(١)</sup>

ليس مع المسلمين الزاهدون في دينهم كلمة هذا الكاتب الكبير الانكليزي أعظم مشاهير كتاب العالم وليعتبر المقلدون للمدنية الحديثة التي جاءتهم بزخارفها فأنساتهم أنفسهم ومجدهم، وأصبحوا ألعوبة بأيدي من أرادوا ان يجعلوا منهم عبيداً للمستعمرات. بحث الأصوات وكثير القول في هذه العصور عن عظمة الدين الإسلامي واستعداده لهضم المدنيات وموافقته لكل عصر ومصر في تشريعه ولكن الامة الإسلامية لم تتقدم الى الامام قيد أنملة لتلتحق برركاب العالم المتقدم بل لا تزال تتأخر بخطى واسعة الى الوراء ناكصة على اعقابها لاهية عن كرامتها مفتونة بجهلها.

مضت الايام الاولى وقد اعتدنا - عرفان ذاتنا وتذوقنا كيف

(١) نشرت مجلة البذرة مقالاً عن (الإسلام عند برنادشو) مقدمة له بالقول: برنادشو كاتب انجليزي شهير علم أربعة أجيال، وعمره الآن أربع وتسعون سنة لم يعرف التدخين طوال عمره ولم تدنو الخمارة إلى فيه وهو لا يزال نشيطاً قوياً ويأمل أن يعلم الجيل الخامس. ويعد اليوم من أعظم مشاهير كتاب العالم ومفكريها.

يقول برنادشو: إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد. هذا النبي الذي وضع دينه دائمًا موضع الاحترام والإجلال. فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات حالدًا خلود الأبد، وأنى أرى كثيراً من بنى قومي دخلوا هذا الدين على بيته.

وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في القارة - يعني أوروبا - عقب هذه الحرب. وإذا أراد العالم النجاة من شروره فعليه بهذا الدين أنه دين السلام والتعاون والعدالة في ظل شريعة متمدنة محكمة لم تنس أمراً من أمور الدنيا إلا رسمته وزنته بميزان لا يخطئ أبداً. وقد ألفت كتاباً عن محمد (عليه الصلاة والسلام) ولكنه صودر لخروجه على تقاليد الإنجليز.

وقد أثارت كلمات برنادشو الشيخ المظفر فكتب عنه المقال أعلاه.

البذرة السنة الثانية العدد السابع الصفحة ٤١٩ - ٤٢٠.



نحكم أنفسنا بأنفسنا ثم ننشر السلام والحرية ونولد الأمن والعدل وتدين لنا البلاد، ولكن سرعان ما غيرنا ما بأنفسنا متجاهلين تعاليم الدين الإسلامي فغير الله تعالى ما بنا من عزة ومنعة وكراهة ونعمه اذا أشينا الظلم والفساد واعتدى بعضنا على بعض وانحرفنا عن الاتجاه الذي وصفه لنا المنقذ الاعظم (صلى الله عليه وآله) ابتداء من القرن الأول كما يبتدئ التصدع في البنيان الشامخ حتى انهار علينا في هذه العصور التي بحق تعد مظلة بالقياس الى الامة المنكودة الحظ.

ها نحن أولاء بين أيدينا وبملء آذانا صرخة الاستقلال الدائبة ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾<sup>(١)</sup> وصرخة القوة الخالدة ﴿أَعَدُّوا لَهُمْ مَا أُسْتَطَعُتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾<sup>(٢)</sup> والدعوة إلى الوحدة الشاملة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وبالأخير فتحن شرذمة تحت كل حجر ومدر، فلا ديننا اتبعنا ولا بشملنا احتفظنا ولا بتعاليمنا استرشدنا ولا بمعارفنا الأولى أخذنا وزخرف لنا الاستعمار أضاليه فأصبحنا طرائق قددا وسخر منا عيدهاً نجبي له من لحمنا ودمنا لنسد بعض ثهمته، وهيهات!

عرفنا التاريخ إننا أمّة استطعنا ان نحكم العالم بالإيمان وحده فهل يستطيع مرة أخرى ان يعرفنا أمّة تحكم نفسها على الأقل بين أمّم استطاعوا ان يتخلّقوا ببعض أخلاقنا الماضية ففاقونا.

فياضيعتنا بعد اليوم إذا بقينا في هذا التضليل ثم يطيب لنا هذا السبات القاتل واعداونا ساهرون بالمرصاد!!

(١) النساء ٤: ١٤١.

(٢) الأنفال ٨: ١٦.

(٣) الحجرات ٤٩: ١٠.



ينادي (روسو) بحرية الإنسان وهو في أرض فرنسا فيتحقق له بعيداً قلب مستعمرة بريطانية - وهي أمريكا الشمالية - شغفاً بهذا النداء الحي فتصغي له ويهيب بها إلى مطاردة الاستعباد حتى تصبح (الولايات المتحدة) وهي أكبر دول العالم بعد أن كانوا تحت كابوس الاستعباد سنين وسنين.

فهلا تتحقق هذه القلوب الإسلامية لصوت الدين المدوي وهو ينادي - على الأقل - كل يوم خمس مرات:

حي على الفلاح؟

حي على خير العمل؟

## مشاكل الحياة<sup>(١)</sup>

سلام عليك، وبعد:

فلا أعتقد انه يهمك في كثير أو قليل ان تعرف شخصيتي؛ المهم ان تتمعن في رأيي ويكتفي ان تعرف بأنني شاب ربيت تربية حديثة ودرست دراسة عالية وفكرت كثيراً في أمور الدين والدنيا.

لقد اعتراني في باكورة شبابي شك في الأديان؛ فأطلت تفكيري في الوجود فكان أن قوي الشك حتى صار إلحاداً فعكفت مخلصاً على الدرس والتتابع حتى صرت صوفياً أؤمن بالله أحر من ايدياني السابق به ولكنني انكر الأديان، وما زلت مخلصاً في الجد والبحث، ومستعداً لقبول كل فكرة جديدة اذا قنع بها عقلي وضميري وهمما وسيلة تايى الى الله.

أريد أن انبهكم يا اصحاب الاديان والمدافعين عنها الى حقيقة خفيت عليكم فواحدكم يعتقد ان دينه أفضل الاديان جميعاً ومتبعيه أهلى الارض طراؤ ولكن في الوقت نفسه يحزم امام اهل الإلحاد بأن مصدر الاديان هو الله، وإن أراد أحدكم أن

(١) جريدة الهاتف السنة الخامسة العدد ١٨٦ الصادر في ١٥ / شعبان / ١٣٥٨ الموافق ٢٩ / أيلول / ١٩٣٩ . وقد قدمت للموضوع بالكلمة الآتية:

وصلتنا هذه الرسالة من بغداد موجهة إلى الأستاذ محمد رضا المظفر ونحن حينما نعرضها للنشر نشعر بأن الدين الإسلامي أرحب صدراً من أن يضيق من المناقشة والرد هذا أصلاً عن أن المعنى بهذه الرسالة معروف لدى الأوساط الدينية والأدبية بالمحافظ على آداب المناقشة لحد بعيد زيادة على ما اتصف به من سعة الصدر وطول الأناء، ولا شك أن الأستاذ المظفر سيجيب عن هذه الرسالة بما يرضي المنطق وهو الأساس الذي بنيت عليه الشريعة الإسلامية والرائد المتبع في كل مناقشة دينية لدى رجال الدين الحقيقيين.

يثبت قوة دينه جأً إلى نقط الضعف في غيره من الأديان يظهرها للملأ مفتوحة، وهذه الطريقة تفيد أشياع الدين المزدادة عنه، ولكن أتدرى أيها الاستاذ ويدري رجال الدين معك ماذا يفهم المتفرج مثلـي من هذه الحملات؟ حسنا، إنـها تزيد من شـكه وتبعـده أكثر عن جـادة الصـواب انـ كان الدـين صـواباً.

أكتب إليك هذا بمناسبة ما قرأته من آرائك في عدد الهاتف الشهرين بعد المائة فقد  
أثارني ما لحظته من عبارات التشفي لأن "النصرانية قد اصطدمت بالعلم فقطاناً زماناً  
حتى صرعها، ولكن الدين الإسلامي أرحب صدراً وهذا قرأته العظيم يحيث على  
التفكير في النفس:

والآن اذا كان الإسلام من عند الله فمنا قصبة النصرانية للعلم الذي هو من عند الله ايضاً بقيت انها ليست من عنده، لكن الإسلام يعترف بالنصرانية ديناً سهواً، أفلأ تثير تهجمات المسلمين على النصرانية شكاً في ”المترجمين“ أمثالى بالإسلام أيضاً، وبالتالي بالآديان كلّها“.

يسريني أليها الاستاذ الكبير أن اقرأ لك اعترافك بخطك وجلّ من لا يخطئ وانا واثق  
من أن "الهاتف" الاغر سيسمح لي ان أوصل هذه الكلمة اليكم على صفحة وسيتيح لي  
أن أقرأ ردرك عليها.

وأخيراً، ولكي لا تحمل كلمتي هذه على غير محملها، وأقول لك إني من أصل إسلامي عريق، وإن الذي تقيان يقمان بكل الفرائض. والسلام عليكم.

بغداد - ص. ش

## إلى الأستاذ ص.ش

وعليك السلام:

لقد لاحظت رسالتك الموجهة إلى في (الهاتف) الغراء؛ فامتلكتني غبطة عظيمة؛ فيها غير اني استشعرت فيها روح البحث التي قل ما نجدها في رجالنا وعلى الأكثر في شبابنا! والعاطفة - قاتل الله العاطفة - هي المسسيطرة على تفكير وأعمال أكثرنا.

صحيح انها - كما قلت - لا يهمني أن أتعرف الى شخصيتك من الناحية التي ذكرتها، ما دامت آراؤك تسجل في صحيفة أطالعها وتفسح لي المجال للجواب ولكن لو كنا نتبادل الرسائل الشخصية وبدوري أتعهد بكتمان شخصك إن أحبت ألا تظن أنا نتحدث حينئذ في جو أوسع حرية وأكثر مجالاً! وما علينا بعدئذ حينها تنضج أبحاثنا لو نشرناها ليقرأها الناس ولعلها تكون أفعى وأجدى! والمتدبرين - كما تعلم يحرص كل الحرص ألا تتسرب بعض الآراء الى أفكار لا تهضمها بل وكل صاحب مبدأ او دعوة حتى في الشؤون السياسية؛ والنفوس لا تتشبه أبداً ولكل عقل غذاوه، قل كل ميسراً لما خلق له! ولست أدرى ماذا سيلاقني منك هذا الاقتراح؟

وأتخطرّ جيداً ان الصدفة في العام الماضي جمعتني مع شاب من أصل نصراني مثقف ثقافة عالية كان يحمل أفكارك هذه واتسع بيننا الحديث ووعد أن يتبعه بالرسائل، لكن هو قد وفى بقليل من وعده الا انك من أصل إسلامي.

وعلى كل فليس في رسالتك هذه ما يعود الى التعليق إلا ما لاحظته علي من عبارات التشفي بالنصرانية في كلمتي "الإسلام ووسائل المستعمرين" اما ماعدا ذلك فكله تاريخ مجرد لما مر عليك من أطوار الآراء حتى صرت صوفياً مؤمناً بالله أحر من ايديك



السابق ولكن تنكر الأديان...! ولو انك شرحت كيف سرى اليك التشكيك حتى انقلب بالأخير الحادأ، ثم بعد ذلك كيف تطور بك البحث حتى صرت مؤمناً بالله، ولماذا بعد هذا تنكر الاديان، أي لو انك عللت كل ذلك؛ لكن فتحت باباً بمعاونتك على تفكيرك وقد تتفوق الى فكرة جديدة؛ اما وانك مؤرخ فقط لأطوار اعتقادك فما عسى ان يقول القائل؛ واذا كان الاعتراف بالخطأ في النقطة التي لاحظتها علي يجلب لك السرور - كما قلت - فاني لآسف اني لم أوفق لإدخال السرور على قلبك في هذه اللحظة إلا إذا قنعت بالاعتراف بالتشفي بالنصرانية وحده فقد أجذني حينئذ لا أدخل عليك به... ولكن يجب أن نلاحظ أن النصرانية التي اعترف بها القرآن العظيم والتي نعتقد أنها من الله تعالى ولا ينادضها العلم الذي هو من الله أيضاً ليست هي النصرانية الموجودة المزيفة.. ساحني في هذه الكلمة فاني لا أعتقد ان العاطفة قد أملتها علي فان القرآن في الوقت الذي يعترف فيه بال المسيح ﷺ وبدينه يأخذ على النصارى ثالوثهم وجملة من اعتقاداتهم التي لا تزال موجودة حتى الآن ويبرئ ساحة المسيح ودينه منها أليس كذلك أيها الاستاذ!

فلا أجد بعد هذا سبباً لإثارة الشكوك في المتفرجين المفكرين أمثالك من تهمجات المسلمين على نصرانية ليست هي التي يعترفون بها ويعترف بها قرآنهم.

وأؤكد لك أني في مقالى السابق كنت فيه مسلماً سياسياً أكثر مني مسلماً مبشرأً أي أني حاولت كشف الوسائل التي يتبعها الغربيون - وان كانت مكتشوفة لكل مفكر - لأجل استعمار بلادنا ليس إلا من طريق هدم جامعتنا الإسلامية التي هي مصدر قوتنا؛ ولم يقصدوا وراء ذلك التبشير إلى نصرانيتهم، ولذلك كان يقنعهم منا أن نترك ديننا - نحن المسلمين - ولو إلى لا دين كما صرح بذلك جملة من ساستهم (من حيث يظنون ان هذه التصريحات لا تصل إلى علمنا) وقد نجحوا في مساعهم من حيث ندرى ولا ندرى.



فهم قد شنوها حرباً سياسية أكثر منها دينية، واذا استطردت الى مناهضة العلم للنصرانية فانها أوردتها كشاهد على صدق قضية مناهضة العلم للدين تلك القضية التي لعبت دوراً عظيماً في أوربا وتلقيناها نحن الشرقيين بالقبول حتى في ديننا الإسلامي مع ان الإسلام أرحب صدراً، وأرجو أن تعتقد أني - وكل مسلم يشعر بحرارة الضيم والانخذال أمام جبروت الغرب المستعمر - أبعد ما يكون عن التشفي بالغالب الذي ازدردناه لقمة سائفة ولم يبق فينا من بقية ولم يذر.



## رسالة جوابية<sup>(١)</sup>

إلى الأستاذ محمد رضا المظفر

سلام عليكم

وبعد فأشكرك على ما تفضلت به علي، وقد كدت أن أطوي "الهاتف" وأغلق باب المناقشة لأنني لا أميل إليها لا كلامية ولا قلمية لولا اقتراحك الذي تفضلت به علي في صدر المقال، فقد دفعني إلى أن أخط إليك هذه الكلمة (وللهاتف) الأغر اختيار إن شاء فلينشرها إن رأى فيها نفعاً وإن لم يره فليتفضل ول يكن رسولي بها إليك.

إنني لا أوفق على اقتراحك بشأن تبادل الرسائل الشخصية بينما لأنني أعلم علم اليقين أن المناقشة في الآراء عقيمة، وقد تؤدي إلى حرب فكرية لا ينتهي فيها الواحد منا على الطعن لا دفاعاً عن حقه ولا ذبا عن عقيدة هوجمت وإنما قراعاً عن الكرامة التي تعتقد بأنها تهان بإذعان أي من الطرفين لرأي الآخر وهذا ما يجري بين أصحاب الأديان في مناقشاتهم وأسفاه، يدافعون ولكن لا عن الدين بل عن الكرامة وشموخ الأنف.

وذهب إننا نضمنا عن نفسينا هذه الكرامة الكاذبة، فيما عسى أن يكون جدوى مناقشتنا، إن ما قد يتم خوض عنها من نتائج لا يخلو من أن يكون أحدى ثلاث:

فقد أسموه بعد طول النقاش إلى رأيك وقد تنزل بعد طول الجدال إلى رأيي، وقد لا يكون منا لا هذا ولا ذاك، فأي معنى روحي غير من ذلك تقدمه للناس تالله ما فيها كلها

(١) جريدة الهاتف السنة الخامسة العدد ١٩٠ في ١٣ / رمضان / ١٣٥٨ الموافق ٢٧ / تشرين الأول / ١٩٣٩.



من غناء وان لحظة تستسلم فيها لسلطان الله وتتلقي وحيه خير من لحظة نقتلها في أسئلة وأوجوبية قد لا يمس بها غير القشور.

اما تأريخي لأطوار اعتقادي فما علي فيه من بأس، وما ذكرته لا أناقشك به أو لا أستشيرك فيه، وإنما سقته لك دليلا على شرف غاياتي ونزاهة قصدي فيما وجهت إليك من كلمة.

بقيت كلمةأخيرة أرفعها إليك لتفكير فيها ولا أطعم في رد عليها:

ان الدين في لبابه فلسفة أريد بها أن تجلو علينا ما غمض من حقائق الوجود ونحن عندما تنفق اذهانا لتلقي هذه الحقائق لا نجبر على العكوف على تلك الفلسفة دون غيرها لأن ذلك يوهمنا بأننا قد انهينا مشاكلنا الروحية مع العالم وعرفنا الله معرفة لا مطعم بعدها لطامع ولا زيادة لمستزيد: فلا نفكري في الوجود ولا نصغي لوحبي ضمائرنا، فتبدل افكارنا ولا نستشعر بروح الله في وجودنا ففضل سواء السبيل، وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم.

تعال نحتكم الى المنطق في: هل ان المتدينين قد استشاروا عقوفهم عندما اختاروا دينهم، أم أنهم وجدوا آباءهم كذلك يفعلون، وهل هم بعد ذلك من أجل الكرامة أم من أجل الدين يتجادلون؟ وتعال نتأمل في المصلحين الدينين السابق منهم واللاحق؛ اما من خرجوا على «عقائد» ولا أقول اديان معاصرיהם فرموا بالاحاد، وأوذوا بالضرب والصلب، وهذا تاريخ سقراط وموسى ويسوع ومحمد، وغاندي ينطق بما قاسى أولئك الاذاد من أليم العذاب وشديد العقاب.

ان الدين في نفوتنا، وقد قال محمد «التفكير عبادة» وحسبني بهذه الكلمة العظيمة مسكا للختام والسلام عليكم.



### رسالة ختامية من الشيخ المظفر<sup>(١)</sup>

إلى الأستاذ ص. ش

وعليك السلام

نعم! لا تميل إلى المناقشة! ولكن من الذي فتح بابها؟

- أنت قل!

وأنت مذ حرّرت خطابك الأول هلا كنت تفكّر في أنني سأسمو إلى رأيك أو ستنزل  
إلى رأيي أو لا هذا ولا ذاك ويستمر الجدال، لو كان عندك ساعتين شق رابع...  
لا أدري؟

وهلا قلت (أي مغمض روحي لنا من ذلك، تالله ما فيها كلّها من عناء وان لحظة  
نستسلم فيها لسلطان الله ونتلقى وحيه خير من لحظات نقضيها في اسئلة واجوبة قد لا  
تمس فيها غير القشور).

والله وبالله تالله العظيم ان النقاش الذي يجر الى نزول أحد الخصمين الى رأي  
صاحبه ليرضي الله تعالى من فوق سلطان عرشه بالاستسلام لسلطان الحق، ولি�شبع في  
النفوس الایمان الصادق والعقيدة الثابتة بتلقى وحى الحقيقة، وهذا هو كل ما يتطلبه  
العلماء الصادقون والباحثون المنصفون.

وأنى لنا بهذه المنزلة العظيمة وهي شيمة النفوس الخالدة والقلوب الطاهرة.  
وأي مغمض روحي للباحثين أعم من الرضوخ الى الحق عند عرفانه؟  
ثم حديث (الكرامة الشخصية) أتظن أن الدفاع عنها سيقل اذا كان النقاش على

(١) جريدة الهاتف العدد ١٩٢ السنة الخامسة العدد ١٩٢ في الجمعة ٢٧ رمضان / ١٣٥٨ الموافق

١٠ / تشرين الثاني / ١٩٣٩



وعلى صفحات الجرائد ولا يقل اذا كان بتبادل الرسائل الشخصية المستوره؟  
لا أرضي لك - أيتها العزيز - أن تتمسك بأذىال هذا العذر وإن كنت لا أفرض  
عليك ان تحبب على اقتراحى بشأن تبادل الرسائل الشخصية ولكن أرجو ان تعتقد  
اني لم اقترح هذا الاقتراح الا لنبعد معاً نسبيه الدفاع عن الكرامة ونطلب الحق  
لووجه الحق - كما لا أرضي لك ان ترمي بالتعصب ضد أصحاب الاديان اذ تناوشهم  
من دون برهان وهل هم وحدهم يدافعون عن كرامتهم لا عن عقيدتهم؟، وظني انك  
تعلم ان علم النفس يؤيد ان العقيدة المتمكنة هي فوق الكرامة وكم جرت العقيدة منها  
كان نوعها حتى الوطنية الى التضحيه بالنفس والنفيس وشاهدنا اصحاب العقائد كيف  
يخوضون غمار الحروب وينزلون الى سوح الموت فكيف لا تهون كرامتهم في سبيل  
معتقداتهم.

ثم تكلمت عن استشارة المتدينين لعقوتهم واحتكمت الى المنطق، فهل يفرض  
المنطق على الديني ألا يكون مستشيراً العقله الا اذا خرج على دينه الذي ورثه؟ ومن اين  
نعرف ان المتدين صاحب العلم والعقل لم يستشر عقله عندما لم يخرج على دينه وبقي  
متمسكاً بأهدايه ما كنت ارجو ان يجربنا البحث معك الى هذا النوع من النقاش، لولا  
انك الجأتني اليه، والذي ظنتته انك ترغب في الدخول في بحوث علمية نغتنمها نحن  
وقارئونا ونفتح لأنفسنا باب التفكير و(التفكير عبادة).

وما أردت ندلك في تعريضي بتاريخك لأطوار اعتقادك وانما كنت معذراً من عدم  
دخولني في حديث علمي حولها وانت لم تفتح بابه لأغريك على البحث واستطلع ما  
توصلت اليه من تفكير واذا كنت لم تطبع في الرد على خطابك هذا فاني عدت اليك  
لأدعوك الى البحث العلمي لتعاوننا على التنقيب على الحقائق والتفكير في الحق  
و(التفكير عبادة).



## آدم وأكله للشجرة<sup>(١)</sup>

السؤال: ومشكلة اخرى تشغل البال هي عصيان آدم لربه في أكله الشجرة التي نهى عنها فكيف يجوز ذلك على الانبياء وقد رأينا ما اجاب به العلماء اذ يقولون ان هذا النهي لم يكن للتحريم فلم يمكن الأكل الا مرجحا، وما فعل آدم إلا خلاف الأولى، ولكن النفس لا تقتنع بهذا لأن فعل خلاف الأولى لا يستدعي ان يُرمى صاحبه بالعصيان والظلم والغواية، وان قلتم: ان فعل المرجوح عند الانبياء كفعل المحرمات عندنا فيصح ان يوصف آدم بالعصيان والظلم، فلا يكون هذا حلا لهذه المشكلة لأنكم صحّحتم ان يكون ظالماً وغاوياً وصحّحتم ان لا يكون فاعلاً للحرام، وهذه هي نقطة الدائرة أفالكم حل آخر لهذه المشكلة؟ بعدها ص

الجواب: قد صح ان آدم كان في الجنة وان منها هبط ويورقها تستر ولن يستر الجنة دار تكليف حتى ولا بما يكون ارتکابه خلاف الاولى لا قبل هبوط آدم ولا بعده الى يوم خلود البشر فيها وقد كان في الجنة الشجرة التي آلى الله جلت حكمته على نفسه ان من يأكل منها لا يسكن الجنة. كما آلى على نفسه ان لا يسكنها الا الطيبون ولادة وإلا المتقون. وإلا.. وإلا..

وكان الله يوم أسكن آدم الجنة وعلمه الأسماء عرفه الشجرة ونهى عن أكلها نهي ارشاد لا نهي تحريم ولا تنزيه لا غيرهما ومن المنافي الموجبة لمنقصة ما في المنهي عنه أو في المنهي وما كانت حكمته النهي الا دوام بقائه في الجنة ولما كان آدم لا يتحمل ان

(١) ننشر جواب المظفر على السؤال الموجه إلى جريدة الهاتف السنة الأولى العدد السادس الصفحة (٤٦) وقد ذيّله بعنوان (لجنة الاستفتاء في إدارة منتدى النشر) ولا بد من الإشارة أن مقالات المظفر في الهاتف وهي كما استقصيناها كثيرة لكن ما باليد حيلة فلم نحصل إلا على البعض اليسير.



أحداً يكذب على الله حتى عدوه ابليس الذي عصاه من قبل في امره واغتر به وانظر عليه غروره وإغواوه وبهذا الاعتبار قيل انه مغوى وانه ظالم يراه بذلك ظلمه لنفسه في خروجهما من دار النعيم والراحة الابدية.

ولا غرابة في ان يعد مخالفه هذا النهي عصيانا فان احدهنا اذا نهى ولده الكبير العاقل عن تناول شيء كان قد آلى على نفسه ان من تناوله لا يسكن داره الخاصة، افتراء لا يصح له ان يعاتبه ويؤنبه فيما اذا ارتكب ما نهاه عنه ارشاداً الى مصلحة؟ ولو كان ذلك منه بإغواء امثاله واعدائه!

بل! ويصح ان يقول له: لم عصيتي وخالفت امري. انك لو لم تعصني لبقيت في داري التي جمعت كل مزية كاملة، ما لم تبق تلدد الدور شقياً. انك تبعت عدويني ولم تطعني واطعته وعصيتي.

يقول هذا ونحوه وهو غير واجد عليه شيء ما، لأنه لم يرتكب شيئاً مبغوضاً ولا مكروهاً ولا فيه نقص ولا حرازة سوى ان مرتکبه ما عمل بصالح نفسه.

وكان السائل منذ نشأته للآن اعتاد اطلاق لفظ العصيان ومشتقاته في خصوص موارد ارتكاب المبغوضات وحتى انغرس في اعمق قلبه اختصاصه وضعفاً واطلاقاً بذلك فحسب، لكنه في الحقيقة اخذ موارد استعماله بهاله من المعنى العام الشامل له لغيره نحو التواطؤ أو التشكيك حسب الاصطلاح العلمي.



### مع أحد الملائكة<sup>(١)</sup>

رأيت في عالم الاحلام كأن أحد الملائكة نزل الى الارض بصورة آدمي حسن الهيئة والهندام، نزل على حذر كأنه على استعداد للمقاومة ومداهمة الطوارئ.

ولكن نزوله كان في ارض خالية الا مني وقد كنت بعيداً عنه، فارتعدت بادي ذي بدء، لولا أني تذكرت ان للملائكة من صفاء الطوية وحسن النية ثغرة من الضعف يستطيع ان يهاجمها الآدمي بما اوي من حيلة ودهاء ومكر وخداع.

ويا سادتي أن الملائكة هم قوى الخير في الخلق او ان شئت فقل هم قوى الله خير الخلق، وجانب الخير مقهور في الارض لقوة الشر ايضاً. وما كلمة البشر الا كلمة مركبة من الشر، وما الباء الزائد فيها الا حرف للخير لا يظهر على الأكثر في خط الكلمة الا مطموسا على انه هو مبدأ وجودها. نعم ان النفس الامارة بالسوء طاغية على ما في الإنسان من نوازع الخير.

فبدالي ان استغل صفاء طوية هذا الملك الروحاني (لأستخلصه لي بالإطراء عليه والثناء على ما اوي من فضل وروحانية قدسية، على ما اعرف ان في النفوس ظماً ملتهبا لا ينطفئ الا ان يخلق في صاحب النفس شعور بأنه عظيم وانه شيء لا كالأشياء والثناء احسن طريق لخلق هذا الشعور في النفس كما يبعث في صاحبها الرضا بالمطري والاطمئنان اليه والاعجاب به وان علم انه كان كاذبا او مخادعا.

إن الغفلة والنفس الامارة سولالي هذا القصد في استهواه رفيق وحدقي الجديد هذا الملك الروحاني وغلطت في قياس الملائكة على البشر، وهم لكمال وجودهم لم تخلق

---

(١) جريدة الهاتف السنة الثانية عشرة العدد (٤٢٦).

فيهم لشهوة الجمال الكلي وحب الحق السرمدي. وليس هذا الظماً الملتهب الى الشعور بالعظمة الا نتيجة لنقصان البشر وشعوره الداخلي بحطته عن درجة الكمال التي خلق لأجلها فيحاول تكميل القصة بهذا الخيال فيبالغ فيه.

وأنا الآن أذا حاول تصوير هذا الحلم لكم وتمثيل هذه الحقيقة في الإنسان لأخرج عن طبيعتي البشرية يغمرني هذا الظلم فأحاول أن أحسن التصوير لاستدر عطفكم بإيمانكم على الثناء على من حيث تدرؤون أو لا تدرؤون، وقد لا اظفر بها يسكن اللهيـب من هذا العطش.

على ان قولي (أنا الآن..) كلمة توحّي بها لقلمي تلك الانانية التي خلفها الظما  
لي الشعور بأني (أنا) كأني اريد ان اقول لكم انا شيء لا كالآدميين اذ لست مأخوذا  
بهذا الظمآن البشري مثلهم متوجهاً الانانية او حاط من قيمتها في نفسي، فهذه محاولة  
نكران الانانية هي من الانانية ايضا وكم يتواضع الإنسان لمدح فيرتفع بهذا التواضع،  
فهـا أـعـظـم مـغـالـطـاتـك اـيـهـا البـشـر وـمـا اـدـقـ التـنـاقـضـ فـيـكـ وـمـا اـبـعـدـ غـورـ مـرـكـبـ النـقصـ

لأطيل عليكم في الخروج عن الموضوع وأظن حتى الان لم اظفر منكم بالرضا  
الذي أمله لإشباع نهمي فياخibi معكم، كما خبت مع رفيقي الملك، فأني كما قلت  
غلطت في قياس الملائكة على البشر كما غلط ابليس في قياسه، فان هذا الملك لما سمع  
ثانية عليه جاءني بكلمة الحق المرة الا في مذاق الملائكة الكرام فقال:

لقيمة لثنائك عندي، فان كنت صادقاً فما ثناوك بزائد عن ما أنا فيه وان كنت  
كاذباً فلا يخلق في ما لم اخلق له فأنا أنا على كل حال، وانت يا معاشر الأدباء ألم ينهاكم  
مصلحوك عن المدح مواجهة لأنك نقص في المادح وحمل على ظهور المدح بالنقص  
اما نقص في المادح فلأنه من الكذب ان كان باطلاً ومن الملق واللغو ان كان حقاً واما انه

حمل للممدوح على الظهور بالنقض لأنه ان اقرك على مدحك كان كمادح نفسه ومادح نفسه يقرئك السلام وان عارضك فقد كذبك وتلك صلافة يواجه بها المادح وهو محسن بالظاهر.

والله تعالى تفضل عليكم معاشر الادميين ان خلق فيكم شهوة النفوقة والجوع الى الشعور بالأهمية لأنكم مخلوق ناقص وجعل فيكم قابلية الكمال فكانت هذه الشهوة ضرورية لكم وتحتاجون الى إشباعها بالعمل للكمال والارتفاع ولكن من نقصكم أيضا اكتفاءكم في اشباعها بالخيال الكاذب اذ يكتفون بالشعور بأعينكم عند الناس وان كان لا ظل لتلك الاهمية في نفوسكم ولا تسعون للعمل المشر في تكميل نفوسكم، فاتتم ابدا تریدون ان تكملوا النقص ان هذا الشيء عجب ولذلك لازال البشر ناقصا وراضخا تحت نير الاوهام والخيالات.

اماانا فقد سقط في يدي وشعرت بخيبة مضة تكشف حقيقة ما في نفسي عند هذا الملك الروحاني الذي اردت استخلاصه، والإنسان أكثر خيبة في الحياة عندما يتكون منه الشعور بالنقص وبالاصلع عند الشعور بان نقصه الكشف للغير، لاسيما اذا كان في ساعة محاولته الى اشباع شهوة الشعور بالأهمية فيقوى فيه العطش الى ذلك الشعور، لا قيمة للهال وهو زينة الحياة الدنيا ولا شيء آخر اذا كان هذا الشعور بالأهمية متوفراً عند الإنسان المسكين. أما اذا فقده فهناك طامته الكبرى وخبيثه العظيم لاسيما اذا اميط الستار عن نفسيته الواطئة التي كان يظن انه قد اسدل عليها ستار الحيلة والتمويه. وبعد الشعور بالخيبة أسفت على محاولي الباطلة وملت نفسي على عدم تقديرني الامور بحقائقها وفهمت عندئذ ان حسن الطوية وصفاء النية لا يلزمها إلا الانخداع بالأباطيل والطلاع والتمويه لاسيما اذا كان ذو النفس يرى الاشياء بمنظار الحق غير مثقل بالشهوات والعواطف.



وقد أدرك الملك المقرب مني هذا العراك النفسي فقال لي: على رسلك لا تذهب بك الحالات والأوهام فتصرعك مقهوراً فأنك عندي في تقديرني على حد سواء إن أسأت أو أحسنت لأن الإحسان لك والاساءة عليك ولا ينالني منها شيء، وليس في ما يدعوه إلى الغضب أو الرضى، وإن صح مني التأثر فعليك لا منك. وفي البشر منكم من تبلغ نفسه الكبيرة إلى هذا الحد من التنزع عن التأثر بالعواطف والشهوات وهم القليل النادر بل أقل من القليل كالأنباء والأوصياء فتسمو بهم نفوسهم إلى أرفع من منزلة الملائكة المقربين لأننا نحن الملائكة ليس فينا هذه العواطف والشهوات وهو لاء لا يتأثرون بها مع وجودها فيهم فما أعظم الفرق بينهم وبيننا وما أعظم الفرق بيننا وبينكم معاشر البشر الباقيين.



## الإسلام ووسائل المستعمرين..<sup>(١)</sup>

بين يدي رسالة من وراء البحار بعثها إلى شاب مسلم طالب في البعثة العراقية. بعث بها إلى ليخبرني مستغرباً - وكأنه اكتشف شيئاً جديداً لم يكن بحسبانه - عن كذب الغربيين على الدين الإسلامي والمسلمين وعدائهم لصاحب الرسالة عليه السلام، فحدثني عن كتاب باللغة الانكليزية؛قرأ بعضه ثم رمى به متضجرًا؛فكان مما قرأ: «أن محمدًا اكتسب شيئاً من العقائد المسيحية وبعض النواحي من العقائد اليهودية وقليلًا من فلسفة الابرانيين وبعض الأحاديث العربية المنقوله على الألسن ورمى بنفسه بين جماعة من الذين يعتقدون بآرائه حتى كون ديناً جديداً». « وأن العرب يعتقدون بالصحراء العربية جنة الباري ولا يعيش في هذه الصحراء عدا الباري».

«إن الحجاج حينما يدخلون بيت الله الحرام يعطون صكاً يضمن لهم الدخول إلى الجنة».

ثم انفلت صاحب الرسالة يحرق الارم<sup>(٢)</sup>.  
- أولاً - على رجال الدين عندنا لأنهم لا يتعلمون اللغات الأجنبية فيفوّتهم الوقف على أمثل هذه الكتب المضللة والرد عليها.  
و - ثانياً - على مدارس العراق الحديثة لأنها لا تسلح الطالب بسلاح المعارف

(١) نشر المقال في جريدة الهاتف لصاحبها جعفر الخليلي العدد ١٨٠ السنة الخامسة الجمعة /٢ رجب / ١٣٥٨ الموافق /١٨ آب / ١٩٣٩.

(٢) يحك أضراسه بعضها بعض من الغيظ.

الإسلامية الكافي للدفاع عن هجمات أولئك الانذال (كما يصفهم).

لست أستطيع أن أصف مدى تأثيري بهذه الرسالة، ولم تأثر لأن واحداً من الغربيين تكلم عن النبي فتطاول وتحدى عن المسلمين فكذب وتناول العرب فرمادهم بالخرق لأن كل ما قرأه كان كافياً وحده لتكذيب الكاذب نفسه فيعني عن دفاع المدافعين، وصدقني إذا قلت أني اتمنى على الغربيين أن يكثروا من أمثال هذا المؤلف الذي يفضح أسرارهم ويكتذب أحدهوتهم ويكشف للشباب المتمسك بأذیال أدبهم ومدنיהם أنهم وبعد ما يكونون عن الحق عندما يتحدثون عن الإسلام وأهله.

إن الجامعة الإسلامية كانت شكّة<sup>(١)</sup> في عين الغربي المستعمر، يراها قوة كبرى تقف سداً منيعاً دون استعمار بلادنا الإسلامية وكانت تتجلّى له أنها الصخرة التي تصطدم بها سفينة نفوذه في الشرق وقد تطلع إلى استعماره ومع ذلك يخشى أن تصل شظاياها إذا اصطدم بها إلى بلاده فتقهر مدنيته المزيفة وتدرك حصول نصراناته التي ناهضت العلم فناهضها حتى تغلب عليها فدبّروا حملتهم الصليبية الثانية تحت الخفاء من طريق نشر مدناتهم التي بسوها لنا لبوس المتمرد على الدين مناهضة للإسلام ويكتفي الغربي أن يترك المسلم دينه ولو لم يتدين بعد ذلك بدين آخر - وبعد لأي وجهاد متواصل من جمعياتهم التبشيرية ومستشريقيهم وشركائهم الاقتصادية نجحت خططهم الجبارية وساعدتهم الحرب العامة على اقتسام بقية البلاد الإسلامية فكان ما كان.

هذا هو خطر الغرب على الإسلام وجامعته ولا ننسى أنهم بدأوا خططهم بإشعال روح القومية التركية في نفوس شباب العثمانيين يوم كان العثمانيون هم القائمين على شؤون الخلافة الإسلامية والذين بأيديهم مقدرات الجامعة الدينية حتى حاول الاتحاديون ترسيخ الشعوب الإسلامية الأخرى، فأثار هذا العمل حفيظة هذه الشعوب

---

(١) ألم حاد مفاجئ يصيب أحد أجزاء الجسم.



ومنها العرب وساعد على تغذيتها تشعب العرب بالروح القومية فكان الذي أراده الغرب وكانت الحرب العامة أيضاً فقضت على آخر أمل في الجامعة الإسلامية التي كان الغرب يحسب لها حساباً.

ولا ننسى أن من خططهم نشر الروح اللادينية في مدارسهم عندنا التي على غرارها سارت مدارس المسلمين ومن طلابها كان أساتذتنا حتى في عصر العثمانيين، وفي كتبهم وصحفهم التي يدرسونها بيننا بالترجمة أو عن طريق المستشرقين وبعض نصارى العرب وأذناب الاستعمار منا.

وأشبعوا في أدمعة أبنائنا مناهضة الدين للعلم بصورة عامة، وصحيح ان النصرانية اصطدمت بالعلم فقطانا زمانا حتى صرعنها، ولكن الدين الإسلامي أرحب صدراً وهذا قرأنه العظيم يحث على التفكير في النفس والكون لو لا ان سذاجة المسلمين أغفلتهم عن اكتناه هذه الحقيقة؛ فراح يركض المطلع منهم الى مدينة الغرب وراء مظاهر العلم الحديث باعتباره ينافق الدين الإسلامي، وكان من طبيعة الحال ان لا ترضي هذه الظاهرة رجال الدين فيتقززون؛ وتقرزهم هذا بدوره يؤيد حجج من يزعم مناهضة العلم الدين ...

وهكذا أخذ العلم والدين اتجاهين مختلفين في نظر أصحابها بالرغم على تصالحهما أنفسهما.

وهذا كله من عمل الاستعمار ودسائسه التي لا يمكننا النجاة منها ونحن سائرؤن على ما نحن عليه من التفكير الاهوج والضعف المسيطر على جميع نواحي حياتنا وهذا هو الذي نحدره من الغربيين لا أحاديثهم المكشوفة المفضوحة واعتقد ان الزمن يتضرر مصلحاً جباراً يوقظ المسلمين من رذّهم ويكشف لهم كيف ضلوا ضلالاً بعيداً وطروحوا برسالة محمد (صلى الله عليه وآله).



أرجع الى حديسي الأول: ولم أتأثر اذ تأثرت عند قراءتي الرسالة لأن واحداً من الغربيين طعن في الإسلام والمسلمين بهذا الشكل المفتوح حتى عند هذا الشاب الذي لم يترب تربية دينية بل اتنى عليهم - كما قلت - ان يكثروا من هذه المؤلفات ولكنني تأثرت على هذا الشاب المسكين ان يكون مخدوعا بنتيجة تربيته فيعتقد في الغرب والغربيين اعتقاد التقديس فيستفزه ان يرى واحداً منهم يكذب من غير انصاف ويطعن في اعظم شخصية في العالم من غير برهان واذا كنا ننعي على هذا الشاب اعتقاده بهم فإنما ننعي تربية مدارسنا ومعاهدنا لأنها لا تخلق شبابا يتفهمون نفسية الغربيين حول الإسلام والمسلمين وما دبروه ويدبرونه لنا تحت الستار من دسائس يندى منها جبين الإنسانية؟ ويقشعر لها العدل والحق؛ وقد نصبووا شر اكا لاستعبادنا وحفروا لنا هوة من التمرد لا قتناصنا وجعلوا الإسلام عدة لاستئثارنا.

لو كشفنا لأنفسنا نياتهم لما ذهبنا نلتمس مساوئهم لنا حسنات ووحشيتهم مدنية وفضائحهم مفخرة، ان الشاب فيما ليتناول ان يأخذ من الغربي مصطفنا من ترفة وظاهرة من أرستقراطيته ونمودجا من اخلاقه المائعة وينسى ان قوة شخصية الغرب هي سر تفوقه ورادته الصارمة هي منبع سعادته وتفانيه في مصلحة بلاده فوق الاعتبارات؛ وبعد كل ذلك - عقله الجهنمي المخترع ضمن له حياة القوة والرفة دونك ايها المسلم المسكين؛ فمن هو المسؤول عنك؟



## كيف يتدرج الغربيون في هدم المدنية والدين؟<sup>(١)</sup>

### نظرية التدرج

إن تدرج الإنسان في أعماله وأفكاره وشئونه السياسية والاقتصادية هو أساس تطوره الحيوى وبه يستطيع ان يأخذ وسائل الفوز في معرتك هذه الحياة ولا يكاد يبلغ الإنسان بسيره المرحلة الاخيرة من غايتها التي يتوجهها قبل ان يقطع المراحل والحلقات التي بينه وبين المرحلة المقصودة.

ونحن نستطيع ان نظر على التدرج من نافذة الفلسفة فترى ان من أول المستحيلات ان يحصل شيء تدريجيا بحسب ذاته دفعه واحدة بدون التنقل في منازل درجه المتربة وجودا وهذا ما يسمونه (الطفرة) كما انا إذا اشرفتنا عليه من نافذة الاستقراء نعتقد انه لم يحصل شيء في العالم من اعمال الإنسان وافكاره منذ خلقه، الا وكان مبنيا على هذا الناموس الذي يصح فيه ان يقال هو (ناموس الحياة).

وعلى الأخص ذلك في الحياة الفكرية وتوفّر عقلية البشر الفردية والاجتماعية وعليه كان نزول الشرائع والاديان المقدسة فانك لترى التفاوت بين بين الشريعة المحمدية والديانة المسيحية وكذلك الاخيرة بالنسبة الى ما قبلها فلم تزل الاحكام الالهية تنتقل في نزولها على الانبياء من المنزلة الضعيفة الموافقة لعقلية المجتمع في زمانها الى منزلة اقوى الموافقة لزمانها ايضا حتى انتهت الى الحلقة الأخيرة وهي الشريعة الإسلامية المقدسة التي أصبح بها نبينا عليهما السلام خاتم النبيين.

كما ان نبينا محمدًا عليهما السلام نفسه في تبليغ احكام شريعته سار على هذه القانون حتى كان

(١) نشرت في مجلة المهدى، السنة الثانية الجزء الأول ١٩٣٠ وما بعدها.



في ابتداءبعثة يكتفي من اسلام المسلم بالشهادتين ولم تزل تتوارد منه الاحكام وقوانينه المحكمة على التدرج حتى جاء قوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم﴾<sup>(١)</sup>.

هذا هو ناموس الدين الإسلامي وهذه هي أنسسه التي قام عليها حتى انتشر في العالم هذه الانتشار الغريب وأصبح نوره يتلألأً في جميع قارات العالم وامتد رواقه من الشرق الى الغرب. ولكن بعد لأي انقلب علينا الامر وتمسّك اعداؤنا بقوانينه المحكمة فانثالوا يتدرجون في هدم صراح ديننا ومدنیتنا ورحا نلتمس الفرج لننجوا بأنفسنا (ولات حین مَاصٍ)<sup>(٢)</sup> من مقابلة هذا السيل الجارف الذي تسلق علينا من قمم هذه الجبال التي نصبتها (الأجانب) فوق رؤسنا!!!.

أقام الغربيون قيامتهم على المسلمين بحروبهم الصليبية (البربرية) فدمروا وخرموا وسفكوا الدماء وأزهقو النفوس وهتكوا الحريم و. و. الخ. حتى إذا هدر فنيق المسلمين بعد الموت الاحمر استخلصوا البلاد من ايديهم وولوهم الدبر ناكصين وما استطاعوا بذلك (وهيئات) أن يؤثروا على الفكرية الإسلامية بل ما اشتد المسلمين اتسكا في دينهم وعقائدهم.

ولكن ما خمد وطيس تلك الحروب الهمجية المسئومة الا عن خمود نور الشرق الوضاء وما تغري الليل عن صبحه الا على فوز الغرب بعلوم المسلمين وأدابهم في حين ان المسلمين قد انطفت جذوة نارهم وضعفت قواهم وتقتلت شملهم حتى اصبح الغرب مهد المدنية بعد ان كانت أوربا مظلمة بجهلها وتوحشها فارتقى الجو واخذت له الارض زخرفها وظن اهلها انهم قادرون عليها.

(١) المائدة: ٥ .٣

(٢) ص: ٣٨ .٣

(فمتى يأتيها أمر ربنا ؟)

و عندئذ ربض الغرب بحجرة و تنجي جانباً تغلي مراجل بغيه على الشرق التعيس  
غضباً ينظر اليه شزراً والشرق في آخر نفس من الحياة كحالة المتضرر يتظرون شهقته  
القاضية عليه حتى طفق الغرب ثانياً شاكياً السلاح يفلي طيات الوسائل لابادة الشرق  
ويسعى لتدمير الإسلام (لا قدر الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره...) يجوب خلال عرصات  
الحيل فأفادته التجارب ان نفت ناقع سمه (على ناموس التدرج) بطرق متشعبة وسبل  
متفرقة فدس السم في العسل من حيث ندري ولا ندري ونحن قد توصدنا وثير الراحلة  
والكسيل ولعلى الآن المسك شيئاً منها (وإن كانت لا تعد) ثم لنرى ما حالتنا إزائها؟

المدارس

المدرسة هي الأم العطوفة التي تغذّي أبناءها من لبنها صفاً أو تكدر، المدرسة هي الآلة (المصورة) التي تطبع على زجاجة قلب الطفل الرقيق التي تقبل كل صورة تمر عليها، هذه هي المدرسة وما أجلها لو غدت أبناءها من لباب الأخلاق الفاضيلة ورسمت على زجاجة قلبه الصور الجميلة.

أجل ما أجلها ولكن من هو المصلح يا ترى؟!!

ومذ عرف الغربيون ما للمدرسة وتأثيرها في نفوس الناشئة اقام المبشرون منهم المدارس الابتدائية والكلليات في العالم الإسلامي فاوثقوا عرها ليدسوافيهما ناقع سمهم وهذه دسيسة موبقة. فأنهم لما رأوا ان من وشجت عروقه على الإسلام ونبت لحمه وعظمه على حب محمد ﷺ كان من الصعب بل من المستحيل ان يدخلوا في ديانته أهواهم ويجعلوه نصراينيا أو ملحدا فنصبوا دور مدارسهم لاجل تعليم اطفالنا كنانة لسهام ضلامهم ومضمارات جولان خيول فسادهم وبغيهم ولكن باسم العلم والمعارف باسم الرقي والنجاح الى آخر ما هنالك من كلمات الحق التي يراد بها الباطل والقشور



الرائقة التي لبابها الفساد ليضلوا المسلمين (كما قد أضلوا!!!) باسم العلم والمعارف والنصح والارشاد لهم ونحن في سكرة لا هون.

فهل ترى أيها المسلم المستضعف ان هذا كله حب للإسلام وأهله ونصيحة للشرق وبنيه؟ ..

وان أنس لا أنس ما ذكرته (العرفان) الغراء في أحد اجزاء المجلد التاسع عن كتاب اسمه (مختصر تاريخ فرنسا) وِجِدَ في يد تلميذ من تلامذة احد مدارسهم يدرس فيها هذا الكتاب وقد نسب في هذا الكتاب الكذب الى نبينا عليه السلام كأنهم تخيلوا هو مسيحيهم الموجود في انجيلهم وقد نسبوا اليه كل شناعة وقبح قاتلهم الله تعالى. وهذا نص بعض عباره هذا الكتاب المترجمة وناقل الكذب..

(العرب أصلهم من البلاد العربية اعتنقوا دين محمد الكاذب «؟» الذي فرض على أتباعه واجبا مقدسا وقد نشر دينه بقوة السلاح «؟»)

الله أبوك أيها المسلم كيف حفظت دينك بتقليلك للغربين كيف أخذت مكانتك  
العالية من الرقي بتأخر لخلقك بأخلاق اعداء دينك؟

وأضف على ذلك ان الإنسان بغير زاته ميال لعلمه واستاذه وي Jihad عن حقوقه مربيه بلغ ما بلغ، فلقد اثر اختلاف نزعات تلك المدراس في خصوص مصر وسوريا التي منها الإفرنجية والأمريكانية مثلا على فكر تلاميذها من التشا辱 والتباغض مما يجعل مستقبل المجتمع الإسلامي مهددا وصرح الوحيدة منقرضا فقد ترى أخوين يتباغضون كما سمعنا كثيرا ليس الا لأن أحدهم في مدرسة امريكية والآخر في مدرسة فرنسية مثلا، وهلا ترى ذلك هينا؟ كلا ثم كلا، فان اختلاف هذه النزعات بمثل هذه الاختلاف مما يوجب بعد حين نقض صرح الوحدة الإسلامية بالطبع من حيث لا نعلم بعد ان كنا كالبنيان المرصوص يشد بعضه ببعضه.



فأين هذه البناء المخصوص أية المسلمين. لا يحق لنا أن نبكي دماً وماذا يجدي!

هذه هي مدارس الاجانب في العالم الإسلامي ومن نهرها اغترفت مدارسنا نحن المسلمين وعلى وتيتها جرت هذه هي مدارس العراق هل تشک بأنها مدارس إسلامية.. كلًا. لا اشك ولا نشك ولكن لماذا قد أهملت النقطة الدينية كل الاهتمال. واضف على ذلك انه ربما يلقي المدرسوون على تلاميذهم اموراً يلقوها على بساطتها وكثيراً ما تزل في عقائدهم وتوجب مقاومتهم الدين واهلته.

إن المدرسة لا شك بأنها تحدث روح النشاط في الطفل والاعتماد على النفس وتقلل من نفسيته بروح وثابة من الشجاعة الأدبية، تجعله بعيداً عن التقليد (لكن لا عن تقليد الغربيين حاشا) حتى اذا كملت تلك الروح فيه وتشبعت نفسه بالاستقلال الفكري نظراً الى ما حوله من المعتقدات الإسلامية والطقوس التي اعتادها المسلمين وهو لا شك فارغ الوطاب من معرفة الإسلام وحقيقة ضعيف في التربية الدينية وقد يكون مملوء الفكر من الشكوك في الديانة الإسلامية فيصبح (وهو يريد ان يكون بزعمه مجتهداً في اصول دينه) في ضلال وهو لا منجاة له بها فيغرق في بحار الشكوك والاوهام وتزل قدمه عن الجادة الطريق في حين انه قد اخذت بمعجم قلبه آراء الغربيين وأعداء الإسلام. ويعتقد ان السؤال من اهل الدين منقصة له وسقوط لأنهم كما يزعم خرافيون ولأنه كما يعتقد متئور الفكر ولأنهم.. ولأنه... هكذا تكون ابناء مدارسنا اليوم. فما الحيلة..

رفقا يا والد الطفل الشقيق بولوك العزيز

رفقا أيها المدرس بمن جعلوك عليه اميماً وحافظاً على أخلاقه وتربيته.

رفقا يا أولياء الأمور وهؤلاء ابناء مستقبلكم رفقاً ثم رفقاً وما يجدي قوله رفقاً.

أترى ايها الوالد الشقيق تؤمن على ابنك من الغرق اذا ولج في امواج البحر المتلاطم



وهو غير عارف بصنعة السباحة في شيء. أطمئن نفس على اقدامه هذا. كلام كل فيما بالك ان تدع ابن اليوم ورجل الغد يلتج هذه الغمرات والامواج المتلاطمة من الشبهات التي لا يستطيع على ولو جها الا العالم النحير لأن تراقب حركاته واحلاقه وهو ضعيف المبادئ والمعلومات عن حقيقة دينه وشريعة نبيه قد خرج من حضن امه الحنونه وهو لا يعرف الا ان يأكل ويشرب فدخل في هذه اللهوتات..

فهذا يكون مستقبل هذه الامة؟ وما بال مدارسنا لا تعلم ابناءها الثقافة الدينية وتنهج لهم منهجا يسلكون به صراطا سويا حتى لا تخشى عليهم يومذاك من الغرق الاكبر. لا اريد ان تقيد فكره وتنعنه من الدخول في مسارح الحرية الفكرية، لا اريد ان تضغط عليه من استنشاق نسيم الحصافة لا لا. لكنني اريد ان تجعله قبل كل شيء ماهرا في فن السباحة حتى لا تخشى عليه من اقتحام المهالك والتوجّل في الشبهات ليس الا. فأين هم اولياء الامور اين الحمية الإسلامية اين النعرة الدينية.

إيه أيها المدرس المسلم، رحـماك فحافظ على من قد ألقوا إليك قياده وحاذر من ان تلقي عليه ما لا يتعقله عقله القاصر من المبادئ الدينية وحاسب نفسك امام وجданك اذا وفدت على صاحب الشريعة عليه السلام أما سمعت عنه عليه السلام حيث رأى اصحابه يخوضون بعد ان غضب حتى احررت وجنتاه «أفبهذا أمرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امركم الله فافعلوا وما نهاكم عنه فانتهوا».

ولكن اين المسلم؟

اما اهمال النقطة الدينية في مدارسنا اليوم تعرفها من أمور:

(أ) عدم اقتناء رجال عارفين متدينين لتدريس الدين فانك ترى ان جل المدرسين للدين من اضعف المدرسين علمًا وعملاً.

(ب) عدم تدريسهم الامور الجوهرية التي تنمو بها اخلاقهم الدينية وانما يدرسوهم



امورا اشبه شيء ببناء الحائط بغير اساس وهناك الطامة الكبرى! .

(ج) عدم وضع كتب كافية في مهنة تدريس الدين بل يلقوا ذلك على عاتق المدرس الذي كثيرا ما لا يكون من المدربين فربما يخطئ عشواء فلا يأني الا بالضر في عقائدهم الدينية في حين انهم فارغو الوظاب.

(د) عدم اقتناء الوسائل المرغبة لتدريس الدين واهمال شؤونه الموجبة لسامة التلميذ وعلى اثر ذلك نقل بعض من تخرج من المدارس الابتدائية فقال انه كان الدرس الديني اثقل علينا من يذبل وأمر في افواهنا من الحظل وما كنا نعتنی اي اعتناء لا فيه ولا في مدرسة فقل ايها المنصف لماذا؟ ولم؟ .

(هـ) عدم حث التلاميذ على الالتزام بالنواويس الدينية والاوامر الشرعية ان لم يحثوهم على العدم كما قد يتفق. نعم في وزارة السيد عبد المهدي دخل ذلك في منهاجهم ولكن كان ذلك على الاجبار من المدرسين والتلاميذ وما كان بنافع اذا لم يكن عن داع ووجودنا ننساني الى غير هذه الامور مما ينزلل وثوقنا بمستقبل شبابنا في الدين! .

وان اهمال هذه النقطة الجوهيرية يا عزيزتي في سعادة قطتنا المحبوب اوجب جر الويلات على امتنا العراقية وسريان اوبيئة فساد الاخلاق في جسم عراقنا...كم هتاف ارفع الى عنان السماء وشكوى ملأت الاقطار كما ضجت به بعض الصحف العراقية مما تصنعه ايدي بعض المدنسين الجانحة ما يأبى القلم عن سطره وتشمز منه النفس عند ذكره وما يبعث على اليأس من حياة قومنا الاخلاقية وان من خاض شؤون المدارس اليوم ربما يستطيع ان يطلع على ما في مدارسنا من الاوبئة وامراض داخلية مما يجر الخطر العظيم على الناشئ ومستقبله ويجعلنا نصفق الراح بالراح أسفنا!

وخصوصا ترى ذلك في ايام الامتحانات العمومية فكم ترى من كسول قد اخذ الدرجات الرفيعة، ونشيط قد سقط الحضيض الاسفل من درجاته ولماذا؟....

اللهم رحمتك وغفرانك..

وان ذلك مما يستلفت انتظار اولياء الامور و يجعلها مهتمة باصلاح هذه الامراض  
ولكن لا ترى الا السكوت والاعراض أليست مدارسنا اسلامية؟

بلى اهنا اسلامية لكن اولياء الامور شاءوا ذلك ما شاءت لهم اغراضهم، أهل تذكر  
كلمات مزاحم الجاجي يوم خاطب احد محرري الصحف الانكليزية عن خصوص  
مدارس العراق كما نشرته جريدة العراق قبل سنتين تقريبا وكيف كان مناويه ينوي ان  
لا يعرف التلميذ من الدين شيئا الا ما تلقاه من امه ينوي وينوي: الى آخر ما هنالك من  
المناوي المهلكة التي تجعل العراق مستريحا عن كل ضغط ديني، نعم هكذا ينبغي ان  
يكون المسلمون وهذه هي الغيرة الإسلامية والحمية الدينية.....

دع عنك هذه وذاك وهلم معى الى (الشعبية الدينية) من الجامعة لنرى ما حظ الدين  
الإسلامي من بين جدرانها وكيف تلقى التعاليم الصحيحة لتجعل التلميذ دينيا فأني لا  
انسى وقد سألت احد خريجي الجامعة في هذه السنة عن مقامها في الدين فقال لي: (اسم  
بلا مسمى..) أليس ذلك بعجيب؟ ألم يدرس فيها فلسفة الدين الإسلامي؟

### العادات القديمة

ان من نظر بالنظر المجرد عن غبار الكلل ومسح عينيه عن التشكيكات يرى ان  
الماضي هو اساس الحاضر والقديم لحمة نسيج الجديد وعلى ذلك بنت الأمم المتمدنة  
حياتها المدنية حتى اصبحت بعض الامم تتحل لها ماضياً تفتخر به ولتصبح نشأتها  
مفطورة على حب الوطن والجهاد عنه حتى تتأسى بأجدادها فان تذكر حسنات الماضي  
روح النشاط في حياة الآداب القومية والدينية بل في كل شيء وعلى الاخص ذلك في  
امة كأمتنا التي لها ذلك الماضي النير السعيد التي بلغت في يومه تلك الحضارة التي  
طبقت الشرق والغرب من نهر تاج باسبانيا الى نهر الغانج في الهند ومن انوارها اضاء



هذا الكون في حين ان اوربا كانت مظلمة بجهلها وتوحشها كيف وفي مقدمتها محمد

نبينا سيد البشر ﷺ .

ولكن ترى بعض المستشرقين الذين هم في همة انحطاط مدينة الشرق والإسلام ما زالوا ولن يزالوا يفوقون سهام ضلامهم ويشرعون رماح بغيهم على ديننا المقدس ومدنیتنا (باسم العادات القديمة) في حين ان الشرقي ماثل امام الغرب رافعاً كلتا يديه تلclf كل جديد يمر عليه من الغربيين ابتداراً لبلوغ الحرية وطمعاً في هنية العيش !! واستوسع رتق هذا الأمر علينا ان اظهر البشر ان دينه على طبق المدنية والحرية في حين انه ابعد من السماء عن الارض عنها وابان الملحد ان تعطيله على ناموس النبوغ والتجدد الى ان سری الداء الى نفوس جملة من قومنا فتمردت ارواحهم على كل قديم فانكمشوا عن الدين واهله والروحانيين واشياعهم حتى اصبح المتدين بينهم مدعواً بالتوحش والسقوط والروحاني موسوما بالجهل والخمول ؟؟؟

وكاد ان يكون لفظ القديم والخرافة والتفسير والسقوط عندهم الفاظاً متراداً فعجوا من حيث يدرؤون ولا يدرؤون حباً للتجدد والحب... وكرهوا كل شيء تسمى

سُئِّمَتْ كُلْ قَدِيمٍ عرفة في حياتي

ولم يحسوا بالضرر الذي يحدث من هذه الترهات هذه الترهات الموجب لسقوط مدنیتهم ودينهم فاستسلموا لحكم الغربيين !! وما احسن ما قاله بعض المنصفين من الانفرنج راجع العدد ٣٠ من جريدة (النجم) حيث يقول (ولست ارى سبباً جوهرياً يدعوا الى تأخر المسلمين سوى تمسكهم بالhadith وتركهم القديم فانهم ركعوا الى المدنية والمدنية الحديثة قد تتفق وقد لا تتفق مع الدين الخ).

ولو كانوا متمدنين كما يزعمون لاقنعوا الوسائل الكافية لترقية بلادهم ونشرلها من هوة الجهل والانحطاط فما بالهم اصيحت غايتها ملء جيوبهم من اموال الفقراء وجل



اغراضهم رفاهية احوالهم الشخصية فلا ترى في همة الطالب (الوطني) اليوم الا ان يجلس على كرسي (الوظيفة) ليقضى مال المؤسسة قضم الابل (نسبة الربع) فاذا قبض على منشودته المحبوبة عض عليها بأسنانه والتحف معها بازار السكوت فينقطع عن كل ما يخص بلاده ووطنه وعن جميع ما يتعلق بقومه وامته اللهم إلا من شدّ وندروكم نرى (الشاعر) الذي مازال يطربنا بقیثاره والكاتب الذي يؤنسنا ببديع افکاره يقوم ويقعد في نصرة وطنه والجهاد عن حوزته حتى اذا همست في اذنه نغمات الرواتب خدمت اصواته وخفقت حركاته كأن لم يكن... هؤلاء ابناء وطننا وهذه حضارتهم وهذا مقدار حماسهم على وطنهم (المحوب)! ) وياليتهم بلغوا من الحضارة ما بلغة الغربيون او نالوا واحدا من الف حتى يتركوا العادات القديمة الإسلامية ويتبذلونها وراءهم ظهريا!!!

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا      وأبْعَدَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ  
ربما يظن القارئ بأني واقف ثمة موقف التعصب لكل عادة قديمة على ان لا يمس كرامتها يد التعديل والتغيير حتى العادات الخرافية لا، لا، يا ايها القارئ الكريم لا يخطر في روحك ذلك بل انا اقول كما يقول (النقيدي)<sup>(١)</sup>:

فلا أعادي قدِيمًا      ولا جديداً      أولى  
أحب هذا وهذا      لكن بشرط اعتدال

وانها غرضي التنديد على قوم خططوا خطط عشواء وضرروا اخواهم في اسداس حتى اضاعوا المشيتين فلم يميزوا بين العادات الحسنة والشوهاء بعد ان اخذ بزمام آرائهم تقليد الغربيين والتخليق بأخلاقهم وقد اجلسوا انفسهم في دست المصلحين لأمتهم في حين انهم غارقون في الفساد حتى نالوا من قداسة الدين الإسلامي وتعاليمه وطقوسه باسم التهذيب لأنفسهم ورفض العادات الفاسدة عنهم بما يعجز القلم عن بسطه

---

(١) هو العالم الأديب القاضي الشيخ جعفر نقدي رحمه الله.



ويكل اللسان عن بيانه.

بلى ربما يعرف البعض حقيقة بعض تلك التقاليد وغير هذه العادات ولكن ينال منها لحسبان انها عشرة في سبيل نهضة الامم وتتجددتها ولتمضي في حب التجدد وتقليل الغربيين فيقوم يهزأ فيها ويندد على اهلها فرحمتك الله وغفرانك وان شئت فخذ مثلا ما تذمر منه بعض المتجددين وجعلوه موضع سخرية لهم اعني به تشيد القبور حتى قال:

كم من قصور في المقابر او قبور كالقصور  
هي صخرة(؟!) صماء(؟!) تكسى بالدمقس وبالحرير(؟!)

اخذوا هذا الرأي من الوهابيين مذ وقع عندهم موقع الاستحسان رغم ما ينادي به العالم الإسلامي على ضده وما جرت عليه سيرة السلف (الصالح) والخلف وما ادرى ان كان تذمرهم هذه من الوجهة الدينية كما هاج به الوهابيون فهذا امر عند المسلمين ساطعة انواره ببينة دلائله قد كفونا مؤونة بيامها حملة الاقلام من جهابذة علائنا ادام الله شوكتهم وان كان من الوجهة المدنية الحاضرة الغربية فلا جواب لهم الا الغض ونبذهم في غلوائهم يخوضون على ان هؤلاء الغربيين الذين قد ألقوا زمام آرائهم وافكارهم اليهم وقلدوهم تقليد الاعمى ماثلين امامهم يشيدون الصروح لكتارهم ويزخرفون المقابر لعظائمهم اعلانا بعظمتهم وتذكارا لاعمالهم هذا تمثال (باستور) النابغة الفرنسي الذي لم تزل فرنسا تقيم له الحفلات والاعياد وتشاركها في ذلك الدول والحكومات.

ولا احيلك على امر لم تره عينك هلم الى بغداد وانظر الى تمثال (مود) منتظر جواده قائما امام الرائق والغادي وقس على ذلك واعتبر ولكن لا ارى هؤلاء يستندون على مبدأ يعتقدونه وانما ذلك اخذنا بالمثل المشهور (خالق تعرف!).

## التعصب العنصري والقومي

لكل فرد وحدة شخصية يمتاز بها عن شخصية مجتمعه الذي قد أصبح ذرة فيه اعني بها الوحدة الفكرية الوحدة الأخلاقية التي يصبح بها فرداً منعزلاً عن عقلية مجتمعه فيرى لنفسه كياناً أذكى ليس للمجموع الذي حوله.

ولكن مهما بلغ هذا الفرد من هذه الوحدة الشخصية والاستقلال الفكري لا يتأتى له ان لا ينضم الى وحدة اخرى فوق وحدة تجعله ذرة من مجتمع وجزءاً من مركب فيتألف المركب الاجتماعي من افراده واجزائه بسبب وحدة مسيطرة على شخصياتهم وجماعه لقواهم هي الغاية من تأليفه حتى يصبح الفرد متفادياً عن مبدأ تلك الوحدة ومتعصباً لشخصيتها.

وكما اتسعت تلك الوحدة وكبرت يتسع ذلك المجتمع وتتكاثر افراده مع مساعدة الظروف عليها فيقوى جانبه على حسب قوة اجزائه. في حين ان الفرد قد ينضم او لا الى وحدات اخرى اصغر واضيق مندكة في تلك الجامعه الكبيرة حتى تنتهي الى الوحدة العائلية التي هي مبدأ الجماعات. فالإنسان قبل كل شيء فرد من الوحدة العائلية ثم من وحدة قومه ثم وحدة بلاده ثم قطره ثم.. ثم.. الخ فترى تعصبه العائلي قبل تعصبه القومي والقومي قبل العنصري وهكذا.

إذا ضرك ايها (المحامي) ان تقوم جمعية مسلمة تحامي عن الإسلام دين الحق في حين انها لا تمس كرامة الآديان الأخرى بما يجب تکدر صفو (وحدتنا القومية) التي تزعم انك تدافع عنها وإنما كانت همتها مقابلة هذا السيل الجارف سيل الاستعمار ونقض دعائم الإسلام. ولو تأملت حسناً لأدركت «ان كنت منصفاً» «ان بهذا ومثله تقابل مدافع الاستبعاد فتنمى الروح الاجتماعية وتقوى في نفوس النشئ وتمتنع من تحقيق ما تنزع اليه السلطة الأجنبية.



تقول ايهـا «المـحـامـي» لا ادري كـيف يـتفـق حـبـ الـوطـنـ وـنـزـعـةـ الـخـصـوـعـ لـعـدـوـ الـوطـنـ  
وـاقـولـ اـناـ لاـ اـدـرـيـ وـلاـ الـنـجـمـ يـدـرـيـ مـتـىـ كـانـتـ النـزـعـةـ الـإـسـلـامـيـةـ وـالـدـفـاعـ عـنـ حـوـزـةـ  
الـدـيـنـ الـخـيـفـ الـذـيـ بـلـغـتـ بـهـ الـأـمـةـ الـإـسـلـامـيـةـ أـرـقـىـ مـدـارـجـ الـعـمـرـانـ تـعـدـ نـزـعـةـ اـجـنبـيـةـ  
وـخـصـوـعـاـ لـعـدـوـ الـوطـنـ ؟؟؟؟.

قاتل الله الاغراض وسامحك ايهـا الكـاتـبـ ولاـ اـقـولـ اـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ.

هـكـذـاـ يـذـرـ الرـمـادـ فـيـ الـعـيـونـ وـيـسـتـرـ وـجـهـ الـحـقـيقـةـ وـهـكـذـاـ اـصـبـحـ الـمـسـلـمـونـ مـسـتـضـعـفـينـ  
فـيـ عـقـرـ دـارـهـمـ مـأـخـوـذـاـ عـلـىـ اـيـدـيـهـمـ حـتـىـ عـنـ الدـفـاعـ،ـ لـيـتـ الـكـاتـبـ تـأـمـلـ وـارـعـوـيـ وـنـظـرـ  
إـلـىـ جـنـبـهـ مـثـلـاـ «ـجـمـعـيـةـ الشـبـيـبـ الـأـرـمـنـيـةـ»ـ فـيـ بـغـدـادـ أـفـهـلـ كـانـ الـأـرـمـنـ اـوـلـىـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ  
إـنـشـاءـ مـثـلـ هـذـهـ الـجـمـعـيـاتـ فـيـ بـلـادـنـاـ؟ـ

فيـالـعـارـ وـيـالـلـشـنـارـ وـيـالـسـوـءـ طـالـعـنـاـ غـداـ اـذـاـ كـثـرـ مـنـ «ـالـمـجـاهـدـوـنـ عـنـ الـوطـنـ»ـ!ـ  
مـثـلـ هـذـاـ الـمـحـامـيـ وـلـيـتـهـ وـقـفـ عـلـىـ هـذـاـ الـحـدـ وـلـمـ يـسـتـرـسـلـ بـكـلـامـهـ فـيـمـتـدـحـ جـمـعـيـاتـ غـيرـ  
الـمـسـلـمـيـنـ وـيـقـدـحـ فـيـ هـذـهـ الـجـمـعـيـةـ الـمـسـلـمـةـ بـزـعـمـ اـنـ تـلـكـ الـجـمـعـيـاتـ غـيرـ الـإـسـلـامـيـةـ لـمـ تـنـعـنـ  
الـمـسـلـمـيـنـ مـنـ الدـخـولـ وـيـالـيـتـ شـعـرـيـ ماـ كـانـ مـعـنـىـ لـفـظـ الـأـرـمـنـيـةـ فـيـ هـذـهـ الـجـمـعـيـةـ فـهـلـاـ  
يـتـمـلـكـهـ الـأـسـىـ عـنـ ذـكـرـهـ؟ـ

بـمـثـلـ ذـلـكـ بـذـرـ الـغـرـبـيـوـنـ فـيـ نـفـوسـ الـمـسـلـمـيـنـ هـذـهـ الـرـوـحـ وـعـلـىـ هـذـاـ المـنـوـالـ جـرـتـ  
نـاشـأـتـنـاـ وـمـاـ هـذـاـ الـمـحـامـيـ الـأـسـنـبـلـةـ مـنـ تـلـكـ الـمـزـرـعـةـ وـعـسـانـيـ الـأـنـ الـمـسـكـ ماـ اـثـرـهـ (ـالـتـعـصـبـ  
الـعـنـصـرـيـ وـالـقـومـيـ)ـ عـلـىـ بـلـادـنـاـ الـإـسـلـامـيـةـ وـكـيفـ اـصـبـحـنـاـ اـزـاءـ هـذـاـ الدـاءـ الـقـاتـلـ؟ـ

بـلـ لـقـدـ اـثـمـرـتـ تـلـكـ الـبـذـورـ وـاعـشـبـتـ فـيـ وـادـيـنـاـ اـنـ جـعـلـنـاـ هـبـاءـ مـنـثـورـاـ شـعـوبـاـ  
وـقـبـائـلـ وـاـمـاـ وـعـشـائـرـ وـلـكـنـ بـذـلـكـ الـلـبـاسـ الـقـشـيـبـ وـالـحـلـابـةـ باـسـ الـوـطـنـيـةـ  
الـصـادـقـةـ وـاـسـتـقـلـالـ الـشـعـبـ الـمـفـدـيـ وـبـاـسـ الـأـلـفـةـ وـالـاجـتمـاعـ وـمـاـ اـصـبـحـوـاـ الـأـفـلـالـ  
بـعـيدـ وـتـشـتـتـ وـشـقـاقـ فـكـيفـ تـرـىـ اـضـحـتـ الـعـنـاصـرـ الـإـسـلـامـيـةـ وـعـلـىـ الـأـخـصـ الـعـرـبـيـةـ



والتركية والفارسية على طرفي نقىض وتضارب وجداول واضغان واحقاد بل الامة العربية (المظلومة) كيف اصبحت شيئاً واباديد سر معى من العراق الى سوريا الى مصر الى الحجاز الى. الى ان ينقطع النفس وتقلل من التعداد لنرى حالة امتنا الإسلامية ولنبك بسواد العيون دما وكيف عادت الوحدة العربية فضلاً عن الوحدة الإسلامية من اول المستحيلات بل الوحدة السورية التي لم تكن سوريا إلا ذرة من تلك الجامعة القوية كيف اصبحت من الاحلام والمتمنيات وهي رأس مال المفلس.

نعم هكذا هبت تلك العاصفة وجرى ذلك الدعاف المقر في نفوس المسلمين من حيث ندري ولا ندري ونسميء باسم الاجتماع والاتفاق وهو عين الشقاق والخلاف.

اني لا أكتب كلامي هذه ولا اكتبه الا بمداد دموعي على اندراس معالم ديننا ومدنينا وأقول شمس عزنا ولا أسطرها الا بأحرف من قطعات نار قلبي الواجد يشيرها بركان مما اتذكره من اتحاد عالمنا الإسلامي في القرون الاولى حيث كان يرف عليه لواء النصر والعز تحوط بست جوانبه المنعة والدعة وما اراه الان من اندكاك صرح مجده وتزعزع عرش وحدته.

أقول فأبكي وانعى على قومنا الذين قد اخذهم ذلك السيل بجميع جوانبهم ولم يتقطعوا الى ما حولهم فملك حواسهم ومشاعرهم ذلك (التعصب العنصري والقومي) الذي قد أفنى حياتهم واتى على روح مدنیتهم حتى اصبحت المشاحنة والبغضاء بين العناصر الإسلامية تتجل بأجل مظاهرها خصوصاً بين العربي والفارسي والتركي على ما نسمع ونشاهد في بلادنا فعلى اي؟ ألم تكون تجمعنا الجامعة الإسلامية؟ التي لم تفرق بين العربي والفارسي والتركي والهندي والزنجي فلماً اضعناها....!

هلم ايها المسلمون ما لنا لا نقتفي آثار ابائنا الكرام ونتبع ديننا القوي ما لنا لا نعمل لدستوره الاجتماعي وقوانينه الصادعة بخير المجتمع الإنساني؟



ألم ينها الله عن المنابزة بالالقاب رأفة بوحدتنا!

ألم يزجر المسلم عن اكل لحم اخيه ميتا ابقاء لتعابنا !

ألم يردعنا عن ان نتنازع فنفشل فيذهب ريحنا !

ألم يامرنا بالاعتصام بحبل الله جميا !

أليس قرآنا هو الناطق بهذه الآية الذهبية ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ التي هي المسك...! أليس هو الناهي عن التفاخر بالانساب بهذه السبيكة المتلائمة ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءُكُمْ﴾ كما قال نبينا عليه السلام نبي الرحمة «إنما أنتم من رجال و امرأة كجمام الصاع ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى» وقال عليه السلام «لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى» وقال وقال الى ما لا يحصى ويعده.... .

أين انتم ايها المسلمين عن هذه السبائك الذهبية والقوانين الاجتماعية وال تعاليم الدستورية ما لنا لا نسمع منكم إلا التشاحن والحسد والبغض والاحقاد والمنابزة والمهاترة... و. الى ما يضيق عنه النفس وتزهق عنده الروح.

رفقا بأنفسكم ايها المسلمين رأفة بدينكم رحمة بجماعتكم حنانا على بلادكم ما لنا وفي كل يوم نسمع ونقرأ من السباب والاشادة بين المسلمين ما يقرح القلوب ويهمل الدموع وقد أصبحنا قاب قوسين او ادنى من السقوط والهلاك لا قدر الله واني لأعجب من يحمل على غير العرب المسلمين في بلادنا كما اتفق ذلك لبعض اهل الاقلام من المتشددين فطعن فيها باسم الانتصار للغة العربية ما ادرى ماذا يحاسبون انفسهم اذا وقفوا امام نبيهم الذي صدح بقوله عليه السلام (لا جنسية في الإسلام) حتى ملا الاسماع والاصقاع.



أنا لا انكر على مثل هؤلاء (غيرتهم العربية) كلا. ولكن يجب ان لا يكون ذلك طعنا في الوحدة الإسلامية ونقضا لصروح الجامعة الدينية يجب علينا ان نجاهد عن لغة ابائنا لغة القرآن المجيد وديتنا القويم ولكن لا يجب علينا ان نحط من كرامة باقي العناصر الإسلامية ونوقع البعضاء بيننا وبينهم فان لنا لغتنا ولهم لغتهم ولنا عنصرنا ولهم عنصرهم وللجميع وحدتنا الإسلامية التي تلم شعثنا وترأب صدتنا وديتنا اول ما اشرق نوره علينا نحن العرب اكان من الحنكة والانصاف ان نساعد غيرنا في تهديمه؟ ونسعى في نقض دعامه؟ ألم يكن من الشيمة العربية رعي الذمام وحفظ العهد فهلا رعينا ذمام نبينا العربي ﷺ في امته ودينه.

ولو كان هُم مثل هؤلاء هو الانتصار للغة العربية فما بالهم لو تكرموا بكلمة واحدة في شأن مدارس العالم العربي اليوم التي قد أصبحت ارقى دروسها واكثرها اعتناء هو درس اللغات الأجنبية حتى على درس اللغة العربية وقواعدها كما نشاهده في المدارس. لا اريد بكلمتي هذه ان اشنع على تدريس اللغات الأجنبية في مدارسنا كلا فان نفع تدريسيها اليوم لا ينكره الا مكابر فانه قد اصبح اكبر مدرجة لارتفاع قمة الرقي لما فيه من الاقتدار على تبادل الشرق مع البلاد المتقدمة في سياساته واقتصادياته. بيد اني اريد ان اظهر مقدار نصح هؤلاء وجهادهم عن اللغة العربية.

ولو تقول قائل واراد ان ينال من تدريس هذه اللغات انتصار اللغة العربية لا ينبغي ان يُصْغَى اليه متى ما كانت المدارس مهتمة في شؤون لغتنا اكثرا من غيرها فان العربي لو اتقن لغته ولم يهملها فمن المحال ان يؤثر على لغته الاحتراك مع اي لغة اخرى.

وانرأي ان فساد اللغة العربية وهبوطها الى هذه الدرجة لم يكن لاحتراك مع اي لغة كانت. بل وما كان العامل الاساسي فيها الا تساهل العرب انفسهم وتسامحهم في لغة ابائنا الا ترى ان العرب في الجزيرة مع بعدهم عن الاحتراك في اللغات الأخرى



كيف اكل الدهر على لغتهم وشرب؟ وزبدة المخض ان الاحتكاك ليس له ذلك التأثير في لعتنا لكن اهواه هؤلاء تصور لهم النملة بغيرا والذرة طودا فمتى ياترى نبذ هذا التعصب الذميم فتتمسك بوحدتنا الإسلامية؟ الجواب يوم لا ينفع مال ولا بنون.

هؤلاء ابناء (يعرف) وآباءهم اولئك الكرام الذين قام بسيوفهم الدين وبذلوا دونه النفس والنفيس وهكذا اصبحت هذه الاوبيئة سارية في جسم مجتمعهم وغرتهم تلك الاوهام والسفاسف فأضاعوا عزهم التليد ومجدهم الحالد فما ظنك بباقي العناصر الإسلامية وكيف لا يضربون على تلك الاوتار ويزيدون في الطنبور نغمة وفي المريض علة.

نعم، لا ان كان العرب قد نcumوا على غيرهم فان عداء هؤلاء غير العرب من المسلمين للعرب اشد وأعظم وما ذلك الا من نماء بذور التفرقة التي بذرها الغربيون بين المسلمين لتفكيك عرى روابطهم الإسلامية التي كانت كلما تصوروها تهزهم هزا وتلك الروح عممت المسلمين أعني التعصب الذميم.

فمتى يرعوي الغافلون ويتراجع المتشدقون؟ وانا الله وانا اليه راجعون؟

### الخاتمة

لقد سمعت ايها القارئ الكريم في العدد السابق ما للتعصب العنصري والقومي، الذي نسميه بالغيرة الوطنية او الحمية القومية من الاثر على حياتنا الاجتماعية والسياسية ولعلي لم اوف الموضوع حقه او لم استطع تعبيرا عن المقصود من بعض الجهات.<sup>(١)</sup>

وعلى كل فالنقطة التي يهمنا ذكرها هي الجواب عن الاسئلة الاتية:

(١) مع أن فضيلة صاحب المدى الغراء قد أهمل من مقالنا بعض النقاط لفوات وقتها أو لأنه متمسّك بقوله.. في فمي ....(المظفر).

ما كان أثر التعصب العنصري على حالتنا السياسية؟

أليس ان الدفاع عن حقوق العرب من اكبر المكارم للعربي؟

أليس ان النهضة العربية هي التي ايقظت قومنا من السبات العميق؟

أليس أليس؟... الخ

ولكن الجواب:-

(في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء)

على ان لا بد للمجتب مثلی ان يخرج عن حده ويدخل في مضيق دامس يعسر التفاهم فيه مع الغير وبطبيعة الحال نقع في مغالطة ومشادة لأن ابن الساعة لا يرى أمامه الا النهضة بعد الخمول ولا يسمع الا ضجة الاستحسان فلا يقابلنا إلا بالهزء والاستخفاف - صبعا - ولأنني من يؤيد هذه الفكرة من بعض الجهات فيما اعتقد بل من كثیرها قطعا بل وكل عربي غيور.

فالحقيقة بنا اليوم حيث دخلنا في هذا المأزق الخارج كرها و اختيارا ان ننظر ماذا يجب ان نعمل ازاء ديننا وعربتنا. ولا شك انه يعسر على الآن ان اقوم بواجب الاحاطة بالموضوع حيث انه واسع الاطراف غير اني اقول كلمتي الموجزة وارجو بها السداد: لتعلم (نحن العرب) بعد ان نجرد انفسنا عن كوننا مسلمين ان لغتنا وان بلغت ما بلغت اليوم من الانحطاط فلا ينكر ان للإسلام اليد البيضاء في حفظ كيانها وبقاءها بما لها من هذه البقية الى اليوم وحتى قيام الساعة بل ولا ينكر ان تطور آدابها ورواج أسواقها فوق ما هي فيه انما كان بالإسلام وتطور أهليه وان كانت لغة السواد الدارجة تقهقرت حتى انقلبت على الاعقاب واصبحت ضدا للغتنا الأصلية بتهام معنى الكلمة بأي سبب كان. وقد تكلمنا عنه في العدد السابق اجمالا ولكن بطون المجاميع والمؤلفات



- التي كان السبب الوحيد في جمعها وتأليفها هو اهتمام المسلمين بأمر الكتاب والسنة - حافلة بجميع ما حواه لسان الصداد وما اودع فيه من نكات وبلافة فلم تكن للغتنا شاردة او واردة الا احتفظت بها هاتيك الكتب والتقطتها علماء الإسلام. فلو تصورنا اليوم عود لغة ابائنا اليها والذوق العربي لما كان حلما من الاحلام كما ظنه البعض (وان تعسر) بعد ان كانت المؤلفات وافية كافية بما نحتاج اليه في اعتناق لغتنا.

ولكن يا ترى انا نستطيع بعد ذلك ان نرفعها الى اوج الرقى او ان نحفظها على سيرتها الاولى بدون الاحتفاظ على الإسلام ومبادئه. كلام ثم كلام بعد ان امتزجا فكان الإسلام من العربية والعربية من الإسلام كيف نستطيع التفكير الا ان نكون من الممارسين. فنحن من الوجهة العربية يجب علينا ان نقوم بالدفاع عن الدين الإسلامي وتعزيز جانبه حفظا لعربيتنا التي قوامها بقوام ديننا القويم ومن الوجهة الدينية يجب ان نحتفظ على عربيتنا دفاعا عن الإسلام فان بناءه الرفيع انما قام على دعامة اللغة العربية الفصحي.

ولقد عرف بعض المتشدقين<sup>(١)</sup> هذه الحقيقة الراهنة وما للإسلام من التوقف على اللغة العربية فحبذوا اقتناء اللغة العالمية لكل قطر بقطره بدلا عن لغتنا الفصحي فتكون لغة الصحف والمؤلفات وليس غرضهم الا هدم ديننا - لا قدر الله - القائم على اساس لغتنا المحبوبة.

بل.. ولكن اني لهم بذلك وانها لكلمة تضحك لها الصبيان فتعسا وترحا لعقول خوت فلأن تغاضى العرب عن دينهم اليوم وتناسوا ما لذلك من التأثير على الإسلام فليس يخفى على عقول البسطاء منا فضلا عن أهل الرأي والعلماء ما في ذلك من تناسي مجد ابائنا التليد وما يحدثه من تل صرح عزنا المشيد وللغة مرآة الامة تتجل فيها نزعاتها

---

(١) كما نسب إلى سلامه موسى والخوري غصن وغيرهما.

وتطوراتها فكيف نضيع بيتاً بنته لنا عشرات القرون بدموع آبائنا الكرام.

دع عنك هذا وذاك. ولكن هلّم معي الى حالتنا الاجتماعية الحاضرة كيف تصبح فانه لو استبدل اللغة الفصحى - لا سمح الله - كيف تبقى الاقطار العربية ومواصلاتها وكيف تتحل الجامعات العربية وهل تستطيع ان تتعارف على اختلاف لهجاتها؟ وان في نهضة قومنا لكتابية وحجة باللغة في ردع مثل هذه الاباطيل والاساطير<sup>(١)</sup> وما اشبه سخافة هذه النظرية بنظرية استبدال الحروف العربية باللاتينية.

كل هذا لا يهمنا الآن أمره فإنه زقزقة عصفور أو طنين ذباب وإنما الذي يهمنا أن نرى هضمنا العربية مقرونة بالاهتمام لدينا المقدس والنهضة لرفع اعلامه وعندهن نعتقد اننا قد خططنا خطوة نصاهي بها الامم الراقية ولكن نبصر بأم رؤوسنا ان قومنا لا يزدادون يوماً في يوماً إلا تساهلاً في جامعتنا الإسلامية ومظاهر ديننا الشريف وكفاك دليلاً ان اعوزك الدليل مظهر واحد من مظاهر عواسم بلادنا الإسلامية كعاصمة الرشيد! التي اصبحت كقطعة من البلاد الغربية في خلاعاتها وفجورها وهي عاصمة اسلامية!! وجملة من ادبائنا قد اصيروا بدء الانتفاح العقلي فتنورت افكارهم الى حد اصبحت بلادنا عليهم ليلاً مظلماً فلا يملكون الا بتجلی صبح المدنية الغربية اي صبح الخلاعة والفجور ليس الا وحشاً ان يرون (طيفاً) من صناعاتهم ومخترعاتهم ولو (كاذباً) فسموا بلاداً فيها اسم القيد الإسلامي وإن كان بلا مسمى.

(١) غير أن بعض من قتلته نفسه حُبِّذَت له أن يخرج إلى العالم الجديد بصفة كونه فيلسوفاً - حيث إنه في هذا العصر يدعى بالفلسفة كل من أصبح في كلماته إيهام في الطعن في الديانات وطقوسها أو صراحة في ذلك كالمعري والخيام وإن كنا ننزعَ المعري - فأصبح بعض (يزهد في القشور) أي في نقد الألفاظ فهو دان ينقد نقداً جوهرياً حتى يجلس على منصة الفلسفة ولا يبالي في الغلط والخروج عن القواعد العربية وهدم أساسها وأخر امتلكته الحرية فيأمل نصب أحرازاً في كل شيء حتى في لغتنا وقواعدنا فنطلق الألفاظ (المسيكينة) من هذا الأسر والختان.... فللهم أبوهم على هذه الفلسفة..



وما أشد خجلنا معاشر المسلمين امام الاغيار وفي ملء بلادنا ترتكب محظورات شرعاً وتستطاح حرمات ديننا بدعوى الحرية في الافعال والافكار وغيرها يأنف عن ارتكاب مثل هذه الجرائم ولم يخف على احد ما لأمريكا من تحريم الخمر وغيره وما عليه من الاحتفاظ على المظاهر الدينية والالتزام بالنوايس الالهية ولا انسى ما وقع فيها قبل سنوات من سجن مدير مدرسة او جامعة على ما اتخطر المسمى بـ(جون سكويوس) حيث انه اقيمت عليه الدعوى بأنه يدرس في مدرسته مذهب النشوء والارتقاء. فهل كان هذا من التحجير على الافكار والعقول فما بالنا تستخف بأحلامنا خداع الاعداء واوهام المتهوسين فلئن اقتدت امريكا في بعض احكامها بديننا فهلا نقتدي بها؟

ألم نخجل وسوف لا ينفع الخجل....!

وانني ليتمكنني الخجل والاسف حينما اقرأ كلمة احد الافرنج في الإسلام (كما اشرنا اليه في مقالنا آنفاً) وقد نشرت في جريدة النجف المحتجبة معربة عن الانجليزية ولا بأس ان اختتم المقال بذكر جملة منها فإنها لا تخلي عن عبرة قال بعد جملة كلام له في ترجمة حاله في الإسلام:

«ولما عزمت على اعتناقه - أي الإسلام - قطعيا، عنْ لبالي ان ادرس حالة الشعوب الإسلامية وأخلاقها وعاداتها فماذا رأيت؟؟ رأيت دينا قويا يهدى الى الصراط السوي قد تركه أهله وفسى الجهل بينهم وكثرت البدع وفتحت المدنية ابوابها الجهنمية فوجوها غير هيبّين فنفرت من الجماعة ولما ضمني مجلس بادرني احد الذين حاجوني فقال لماذا لم تعتنق الإسلام فاجتبه مبتسمًا خير لي ان لا اعتنق دينا ضيعه اهله واذن لست اريد ان اعتنق دينا اسير فيه وحدي وخير لي ان ابقى بلا دين!!<sup>(١)</sup>

(١) وليت شعري ما كان ضرره لو سلكه وحده وهل ترك أهله له عيب فيه ولو دخل هذا الرجل مثل النجف الأشرف لما كان منه ما كان ولكن لا يدخل الأمثل العواصم بعيدة عن الإسلام.



إن «الإسلام» دين الفطرة وهو أمر واضح وليس به عوج ولكنني ارى المسلمين يكتفون بان يقال لهم (مسلمون) فقط فالنواهي التي نهى عنها الدين شائعة بينهم هم يملكون مobicات المدنية لقد نهى الإسلام عن الخمر وها هي اميركا تحرمه اجل ان امريكا بلاد الحضارة والمدنية الحديثة والديموقراطية البحثة تحرم الخمور وها نحن كذلك في أوربا نرى الجمعيات تؤسس لمحاربة الخمور فلماذا يتشبه الغربيون بال المسلمين لا شك انهم يرجعون الى تعاليم الإسلام بعد طول السنين لأنها التعاليم الصحيحة.

نهى الإسلام عن التبرج والزينة للنساء الا لأزواجهن ونرى الغرب يحرمون دخول المترجفات للكنائس، نهى الإسلام عن اختلاط المرأة بالرجل وليس يعقب هذا الاختلاط سوى ما نراه ونحسه من نتائج قدرة يمجها الشرف وتأباه العفة... إلى اخر ما قال».



## السؤال<sup>(١)</sup>

السؤال من اهم ما كشف عن ضرورته العصر الحديث ودلنا على اسرار احكام شريعة الإسلام التي يعجز عن ادراكتها البشر، وأنى لرجل قبل اربعة عشر قرناً وهو ابن الجزيرة العربية القاحلة الجahلة ان يتوصل الى معرفة اسرار تنظيف الاسنان وفائدةه لو لم يكن نبياً ولم تكتشف هذه الاسرار الا بعد تقدم الطب هذا التقدم الهائل في هذا العصر.

ومن يدقق الأحاديث الواردة في السواك يعرف كيف تتطبق على آخر ما توصل اليه العلم الحديث في فائدة السواك وفي كيفيةه.

لقد استفاضت الأحاديث في ان السواك ظهور للفم ويزيد في الحفظ والعقل والفهم والفصاحة ويزذهب بالسقم وحفر الاسنان وبالنسيان ووسوسه الصدر ويبيض الاسنان وينقيها ويزذهب بأوجاعها ويشد اللثة ويطيب الفم ويقلل البلغم أو يقطعه ويجلو البصر ويزذهب غشاوته ودمعاته وينبت الشعر ويشهي الطعام ويصلح المعدة الى غير ذلك من الفوائد غير الفوائد الالهية اذ به رضى رب وثواب الآخرة.

وهذه الفوائد الكثيرة والعظيمة في وقت واحد قد نصت عليها الاحاديث بنفس هذه العبارات وقد يستكثرها الرجل الابتدائي على السواك ولذلك نجد جملة من البلهاء يستهينون باستعماله ولا يعيرون له اهتمامهم فيقعون بكثير من الامراض المزمنة، ولكن الاكتشافات الحديثة اثبتت هذه الفوائد والطب اليوم يعلق أهمية كبيرة على السواك في

(١) جواب السؤال الذي وجهته نشرة البذرة لسماحة الشيخ وهو: ما رأي الشرع والطب الحديث في السواك؟ السنة الأولى العدد الثالث بتاريخ الأحد ١ / جمادى الثانية / ١٣٦٧ الموافق ١١ / نيسان ١٩٤٨ الصفحة ١٣٠ - ١٣٣.



حفظ الصحة حتى ان اكثرا الامراض ينسبها الاطباء الى الاسنان من جراء اهالها، وقد قال امامنا ابو جعفر الباقر عليه السلام (لو علمنا الناس ما في السواك لا باته معهم في لحاف) وهذا يدل على مبلغ جهل الناس يومئذ بفوائده وان علمه يختص بهم.

والنبي صلوات الله عليه كان يقول (لولا ان اشقت على امتى لأمرتهم بالسواك عند وضوء كل صلاة) وهو كان يستاك ثلاث مرات في الليل قبل النوم وبعده وقبل خروجه الى صلاة الصبح وهذا ينطبق تماماً على وصايا الطب الحديث في اختيار وقت السواك قبل النوم وبعدة.

كما ان الوارد في وصف السواك ان يلين طرف عمود الأرakk قبل السواك وتلين طرف عمود الأرakk خاصة يجعله كفرشة الاسنان الغربية الحديثة، ونعرف من هذا سر تفضيل عود الأرakk على غيره لأنه ليس كل عود يعطي هذه الصفة اذا لين، فان عمود الأرakk الواحد يتتألف من مجموعة عيدان دقيقة لا تتحطم عند الاستياك كشعارات الفرشاة وان كان السواك الشرعي يحصل بكل عود بل حتى بالأصعب والحرقة عند الحاجة ولكن الأرakk هو المفضل عند تيسيره لتلك الغاية وربما لغايات اخرى نجهلها.

فلذلك يكون الاستياك في الفرشاة أيضاً من السواك الشرعي ولكن اعتقاد ان عود الأرakk افضل منها للأسنان بالتجربة لاسيما ان المعروف في الفرشاة انها مأخوذة من شعر الخنزير الابيض والخنزير في الشعاع الإسلامي نجس العين وشعره كذلك لا يطهر بالماء ولا بغيره فلا يصح استعمالها والحال هذه لنا بالأرakk غنى.

والوارد في كيفية الاستياك شرعاً يوافقه الطب الحديث ايضاً فان الاستياك الشرعي الوارد هو الاستياك عرضاً لا كما يستاك بعض الناس طولاً بزعم انه الاستياك الشرعي، والطب الحديث يوصي بالاستياك عرضاً حفظاً للأسنان من جهة، ومبالغه في تنظيفها وتنظيف اللثة من جهة أخرى.



كما ان الشرع يوصي بالمضمضة بالماء بعد السواك والطب ايضاً يوصي بها وكأنها من مكملاته وما يلفت النظر في الأحاديث عن النبي والائمة عليه وعليهم الصلاة والسلام استعمالهم مختلف الاساليب في حمل الناس على اتخاذ عادة السواك فلم يرخصوا بتركه اكثر من ثلاثة ايام وحثوا على استعماله عند كل وضوء وكل صلاة وعنده النوم وعنده قراءة القرآن.

ولو احصينا الاوقات التي ورد فيها الحث عليه في كل يوم لها لنا العدد ولظننا ان ذلك ما ينفك الاسنان ولكن من العجيب ان الطب اثبت (ودلت عليه التجربة) انه كلما استاك الإنسان قويت لثته واشتدت وصحت اسنانه وان استعمل القوة في الاستيak على غير المألوف فما اعظم ما جاء به الشرع الإسلامي لو انا اتبعدنا سبيله.

### رسالة الحجّ<sup>(١)</sup>

مؤلفها الأستاذ ح. ع (دبلوماسي)

ناولني البريد بهذا الاسم رسالة صغيرة الحجم في فلسفة الحجّ وأسراره مطبوعة بمصر طبعاً متقدناً، هدية من مؤلفها الأستاذ، فشاقني موضوعها العالي لمطاعتها بانعام، ورافق لي أسلوبها الفذ ومقصدها السامي، وحملني هذا الزمن المناسب لغاية الرسالة أن أكتب عنها كلمة النقد، تقديرأً لجهود صاحبها وإعلاناً بغايتها الكبيرة التي يتواхها:

تعرف من الرسالة أنَّ الرجل متاثر بمبادئ فلسفية روحية وبأخلاق إسلامية عالية، فينقلب بك من أطهار المادة البالية، إلى روحانية الإنسانية المجردة التي لا تبلِّى على مر الدور، يرتفع بك من حضيض دنيا الإنسان إلى مرفقات قدسيَّة الروح، ليوصلك إلى شهود المقام القدسي العالى، وينحرجك إلى الله متجرداً من شغل كل شاغل وحجاب كل حاجب.

كلَّ هذا يريده أن يكون في الحجّ الإسلامي فيكون « هو انتزاع الإنسان نفسه من إقليمه وتجبره للحركة العليا ومجاهدته لما يمسكه في أرضه وخروجه إلى الله » ويوقف إلى ما يريده بمنطق هادئ صحيح وبيان واضح محكم، وساعدته على ذلك آنه أدى فريضة الحجِّ ثلث مرات - كما يحدثنَا في مقدمته - عن تدبر وتفكير فيدر س بفكرة وعينه وقلبه، وبعد هذا تقرؤه في الرسالة فيلسوفاً وأديباً كبيراً ومسلماً متفانياً في إسلامه وفوق ذلك دبلوماسياً يتحرجى الاستفادة من الحجّ لسلوكه أو من مسلكه للحجّ.

ثم يستدرك للاعتقاد بأنَّ المساواة العملية الصحيحة إنَّها هي في الإسلام وفي الحجّ،

(١) جريدة الهاتف، السنة الأولى، العدد ٢٠، ١٩٣٦.



وبأنّ في الحجّ نظام جمعيّة الأمم الحقيقة القائمة على قانون الحرب... وفيه النظام الأعظم للكشافة الحديثة المصغرة عنه والمقتبسة منه في نظامها عند الأمم المتحضرة، وهو بنظامه جهاد للنفس و«مناورات حربيّة روحية» توجّب على الجميع زياً واحداً وحركة واحدة وكلمة واحدة وطاعة واحدة، وتقرّ في أنفسهم فكرة التضحية حتّى بالأهل والمال في سبيل غاية علياً...»؛ وهو أعظم طريق لنشر الثقافة؛ واجتماع أساسه شهوداً لمنافع على عمومها، إذ يقول الله تعالى: ﴿لِيُشَهِّدُوا مَنَافِعَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾.

كلّ هذا تشرحه لك الرسالة تحت عناوين بارزة فتوفيها حقّها بایجاز وأسلوب فنيّ متقنّ، وعند هذا لا يسعك دون أن تشاطر صاحبها الأسف الممض على ضياع هذه الجامعة الأممية الكبرى من أيدينا التي ما حلم بها الزمن ولن يحلم بها لغير الأمة الإسلامية الغافلة أو المتغافلة - وأسفاه! - فلا تستغل منها منافعها الاجتماعية التي وضعت لها «والحجيج إنما يؤدون عملاً فرديّاً محضاً، ولا يعرفون إلاّ ظاهراً من الأمر، فيذهبون إلى الحجّ ويعودون منه كذابهم وعودتهم من أي سفر إلى أي مكان»، «وبهذا ضعف أثر الحجّ في الاصلاح الاجتماعي وتجبرد هذا العمل السامي العظيم من أكثر ميزاته السياسية والاجتماعية».

والحقّ أنّ الحجّ عمل فرديٌ روحيٌ وعمل سياسي في وقت واحد: عمل فردي، لأنّه يقصد به تصفية النفس وانقطاعها إلى روحانيتها لما فيه من التنزه عن الشهوات والكف عن اللذائذ الحيوانية والانقطاع عن بهرجات الدنيا بالانقطاع عن الأهل والأوطان والأمال وتوطين النفس على الأعمال الشاقة متوجهاً في ذلك كلّه إلى المعبد الخالق؛ فهو رهبانية موقته أبدل بها رهبانية النصارى - كما ورد في الأثر، ورجوع بالإنسان إلى طهارة الطبيعة بطريقة عملية منظمة - كما يقول مؤلف الرسالة - وبه تتحقق دعوة (روسو) إلى الرجوع إلى الطبيعة وأكثر، لأنّه يدعو إلى الطبيعة نفسها والحجّ يدعو إلى طهارة الطبيعة،



ودعوة روسو مستحيلة لأنّ العالم ما زال يتطور ويتنازع البقاء وأسباب الحياة، ودعوة الإسلام دعوة عملية واقعة واجبارية.

وكلّ ما في الحجّ من أعمال فهو رموز إلى تجدّد النفس وقطعها عن علاقتها دنياها وتوجهها إلى خالقها، وهنا نرى صادق آل البيت عليه السلام يقول - من حديث يوجهه لمن يريد الحج - : « ثمّ أغسل بماء التوبية الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفاء والخصوص والخشوع، وأحرم من كلّ شيء يمنعك عن ذكر الله ويجبفك عن طاعته، ولب معنى إجابة صادقة صافية خالصة زاكية الله تعالى في دعوتك متمسكاً بالعروة الوثقى، وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوابق مع المسلمين بنفسك حول البيت...» إلى آخر الحديث، وفيه الكثير من أسرار الحجّ وأفعاله الروحية، وهذا الحديث يدلّنا على أنّ ليس المقصود من هذه الأفعال ظواهر، المجردة، التي يفعلها سائر الناس من غير تذوق لأسرارها الروحية وعمل اجتماعي سياسي، لأنّه يحشر المسلمين إخواناً في صعيد واحد يتلقون وحي الودحة الإنسانية في كلّ شيء من أعمالهم ومناسكهم ويتحدون ويتعارفون ويتشاورون منقطعين عن كلّ مميزاتهم القومية وخصائصهم الشخصية إلاّ عن شخصية وميزة واحدة هو الإسلام الذي ينضوون تحت لوائه المرفف عليه بأدقّ معاني الإنسانية الصحيحة وهو لباسهم الديني الواحد الذي يشترك فيه الملك والصلوك.

فتمثل الأخوة الإسلامية الحقيقة لا تدلّيس فيها ولا تدرجيل، وتتجلى الوحدة الإنسانية من جميع أنحائها في شخصية الإسلام الذي شرح للإنسان المجرد عن كلّ ميزة باطلة؛ فهذا الاجتماع وهذه التلبية وهذا الطواف وهذا السعي وهذا الوقوف وهذا الرمي ... كلّها تسبيك لك الإسلام مجرداً في قالبها وتسبيك لك الإنسانية مجردة في قالب الإسلام.



ثمّ بعد ذلك هو مؤتمر عام لجميع المسلمين ودولاتهم المتّباعدة يتّناشدون فيه مصالحهم العامة - لو صنعوا.

\*\*\*

ويملك المؤلّف أسراراً في مناسكه في الإحرام والطواف والسعي والوقوف في عرفات والرمي والضحية واستلام الحجر الأسود والتبية، ف يأتي لك بطريق من بعض أسرارها يساعدك على ذلك علمه وأدبه الجم.

ففي الاحرام تظهر حكمته في تغطية جسم المحرم بملاءتين غير مخيطتين، لأنّ بهذا يتقلص التفاوت بين الناس؛ «فتتحقق المساواة من أساسها الطبيعي ... وتظهر الإنسانية في الحجّ ببساطتها الطبيعية وتسقط الدنيا الصناعية الكاذبة التي هي منار الأحقاد... والإحرام على هذا الوجه ... من طرق التربية الرياضية يثبت الطب منفعتها...».

ولكن الاحرام كما فيه تغطية الجسم بثوبين غير مخيطين، ففيه أيضاً كشف الرأس، وحرمة الطيب والصيد وقطع الشجر والاستمتاع والفسوق والجدال... وكلّه انقطاع عن لذائذ الدنيا وزخارفها وابتعاد عن أهواء النفس ونزواتها مما يزيد في المساواة، والاتجاه نحو مقام الشهدود، والاعتياد على شظف العيش والتربية العسكرية.

وفي الطواف: يفصح المحب لله عن حب، بأحد طريقتين لا يخلو منها موقف الإنسان المتسع العقل حيال فكرة من الأفكار، إما فكر مقرون بالسكون والمدوء، أو فكر مقرون بالحركة والعمل؛ فيعمد الحاج إلى الطواف حول البيت بالطريقة الثانية، وما هو إلاّ مظهر خارجي لنار الحب المشتعلة - ولكن هل لنا أن نتساءل عن السر في جعل الطواف على الجانب الأيسر؟

لعلّك على ضوء كلمة الإمام الصادق عليه السلام (وطف بقلبك...) تجib على ذلك والقلب يميل إلى الجانب الأيسر من الإنسان فيطابق الظاهر الباطن في الاتجاه، ويرمز



## المحسوس للمعقول في طوافه وما أكابرها من حكمة؟

وفي السعي بين الصفا والمروة: « اتصال بين نفس الحاج وبين النفوس العظيمة التي عرف بها الصفا والمروة »، وعبر تأريخيّة ذكرها المؤلف . يتمثلها الساعي، ووحي المكان هنا وهناك درس فلسفـي عظيم فصلـه المؤلف . ولكن لم لا تكون هرولة الساعي أيضاً كهرولة المتـردد بـفـنـاء دار مـلـكـ كـبـيرـ، يـقـصـدـ أـجـرـهـ وـيـخـافـ قـوـتهـ وـيـرـجـوـ مـلاـحظـتـهـ بـعـيـنـ رـحـمـتـهـ؟ـ!ـ، وـفـيـ السـعـيـ أـيـضـاـ نـزـولـ عنـ كـبـرـيـاءـ النـفـسـ الشـامـخـةـ بـطـغـيـانـهاـ وـإـرـغـامـهاـ عـلـىـ الـعـلـمـ الـوـاجـبـ مـهـماـ كـانـ لـاـ يـفـقـقـ مـعـ أـهـوـائـهـ وـكـبـرـيـائـهـ، وـلـعـلـ فيـ الـهـرـولـةـ مـاـ يـلـطـفـ مـنـ كـبـرـيـاءـ النـفـوسـ أـكـثـرـ مـنـ كـلـ عـمـلـ فـيـ الـحـجـ!ـ

وفي المواقف والرمي والضحية: نظم وعادات حربية، وتربيـة عـسـكـرـيةـ بـمـاـ فـيـهـاـ مـنـ أـسـرـارـ إـلـيـهـاـ المـؤـلـفـ.

وفي الحجر الأسود: « رمز هـذـ الـكـرـةـ الـأـرـضـيـةـ كـلـهـ يـلـمـسـهـ الـحـجـاجـ جـمـيعـاًـ كـأـنـهـمـ يـشـيرـونـ إـلـىـ تـوـحـيدـ بـلـادـهـمـ الـمـخـتـلـفـ تـحـقـيقـاًـ لـلـمـساـوـةـ فـيـ الإـسـلـامـ، حـتـىـ فـيـ الـجـنـسـيـاتـ الـأـرـضـيـةـ...ـ وـبـمـصـافـحةـ هـذـ الرـمـزـ يـكـوـنـ كـلـ مـسـلـمـ كـأـنـهـ صـافـحـ يـدـهـ وـطـنـ الـآـخـرـ مـصـافـحةـ الـأـخـوـةـ...ـ»ـ.

ولـكـنـ لـمـ أـسـتـطـعـ أـنـ تـكـهـنـ فـيـ تـعـلـيلـ هـذـ الرـمـزـ لـلـكـرـةـ الـأـرـضـيـةـ إـلـاـ مـنـ وـجـهـ التـحـديـبـ الـذـيـ فـيـ الـحـجـ، وـفـيـ عـقـيـدـيـ أـنـ هـذـاـ غـيـرـ كـافـ لـأـنـ يـجـعـلـهـ رـمـزاًـ هـذـهـ الـحـكـمةـ الـبـالـغـةـ يـمـكـنـ أـنـ يـتـفـهـمـهـ النـارـ مـنـ دـوـنـ التـدـلـيـلـ عـلـىـ أـنـ الرـامـزـ قـصـدـ هـذـهـ الدـقـيقـةـ فـيـ رـمـزـهـ، وـلـعـلـ مـاـ نـقـلـهـ صـاحـبـ الرـسـالـةـ عـنـ الـفـقـهـاءـ .ـ وـالـحـدـيـثـ وـارـدـ فـيـهـ .ـ هـوـ الـأـصـوبـ فـيـ سـرـ اـسـتـلـامـ الـحـجـ، وـيـتـفـقـ ذـلـكـ مـعـ نـزـعةـ الـمـؤـلـفـ فـيـ فـلـسـفـةـ الـرـوـحـيـةـ إـلـاـ أـنـهـ يـخـرـجـ بـذـلـكـ عـنـ مـصـلـحـتـهـ الـاجـتمـاعـيـةـ السـيـاسـيـةـ الـتـيـ أـرـادـهـاـ مـصـلـحـةـ فـرـديـةـ، وـلـكـنـ مـصـلـحـةـ الـفـردـ فـيـ تـهـذـيـهـ مـصـلـحـةـ لـلـمـجـمـعـ، وـعـلـىـ كـلـ فـالـمـؤـلـفـ مـشـكـورـ عـلـىـ مجـهـودـهـ فـيـ اـسـتـخـرـاجـ هـذـهـ



الحكمة البالغة التي تجاري العلم والفن وتؤيدها المدنية الصحيحة، وعقidiتي أنّ الحجّ بجميع أفعاله يقوم على غايتين كبيرتين: فردية روحية، واجتماعية سياسية، كما تقدم البحث عنهما وأشبّعهما المؤلف بحثاً في غضون رسالته، وال المسلمين مرغمون على القيام بهذا العمل الكبير ما داموا مسلمين مهما كان يقام على غير وجهه، حتى يصقله الزمن - متى تحسسوا - فينعقد لهم أكبر مؤتمر عالمي تعجز عنه الدول المتقدمة؛ ولا تستهين بمنافعه لل المسلمين اليوم وأمس وإن كنّا نحب أن تتحقق كما يجب، وكما أريدها.

ويضع المؤلف - بالأخير - مقترحاته العملية العشرة - أو ممتنياته على الأصح - التي تسهل على الكاتب أن يضعها على الورق، وهو منكمش في مكتبه، وإنّما الشأن في تحقيقها في مثل هذا العصر الذي تلعب فيه أيدي الاستعمار بمقدرات المسلمين ونفوسهم وجامعتهم؛ وما أكبر الجامعة الإسلامية رزية على المستعمر أن تتجه نحو الالتزام، وتسير للحياة بعد موتها الأولى، وقد كفتها ودفتها بيده في حفرة اختارها لها وأحسن الاختيار، خوفاً من أن تتسم الحياة.

ولكن الاقتراح من مثل المؤلف السياسي الكبير - وإن اخترى تحت امضائه الرمزي - يرجى أن يلاقي آذاناً صاغية وقلوباً واعية، وما أجدر حكومة العراق أن تبادر للعمل بإحياء أكبر مؤسسة إسلامية عالمية بعد هذا التقارب الذي حصل اليوم، فتقوم بقططها من الواجب في تنظيم الحج، لتكون قدوة لباقي الأمم الإسلامية!



## مع الحجاج<sup>(١)</sup>

يتوجه المسلم في رحلته للحج إلى الله تعالى، ليؤدي الواجب الإلهي المفروض على عباده، ويتجزّد عن نفسه وعن كل ما يتعلّق بها من أوضار المادة، وأوشاب الدنيا، وبرجة الحياة الدينيّة، وأوساخ الذنوب، وشبهات الظنون، ووساوس الشبهات.

إنّ أداء أعمال الحجّ التي هي فوق مستوى ما يدركه الإنسان العادي من أسرار العبادة يتحقّق في نفس المؤمن معنى الانصياع والطاعة لله والانقطاع إلى الإخلاص له والاصحاح إليه، مجرّداً عن كل اعتبارات الدنيا وعن عنونة النفس الأمارة وأوهام الأنانية الإنسانية.

كلّ هذا لعل بعض فوائد الحج المقصودة من فرضه على البشر، ليجتمعوا إليه منضمين بعضهم إلى بعض، وفي عين الوقت ليفترقوا مجددين بعضهم عن بعض، وفي عين الوقت ليفترقوا مجددين بعضهم عن بعض إلا عن الشعور بالاشتراك في مظاهر العبودية لله سبحانه والخضوع إلى ارادته والتذلل في حضرته والانقطاع إلى قدرته.

إنّ من يتوقف لأداء هذه الفريضة المقدسة يستطيع بنفسه أن يتحقق هذه المعاني السامية في نفسه وفي غيره، عند الطواف والسعي والوقوف ورمي الجمرات وما إليها. ولقد بهرتني - أنا شخصياً - عظمة الإنسان المتجرّ في كبرائه عند انصياعه طيعاً، وقدرته على التخلّي عن نفسه وكبرياتها في تلك البلاد القاحلة الجافة.

يدخل (المؤمن) المدينة المنورة، وكلّ همه أن يتلمس عظمة الإسلام ومجدّه الخالد في مشاهد هذه المدينة المنورة والمعطرة بذكريات النبي الأعظم عليه السلام لا سيما في مسجده

---

(١) مجلة النجف السنة الأولى العدد ١٣ في ١٩٠٧ الموافق ١٣٧٦ صفر/أيلول ١٩٥٧.



المقدس وقبره الكريم، وليشاهد مهبط الوحي، ولি�تمثل مؤتمر المسلمين ومنبع انوارهم التي شملت العالم كله من هذه الكوة القدسية.

و قبل كل شيء وبعد كل شيء يتلمس البركة بين منبره وقبره عليه السلام، ويفرغ حبه المتعطش في تلك الساحة الروحانية وعلى تلك الأعتاب، محاولاً أن يملأ عينه وسمعه وقلبه من تلك الآثار والذكريات، ويقاد أن يثبت قلبه من بين جوائحه ليقبل تلك الأركان قبل يده وفمه.

ولكن المؤمن بینا هو في هذا الخيال عند دخول المسجد حول القبر والمنبر ويقاد لا يبصر من نفسه إلا هذه الأخيلة الطائفة في لبها يقاد أن يخرجها عما هو فيه منظر تلك (الزبانية) الضواري عابسي الوجوه الذين ينظرون إلى الحجاج نظر العدو إلى عدوه الذين يسمونهم ظليماً وعدواناً (الأمريرن بالمعروف) يقفون هناك، وقد أطلقت أيديهم لإهانة المسلمين بغير حساب، وبأيديهم السياط يلهبون بها رؤوس الحجاج المؤمنين وظهورهم بل وجوههم ظليماً وعدواناً بلا رحمة وشفقة ولا إنسانية تتضيئها على الأقل مجاملة الوافد الغريب. وليس من ذنب إلا أنه يريد أن يشيع نهم حبه وشغف قلبه العاشق للنبي الأكرم.

والأنكى أنهم ينادونهم بعبارة هم أحق بها من هؤلاء المسلمين المذهبين المشتهرين بحب نبيهم: (يا كافر! يا مشرك!) وكأن الوهابية احتكرت لنفسها الإسلام، فكل المسلمين مشركون كافرون من يوم الإسلام الأول إلى ظهورهم (مصلحهم) محمد عبد الوهاب.

فبدل أن يشيع في هذا الجو المعطر بذكريات النبي الكريم أريج الأخوة الإسلامية وتناسي الفروق الأقليمية واللغوية والمذهبية ينتشر الحقد والبغضاء والشعور بالكراءية لهذه الفتاة التي كأنها تريد بعنجهيتها أن تسكت انفاس المسلمين ولا تشتفى ومن ورائها



من نصبها أمراً بالمعروف (أستغفر الله: بالمنكر) ويقاد لا يصدق الإنسان ان هؤلاء موظفو حكومة تدعى اتها اسلامية وترعى مصالح المسلمين. ويقاد يظن أن من وراءهم لا يعلمون بما يجري من اذلال للمسلمين بالحرم النبوي لولا انه يتكرر كل يوم بل كل ساعة بل كل دقيقة.

و اذا ذهب بك المطاف - لأذهب - إلى مقبرة البقيع لتزور مرارق الأئمة الأطهار المiamin من آل بيت المصطفى ﷺ وغيرهم من أجداد المسلمين الأولين . نجد ما يدمي الحشا إذ جدت يد العبث الحاقد أن تحوّل كل اثر أو ما يشبه الأثر لاحترام من كانوا شرف الإنسانية دنيا وآخرة، وهم علماء آل البيت الذين بأنوارهم أشرقت الأرض بمعارفها .

نعم جدت يد العدوان وأبت إلا أن يبدو مكان تلك المرارق الشريفة موحشًا والقبور دوارسًا . هذه فلسفة الوهابية في قبور آل البيت وأثارهم ، وقد نصبووا زبانية جافة في لهجتها قاسية في تحكمها ، تكاد أن تمنع بقسوة حتى استنشاق الحاجج هواء البقيع أو تمنع أحدهم بنظره إلى قبور أئمة البقيع الاربعة خاصة . أما اذا عرفوا عراقيا او ايرانيا من بينهم فذلك هو (الأعمكي المشرك الكافر) .

و اذا كان هناك من عجيب فعجب تغاضي الحكومتين العراقية والایرانية عن هذا الضيم الذي يلحق رعاياهم في تلك البقاع وكيف تضامن وتستذل ، والأعجب أن تسمح لهم بالذهاب الى هناك مذليلين مضطهددين ولا تنصب من يدافع عن كرامتهم ويرعى عزهم . يالعار ويالشنار !

ان حديث اذلال الحاجج واضطهادهم في تلك البقاع المفروض فيها أن ينال المسلمون فيها كرامتهم وعزهم وسعادتهم ، حديث ذو شجون .

صحيح أن الحكومة أمنت الطرق وعبدتها ومنعت قطاع الطريق الذين اعتادوا في



العهود السالفة أن يغروا على الحجاج ويسلبوهم باسم (الخواة)، ولكن تأمين الطرق بفضل المكتشفات الحديثة من سيارات وطائرات وسلاح أصبح مضموناً في كل بقاع العالم وليس في الحجاز وجده.

وهي إن أمنت الطرق ومنعت (الخواة) ان يأخذها او لئك القطاع فانها حولت هذه (الخواة) أن يأخذها او لئك القطاع فانها حولت هذه الخواة الى نفس وجوب اتباعها باسم آخر. ولم يتورع موظفوها أن يعمدوا الى إذلال الحجاج وإهانتهم في سبيل ابتزاز اموالهم باسم الأنظمة الموضوعة له. ولأنه لك أمثلاً تعجب فيها كيف يصبح الناس هناك اساري كالعييد أو مسirين كالاغنام.

ان الحاج يطير من بلاده وقد يتخيل أنه سيصل الى الحجاز فيتلقي نفس العزة والراحة التي كانت له في بلاده ثم طائرته التي أقتلته ولكن حينما يجد نفسه في قبضة الحجاز او حكومته يجد نفسه كيف يتغير به الشعور الجائر.

حينما تصل به الطائرة الى جدة ليأخذ مكانه في احدى سيارات الشركات السعودية (التي هي شركات ترجع الى بعض المسؤولين كما يقولون) بعد اللتّي والتي وربما أياماً يقضيها في جدة في مدينة الحاج أو في أحد الفنادق حتى تصل اليه النوبة . فلا يسمح له إلا في سيارات هذه الشركات ليذهب الى مكة أو المدينة في حين ان اجرتها أضعاف اجرة السيارات الحرة، وإذا أبى إلا أن يستأجر سيارة حرة مرحلة فقد يسمحون له بعد أن يدفع أجرة سيارة الشركات.

والذهاب الى المدينة لابد أن يدفع اجرة الذهاب والإياب مقدماً، وبعد وصوله الى المدينة فلابد ان يبقى بها اياماً معدودة لا يتجاوزها وإنما عليه أن يدفع عن كل ليلة يبيتها ريالاً واحداً وكأن هذا اجرة استنشاق الهواء هناك وال الحاج الصحيح الجسم لا يسوي له الشرع الإسلامي أن يرجع الى مكة بسيارة مسقوفة لحرمة التظليل للمحرم حين السير،



فيلتجئ الى ركوب سيارة مكسوفة من نوع سيارة الحمل إذ ليس لدى الشركات غيرها. وبدل ان تتنازل له الشركة عن بعض الأجرة يجب عليه أن يدفع اجرة اضافية قدرها (٢٠ ريالاً). ولا يسمح للسيارة أن تسير حتى تملأ ظهرها على الأقل بثلاثين حجاجاً، وان كان ظهرها يمتلىء الى القمة بأمتعة الحجاج (عفشهم) فيجب أن يجعلسوا القرفصاء كتفا لكتف وظهرها لبطن معرضين لزوجعة الهواء حينما تطلق السيارة محركاتها للريح، ويحشرون ساعتين كالاغنام مكسوفي الرؤوس محرومين، ومحرومين من الراحة والعزة والكرامة مدة السفر من المدينة الى مكة التي قد تستغرق ٢٤ ساعة.

فإذا اراد الحاج أن يستأجر لنفسه سيارة حرفة فقد يسمحون له بعد اللتيا والتي بعد أن يدفع تلك الأجرة الإضافية. وإذا كان مثلنا قد دفع أجرة الطائرة الى جدة مقدما فعليه أن يتنازل عنها ثم يدفع أجرة سيارة الشركة ويدفع أجرة السيارة الحرة. فكم أجرة يدفعها ليصل الى مكة المكرمة وكلها الى جيوب (الشركات السعودية).

وليس هذا كل ما في الأمر، فإن الشركة اذا لم تتسلّم أجرة ٣٠ راكباً ولم يدفع الحاج ٧٤ للمطوف و ١٠ ريالات للمرور فإن للسيارة لا تتحرك أبداً من مكانها، ولكن لا مانع لديهم أن يضيفوا عليهم واحداً أو أكثر. ثم انهم كيف يتأكدون ان السيارة قد اكتمل ركابها؟ لابد أن يحسبوهم ويحسبوا جوازاتهم والوصولات في نقاط متعددة من أشخاص مختلفين، فيقف الحاسب بعجرفة وعنجهية الأمر المتحكم فيعدهم كالاغنام المجلوبة مرة بعد أخرى، فيشعر الإنسان حينئذ كيف تهدر كرامته عند هؤلاء الذين لا يرون من الحجاج إلا معنها وسلعة يتجررون بها... إلى أن يصلوا الى مكة المكرمة في هذا الحال المهين، وهم إنما يساقون بدافع أداء الفرض الإلهي الذي ليس لهم عن تركه من حيص.

وعند الوصول الى مكة العظيمة تبدىء سلسلة أخرى من المضايقات والمزعجات:



ان المفروض في سائق السيارة كان قد أخذ من الحجاج جوازاتهم ليعرضها مرة بعد اخرى على نقاط الشرطة والشركات المتبعة في الطريق. وعند الوصول الى مكة يتسللها المطوف ليكون الحجاج تحت قبضته ورحمته حتى يخرجوا فايتسللوا عن الدواع.

ولا تدري بعد هذا لماذا دفعت للمطوف ٧٤ ريالاً؟ أفالجل ان يوضع الحبل الذي يربطك بعجلة الحجاج في يده ليقودهم مسيرين، كالمزور في المدينة المنورة. وهذا كل ما تحسه من الفائدة من المطوف - ومن قبله المزور - لقاء ما دفعت لهم مضطراً من ضريبة (هي الخواوة بعينها) اما الحاج المسكين فعليه بنفسه أن يستأجر له مكاناً لمقره، وعليه وحده أن يهئ من يعلمه الطواف والسعري.

نعم لا تجد بعد هذا من فائدة للمطوف - اذا صح هذا التعبير - إلا أن تلتحق بر kabah ليحضرك في مخيماته التي أعدها لحجاجه في عرفات ومنى. ولكن بأجرة ٢٠٠ ريال لكل خيمة، ولا أظن قيمة الخيمة الشرائية تزيد على هذا المقدار. والخيمة صغيرة لا تسع برفاهية لغير ٤ أشخاص وقد يكدر فيها ١٥ حاجاً.

ثم ماذا؟ لابد أن تدفع أجرة سيارة كبيرة الى عرفات ومنى ذهاباً وإياباً مقدماً وهي ٣٧ ريالاً، في حين أن اجرة السيارة الحرة الصغيرة من منى الى مكة وبالعكس ريال واحد وان زادت فريالان.

وفي هذه المرة لابد أن يحشروا في سيارة الحمل المكشوفة من يتورع من الركوب في المسوقة أربعين راكباً - نعم اربعين لا تسعهم إلا وقوفا متيسكين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وهم مكشوفو الرؤوس محرومون. ولو قدر لك أن تسأل: لماذا وجب في هذه السفرة أن يكدرسوا أربعين ومن المدينة الى مكة كانوا ثلاثين؟ فقد تحصل على مجيب - وطبعا ليس من المطوفين ولا من أهل مكة فان أوقاتهم أعز من أن يصغوا الى سؤال - فيقول: إن أممته الحجاج هذه المرة قليلة إذ تركوا أكثرها في مكة فوجب أن



يضعوا بدها بشرأً سويا ثم ان المسافة قرية و اذا استغرقت ست ساعات أو النهار كله فلازدحام السيارات ليس إلا.

إذا رجعت إلى مكة تبدأ بك مشكلة الخروج من مكة وكيف يسمح لك بالخروج والجواز بيد المطوف، وكل شيء بيده، ثم من شرطة الحجاز ومديرية شؤون الحج. وكل شيء يجب أن يتهيأ من وصولات ضريبة المطوف وأجرة الخيمة وأجرة السيارات، وإلا فأنت محجور عليك حتى تثبت أنك دفعت كل هذه الضرائب التي يسمونها أجورا ثم لابد ان تدفع اجرة السيارة الباهضة الى جدة، وحتى يكتمل عدد ما في السيارات التي لا تنقص عن ثلاثين على أقل تقدير، وقد تبقى محجورا في السيارة للساعات الطوال انتظاراً لإكمال العدد وأنت لم تفهم قبل ذلك ان العدد لم يكمل وانه متى كان يجب الحضور.

هذه شدائد نحن - العراقيين ومثلنا الإيرانيون - نجرها قاسية جائرة، أما غيرنا من المصريين ونحوه، فقد يكون لهم مطوفون شأنهم غير شأن مطوفينا، وشدائدهم لا تشبه شدائدا. وما ندرى لعل لهم ميزات وكرامات تخصهم ويكتفي من رعاية الصحة في العراق لنا أن بعثتنا الطيبة اتخذت لها من مكة زاوية لا يهتدى إليها حتى (أهل مكة) وهم (أعرف بشعابها). ولا تكاد ترى لها مقرأً في مني وعرفات، ولا تشاهد لها سيارة للاسعاف كباقي البعثات الطيبة الأخرى حتى البعثة الطيبة الإيرانية. وأنا شخصياً مرضت فذهب بعض جماعتنا مساء الى رئيس البعثة العراقية ليحضر، وكانت الحالة فيها يعتقدون تستدعي الاستنجاد بالبعثة بهذه السرعة، فما كان من سعادة الرئيس الطيب إلا ان يكون (خطيبا) فيستمهلم الى الصباح لأنه مدعو الى أنسية أو عشاء. وكأن المريض من طاقته ان يتذكر في مرضه فراغ الطيب. فأعانتنا الله تعالى به عمن سواه ولم يجعل لنا عند (بعثة) حاجة.



وفي عقidi ان الطريقة الصحيحة لإنقاذ الحجاج العراقيين من تلك المضايقات والاذلال والاضطهاد ان تعمد حكومتنا العراقية بسرعة الى أن تفتح طريق السيارات البري على النجف الأشرف بضمان شركات معتبرة فانه أضمن شيء لسلامة الحجاج وراحتهم ليذهبوا مرفععي الرأس محفوظي الكرامة، ويرجعوا آمنين سالمين.



### الفضيلة<sup>(١)</sup>

كثيراً ما يطرق سمعنا رنين كلمة (الفضيلة) وكثير ما نوردها متبجحين ولا أحسب أن أحداً من الناس - إلا من قل - لا يدعها لنفسه، بل لا يدعني انه صاحبها دون سواء من زملائه في العمل، بل لا يدعني انه صاحبها دون سواء من زملائه في العمل، أو رفاقه في الدين، أو لداته في التربية، أو مواطنيه في البلد.

والادعاء الأول أي ادعاء الناس إياها لأنفسهم إن دلنا على شيء فإنه يدلنا على ان الفضيلة ما تطابقت آراء الناس على حسنها على مدح صاحبها وكرامته كما يدلنا على حاجة البشر لهذه الخلة في أعمالهم ومعاملاتهم فيما بينهم.

وليس الذي يلفت النظر ذلك. إنما الذي يستوقف النظر بل يدهش الفكر ذلك الادعاء الثاني من الاكثر الناس - ان لم نقل جميعهم - فهلا يدل ذلك على ان الفضيلة لا وجود لها في الأرض باعتراف الجميع.

تصوّر لو جاءك عشرة أشخاص وادعى كل منهم انه صاحب الفضيلة دون سواء من أصحابه التسعة فان ذلك منه في حقه دعوى وفي حق غيره شهادة: فلو جمعت هذه الشهادات بعضها مع بعض لحصل لديك تسع شهادات على حرمان كل واحد من العشرة من الفضيلة في قبال دعوه بها.

ودعوى الفضيلة وحدها مجردة لا قيمة لها في الحجم فكيف اذا اجتمعت ضدها تسع شهادات.

هذا اذا كان المدعون عشرة فلو كانوا بالمئات فكم من شهادات تجتمع على حرمان

---

(١) مجلة النجف السنة الأولى العدد ١٢ في ٢٠ / محرم / ١٣٧٦ - ١٩٥٧ / آب /



كل واحد منا؟ ومع ذلك كلنا ندعى لها ولا نقيّم وزناً لتلك الشهادات الهايلة التي تناقضنا. الله أكتر: أَجْمَعُ النَّاسَ كَذَابُونَ لَوْ كَانَ الْحِسَابُ دُقِيقًا وَصَحِيحًا كَمَا صَوْرَنَاهُ لَوْ قَعَتِ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ.

ولكن هذا صحيح الى درجة ما وله فلسفة غير بعيدة عنا ولا ينبغي أن نتشاءم الى هذا الحد الذي وصل اليه حسابنا. ان للإنسان غريزة حب الذات، طبع عليه وهي منه كنفسه بل هي نفسه وحقيقة وهذا الحب ان كان يقوى ويضعف تبعاً لقوّة النفس وضعفها فإنه حب على كل حال يعمي ويصم فيدفع النفس عند مقارنتها بغيرها من نفوس أقرانه و المعارفه الى ان يرى من نفسه الفضيلة في جهة من الجهات ولا بد انها واقعاً موجودة بقدر ما لكنه يراها بمنظار الحب المكابر لصور المرئيات وهذا المكابر قد يكون قوياً وحساساً الى درجة يكبر الواحد بألف فأكثر وقد يكون ضعيفاً لا يكبر الشيء اكتر من عشر مرات وعلى كل حال لابد من وجود هذا المكابر عند الإنسان يستعمله دائماً في النظر الى محسنه وهذه كان التواضع من أفضل الفضائل التي دعى اليها الدين الإسلامي لأن به قهراً للنفس ومخالفة لعقيدتها في ذلها وسمى تواضعه نظراً الى اعتقاد المتواضع في نفسه انه أعلى مما يضع فيه نفسه في معاملاته مع الناس، وقد يكن انما يضع نفسه في موضعها الحقيقي فيما يصنع من تواضع ويصطلاح عليه انه تواضع ونعموا هذه التربية الإسلامية ليقدر فيها الإنسان - قدر الامكان - منزلته الحقيقة بين الناس والمقصود من التواضع الذي تدعو اليه تعاليم الإسلام هو التواضع النفسي الذي يعبر عنه علماء الأخلاق بكسر النفس، لا التظاهر بالتواضع والتنازل وان كان هذا ايضاً فضيلة دعت اليها التعاليم الإسلامية.

قلنا ان الإنسان ينظر الى محسن نفسه بذلك المكابر الذي يختلف عند الناس، وهو بنفس هذا المنظار يرى عيوب نفسه ومحاسن اقرانه من الناس ولكن ينظر به مقلوباً



فيصغر هذه المرة المنظورات الى واحد من الف فأكثر او الى واحد من عشرة والرجل كل الرجل من استطاع ان ينظر الى نفسه والى غيره بجهة واحدة من منظاره ذلك حقاً هو نكران الذات، والإسلام حرضنا على ذلك بما أمرنا في تعاليمه لتهذيب الاخلاق التي منها انصاف المرء في نفسه ولذا ورد عن النبي ﷺ «سيد الأعمال انصاف الناس من نفسك».

وقال ابو عبد الله الصادق عليه السلام لأحد أصحابه: «ألا أخبرك بأشد ما فرض الله على خلقه؟ فقال: بل، قال: انصاف الناس من نفسك ومؤاساتك أخيك» وحقاً ان ذلك من أشد ما يبتلي به الإنسان فان الانصاف من النفس ان يقول الإنسان الحق فيما له وما عليه وان يرضى لغيره ما يرضى لنفسه ويكره له ما يكره لها وهذه الفاظ نطق بها ونستهلها، وقد يحسب الرجل الغافل عن نفسه ان بمقدوره ان يصنع ذلك وقد يدعى ان ذلك من خصاله الحميدة على الأساس المتقدم من حب الذات والنظر الى محسن الناس بذلك المكبر ولكن عندما يدقق الإنسان في نفسه وينصفها يرى ان ذلك المنظار المكبر هو الذي يحول بينه وبين هذه الفضيلة بل يحرمه من كثير الفضائل ويجعله متصفًا بكثير من الرذائل في حين انه يزعم انه يحسن صنعاً لأن الرضا عن النفس والعجب بها يحمل الإنسان على الكبراء والغضب والطعن في الناس والتحامل عليهم ثم القعود عن العمل الصالح والكسل عن الفضائل قال الرضا عليه السلام: «العجب درجات منها ان يزين للعبد سوء عمله فираه حسناً فيعجب ويحسب انه يحسن صنعاً» فاذا سيد الأعمال وأساس الفضائل بل الفضيلة نفسها انكار الفضيلة من النفس وانصاف المرء من نفسه. وهذا ما يتطلب من النفس جهاداً عظيماً لا يناله إلا ذو حظ عظيم لا يتوقف على ان يتخلى الإنسان عن حبه لنفسه بقدر ما لو بالأصل يتخلى عن معالاته في ذلك الحب ولعله بذلك يستطيع ان يقارن بين نفسه وبين غيره في النظر اليها وقد تظافرت تعاليم



الإسلام الأخلاقية لتحقيق هذه الغاية من الإنسان لو انه يبصر بعين الحقيقة فيكافح هو نفسه الجمود.

وزبدة المخض ان الفضيلة بكمالها عزيزة المنال قليلة الوجود بين البشر ﴿وَمَا أَكْثُرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصُتْ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> ولكن أكثر الناس لابد أن يتخلّوا بقسط منها وإن اختلفت حظوظهم في هذا القسط وينقص ما يجدون من قسط كبير او صغير انهم يبالغون فيها يجدون منها ويغموتون حق ما يجده غيرهم ظلماً وعدواناً «والظلم من شيم النفوس».

---

(١) يوسف: ١٢: ١٠٣.



## مستوى الأدب العراقي بين القوة والضعف<sup>(١)</sup>

جواب الاستفتاء الأدبي

### الرد الأول

بودي أن نتفق قبل السؤال والرد على تحديد معنى كلمة (الأدب) فإنها من الكلمات المحاطة بالشكوك والتعاريف المتضاربة قدّيماً وحديثاً، وبعد هذا الأصح قياسه بمستوى النهضة الثقافية العامة؛ وللكاتب هنا أن يقرر ان مستوى الأدب متاخر عن هذه النهضة؛ أما النهضة الاجتماعية عندنا فمن الأسف ان النظرة الواحدة الى حالتنا الاجتماعية تكفي في أن تبعث في نفوس المخلصين القنوط واليأس من تقدم مستواها حتى على الأدب، وقد أكون محقاً عند القارئ في قوله اذا انظر الى ان الحركات الاصلاحية لم تتناول حالتنا الاجتماعية كما تناولت الحالة السياسية والثقافية العامة.

وعلى كل حال اذا قصدنا بالأدب ما يعبر عن شعور الفرد أو الأمة عبرياً صادقاً ويرتبط بالمحيط ارتباطاً وثيقاً فيكون للمحيط عليه اثر واضح وله في قلم الاديب حكم ظاهر، فأظن ان المطالع لصحفنا التي هي مثال نهضتنا الأدبية ولكتبتنا الأدبية لا يحتاج الى الكثير من سعة الادراك ليحكم ان الأدب عندنا على الاكثر محاكاة متنبذبة للأدب المصري ذلك الأدب الذي لا يزال يكافح وينافح لأجل التخلص من هيمنة الأدب

(١) وجهت جريدة الهاتف أسئلة لرجال العلم والفكر فكان هذا الجواب والسؤال هي:

١. أصحح أن مستوى الأدب العراقي متاخر بالنسبة لمستوى نهضته الاجتماعية؟
  ٢. إذا صر ما تقدم فما هي الأسباب الموجبة لتتأخر الحركة الأدبية وضعف الإنتاج الأدبي عندنا؟
  ٣. ما هي الوسائل الفعالة التي ترون وجوب الأخذ بها لرفع شأن الأدب العراقي إلى المقام اللائق؟
- السنة الخامسة العدد ١٦٧ الصادر في ٦ / ربيع الثاني / ١٣٥٨ الموافق ٢٩ / مايس / ١٣٥٨ .



الغربي عليه مع أنه فيبدو تكوينه باعتراف أهله، وإذا كان هناك من نادر فالنادر لا يحكم به ولا عليه وأتحاشا ان اتهم بالتملق اذا سجلت الآن اعجابي بأدب الأخ الأستاذ صاحب الهاتف من هذه الناحية لأنني أكتب هذه الكلمة الصحفية جوابا عن سؤال مكتبيها.

ويعجبني هذا الأدب في اللغة الدارجة عندنا وخصوصا ما ينظم للسلسلة فأنيك أبا هي به شعراء الفصحى أن يحيطوا بمثله أدبا يمتزج بالنفس امتزاج اللذة بالحس ويرتبط بالبيئة ارتباط لغتنا العامية بحياتنا اليومية وهل يستطيع شاعر في لغته الفصحى أن يأتي بمثل قصيدة الشاعر الشعبي (حسين قسّام) المشهورة عن لسان الميت الذي تذمر من موته المنكودة «هيئات».

ويعزى هذا على الأكثر إلى ان اللغة الفصحى لا تزال لغة القلم فقط لا لغة اللسان فلم تمتزج بالنفس امتزاج العامية حتى تستطيع ان تمثل احساسات النفس وعواطفها كما هي؛ وهذا مع الأسف لا يختص بالعراق وحده فالكاتب والشاعر عندنا لايزال يتعلم ادب اللغة الفصحى خارجا عن محیطه الذي يعيش فيه فيخضع لحكم المحیط الذي استقى منه أدبه، ويفقد استقلاله الذاتي ولا يعرف كيف يعبر عن خلجان نفسه ونبرات حسه الا بالأساليب التي يعرفه لأدباء قد لا يرتبون بمحیطه بكثير ولا بقليل تلك الاساليب التي خلقت للتعبير عن عواطف نفسية اخرى قد لا يجدها في نفسه وعلى العكس من أمتنا العربية الحاضرة العرب الأولون والأمم الأخرى فان لغة القلم عندهم عينها لغة اللسان.

وإذا قصدنا بالأدب الاسلوب الانثائي والبلاغة اللغظية ورصانة التعبير وما الى ذلك مما لا يمت بصلة الا الى محاكاة الادب العربي القديم وان فقد بميزات شخصية الأديب وبيئته، فهو هم أدبائنا بصورة عامة، ولكن لايزال حتى هذا الأدب متاخرا



والانتاج فيه ضعيفاً عندنا ولقد سبقت اليه مصر فأوغلت ونبغ فيها ادباء للأنشاء من الطراز الأول لكل واحد منهم مذهب خاص له أنصاره ودعاته.

وإذا كان للنجف خاصة وال伊拉克 عامة ماضٍ مجيد وتراثٌ خالدٌ من هذا النوع من الأدب فان هذا التحول الجديد يجعل أفلام المتأدين منا في حيرة وارتباك لم يتخذ واحد منهم خطة واضحة ومذهبًا معروفاً، وهذا شأن التحول الذي يحتاج إلى زمنٍ طويٍ حتى يأخذ نصيه من التقدم أو الاستقرار.

ومع ذلك فشأن الأدب التغير المستمر فقدان ميزة الاستقرار، وإنما نعني على انفسنا فقداننا للاستقلال الادبي حتى في هذا النوع وهذه الأغلات العربية المشوهه لصحفنا وكتبنا دليل آخر على تأخر هذا النوع من الأدب عندنا.

### الرد الثاني والثالث

علي فيما تقدم ألمعت إلى أسباب تأخر الأدب، أما الأدب بالمعنى الأول فلم يكن عندنا موجوداً حتى نصفه بالتأخر ولا ينكر انه وليد لا يزال في دور الطفولة تتعهده أحضان المتأدين ويرجى له التدرج في الحياة وان كان بطبيئاً؛ وأهم الاسباب الفعالة لرفعه إلى المقام اللائق تعميم اللغة الفصيحة ليكون لغة اللسان الدارج والوسائل المتخذة لتعيمها ما فئت ضعيفة لا تؤدي بعض التبيجة.

واما الأدب بالمعنى الثاني فأهم أسباب تأخره فقدان المعاهد اللغوية الكثيرة والمؤسسات الأدبية كما هي الحال في مصر وضعف روح النقد الأدبي، أضعف اليه قلة القراء في العراق وعلى الأخص النتاج العراقي، وإذا كانت النجف تعد معهداً كبيراً للغة العربية، فإن عدم تنظيم دراستها مما جعل الاستفادة منها قليلة لا تؤدي الغاية ومع ان الاشتغال بالعلوم العربية حرفة الناشئة المبتدئين على الأكثر، وليس من عادة علمائها وأدبائها أن يبرزوا ثمرات أقلامهم وجهودهم فيذهب أكثرها ضياعاً، فما أحوج



العراق الى معاهد لغوية عالية ومؤسسات كبيرة للنشر والتأليف ولا يمكن أن نجني من المدارس الحديثة الموجودة أي فائدة تذكر في هذا السبيل ما دامت منهاجها منصرفة الى نواح اخرى ولا تأخذ من الأدب العربي الا بمقدار ما يجعل الطالب ملما ببعض المبادئ التي يحتاجها لضرورياته.



### حرية الفكر والإسلام<sup>(١)</sup>

كلمة (الحرية) من اروع الكلمات الأخاذة التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ حياة الإنسان الحديث، والسر ان الحرية من اهم ما شغف بحبه الإنسان، وكل قيد يحد من حرية تصرفاته يعده كابوساً ثقيلاً على كاهله ينوء بحمله بل يفقده لذاته هي لذة الحرية نفسها بل لذة الحياة نفسها لأن حب الحرية من جملة غرائزه المخلوقة في طبيعته.

غير أن إطلاق عنان الحرية لكل فرد من الناس في كل تصرفاته معناه فتح الباب واسعاً للظلم والعدوان والوحشية الكاسرة والهمجية العاتية، وبالأخير يفقد كل فرد ولاسيما الضعيف كثيراً من حريته اذ لا بد ان يغتصبها منه الافراد الآخرون الذين مثله ايضاً ينشدون الحرية، وحيثئذ لا تبقى للإنسان دولة ولا بلد ولا مجتمع ولا أسرة ولأجل هذا اضطر الإنسان الى الخضوع لسلطان النظام والقانون من دين او دولة فضحى بقسم من حريته ليحتفظ بالباقي في ظل النظام وليحتفظ بكثير من ملذاته ومقاصده، وعليه فكل نظام معناه تقييد الحريات من جهة للاحتفاظ بها من جهة اخرى على اختلاف النظم التي نزلت بها الاديان أو التي وضعها البشر اختلافاً من جهات كثيرة أهمها جهة مراعاة مقدار الحرية المقيدة ومقدار الحرية المطلقة والموازنة بينها، بل كل نظام انما هو افيون للشعوب لتخديرها لا فرق بين نظام ونظام لأنها يوضع ليحد من حرية الافراد فيما يضر في مصالحهم او مصالح الآخرين على قدر ما يعلمها واضع النظام.

---

(١) مجلة النجف السنة الأولى العدد الأول في ٢٧/ربيع الأول/١٣٧٦ - ١/تشرين الثاني/



ولا بد للواضع هذا من ان ينحني عن كاهم اتباعه ثقل تقيد حرياتهم بإقناعهم بضرورته وبما يعدهم من خير وسعادة على حسب اختلاف الوضاعين فيخدرهم بالوعود الصادقة او الكاذبة، وقيمة كل نظام انما هي في تقدير مدى تلك المصالح ومدى الاصابة في معرفتها وتقديرها.

وهذا العصر سمي (عصر الحرية)، ومن السخف - بل من الفشل الذريع للنظم والشعوب - ان يراد من الحرية الحرية المطلقة للأفراد كما يريد ان يفهمها عشاق الشهوة، او كما يريد السياسيون ودعاة الحروب ان يخدعوا بها جنودهم وشعوبهم ولا يزال معنى الحرية يتارجح في هذا العصر تارجحاً تلاقي به الامم العنت والشدائد وتضطرب بها سفينة الحياة في خضم من الحروب والفتن وببلة الافكار والاحوال حتى ترسو - ان شاء الله - على ساحل السلامة والاستقرار للمعنى الصحيح من الحرية، ولكن بعد لأي وغربلة منهكة للبشر لا يعلم الا الله تعالى مداها.

هذه الحرية التي تكلمنا منها الحرية في تصرفات الإنسان اما الحرية الفكرية فهي اسمى من حرية العمل وأبعد مناً عن تقيدها بل هي حق طبيعي لا يمكن ان يحده نظم او اي شيء آخر سوى التربية والتوجيه والتلقين من عهد الطفولة ولا شك ان كل انسان مأخوذ بهذا التوجيه مهمما بالغ في التخلص منه، والمدنية الحديثة فيما ادعنته من اطلاق الحريات دعت الى اطلاق الحرية الفكرية ايضاً من اثقالها ولكن - في الحقيقة - لتکبل الحرية بقيود اثقل، ولا يهمنا الان البحث من هذه الناحية وهو موضوع شائك، وانما سقنا هذا البحث مقدمة لنفهم مدى صلة الدين الإسلامي بالحرية الفكرية و موقفه منها فنقول:

ان من المقررات عند فريق من المسلمين - وخاصة الامامية - انه لا يجوز التقليد في اصول العقائد كالتوحيد والنبوة وغيرهما بل انما يجب على المكلف ان يحصل بنفسه



هذه الاعتقادات اجتهاذاً بلا تقليد لأحد، ومعنى هذا هو الاعتراف بالحرية الفكرية في الدين، فيفتح لنا السبيل للاستقلال في الرأي في هذه الموضوعات التي هي اساس الدين واركانه فلا يتبع الإنسان فيها غيره منها كانت قيمة ذلك الغير حتى النبي نفسه، لأن اتباعه وتقليله في هذه الأمور يتفرع على الاعتراف ببنوته والمفروض انه بعد لم يحصل له هذا الاعتراف به فكيف يجب اتباعه؟

وعليه فليس من حق اي دين ولا اي تبليغ ان يحد من هذه الحرية او يسلبها كما انه ليس من سلطانه ان يمنحها لأحد بل هي - كما قلنا - حق طبيعي منحه له سلطان العقل الذي يجب ان يسبق سلطان الدين، ويستدل على هذا الامر بالآيات القرآنية من نحو ﴿لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup> ومن نحو ما جاء في ذم تقليد الآباء وما جاء في الحديث على التفكير في الخلق والخلوقات، وانما يستدل بها لبيان اعتراف الدين الإسلامي بهذا الحق الطبيعي ولتقرير هذه الحرية لا لتجعل ادلة على اصل هذا الحق وبالتعبير العلمي ان هذه الآيات للإرشاد الى حكم العقل لا لتشريع حكم شرعي.

وهنا يطفر الى أذهاننا سؤال عويص: وهو انه يلزم من تقرير الدين هذه الحرية الفكرية في اصول العقائد ان الإنسان لو فكر ولم ينته بتفكيره الى الاعتقاد بالعقيدة الصحيحة فانه لا ينبغي ان يفرض عليه من ناحية شرعية اي عقاب او ذم مع انه ورد في الشريعة الإسلامية ان الكافر بالتوحيد او بالنبوة محكوم عليه بوجوب قتلها اذا كان مرتدًا ولم يتتب بعد الاستتابة، وأما اذا كان مرتدًا عن فطرة اي انه شك في العقيدة او انكرها بعد أن نشأ من اول بلوغه على الإسلام فانه تحرم عليه زوجته، ويقتل ولا تقبل له توبة وتسلب امواله وتوزع على ورثته، وهذه الاجراءات من السلطة الدينية لا تتفق في بادئ الامر مع اعتراف الدين بالحرية الفكرية.



وعليه فأما ان نقول - كما قاله الاشاعريون - ان المعرفة واجبة شرعاً لا عقلاً وليس للإنسان في هذا الحق في التفكير بل يجب ان يذعن مختاراً او مكرهاً للاعتقاد بالتوحيد والنبوة، واما ان نقول ان هذه الاجراءات ليست مما جاء به الدين الإسلامي وانما تخيلها او شرّعها المتدينون تحصيناً للعقيدة الإسلامية وكلا الامرين لا سبيل لنا الى القول بها:-

اما الاول فهو يصطدم بالبدئية العقلية التي اشرنا اليها فيما سبق، على ان الاكراء في كل شيء يمكن ان يقع الا في العقيدة فانها من الامور النفسية التي ليست مما يقبل الاكراء وكل ما يمكن ان يصنع الاكراء ان يهيمن على الإنسان فيمنعه من التظاهر والتصریح بها، ثم ان هذه الآية المدوية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup> يتلاشى معها كل احتمال بأن الدين الإسلامي يناصر الاكراء على العقيدة.

واما الاحتمال الثاني فلا مجال له ايضاً اذ ليس مجال للشك في صحة هذه الاجراءات الشرعية وورودها في القانون الإسلامي .

والجواب عن هذا السؤال واضح اذا ادركنا جيداً ان هذه الاجراءات الشرعية للمنحرفين انها هي مفروضة على من يتظاهر بالكفر ويعلن عن عقيدته، فلا تجري فيمن يطن الكفر ويعلن الایمان، بل المظاهرون بالإسلام تجري عليهم احكام المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم كالمتافقين الذين كانوا على عهد صاحب الرسالة، وأما القلوب فييد الله تعالى والحساب على العقائد يرجع اليه وحده، فتكون تلك الاجراءات حداً لحرية الاعلان عن الكفر لاحداً لحرية الفكر كما تتعاقب اليوم الحكومات على اختلاف اشكالها ومبادئها على اعلان الآراء التي تصطدم مع مبادئها وسياساتها، وفرق بين حرية الفكر وحرية الاعلان عن الفكرة فالتي هي من حقوق الإنسان الطبيعية

.(١) البقرة:٢٥٦.



التي يحكم العقل بها ويعرف بها الدين هي الحرية الاولى، وليس للمشرع كما قدمنا أن يتحكم بها فيحدها او يسلبها ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup>. واما حرية الاعلان عن الفكرة فهي نفس حرية التصرف التي بحثنا عنها في صدر البحث وهي لا ترتبط بعلاقة الإنسان مع نفسه وعقيدته الشخصية بل هي ترتبط بالمجتمع ومصالحة فلا مانع عقلي من ان يتتحكم المشرع بها فيحدها او يسلبها حرصاً على سلامه المجموع من نشر الافكار المعتمدة له.

و اذا اردنا ان ندقق في الموضوع اكثر فأنا قد نجد المبررات لعرض تلك الاجراءات العقابية على المنحرفين من ناحية نفسية فأنا ندعى:-

أولاًً ان المشرع للدين الإسلامي لعله واجد - وهو واجد فعلاً - ان عقيدة التوحيد والنبوة لها من الدلائل الواضحة البينة ما يتقبلها الإنسان إذا فكر فيها تفكيراً حراً غير متحيز ولا متغصب لرأي آخر.

ثم نقول - ثانياً - ان من استجابة الى داعية التفكير وفكرة فلم يصل به تفكيره الى الاعتقاد الصحيح فلا بد ان يكون انحرافه عن مرض نفسي من عناد أو تعصب أو استهتار بالقيم والحقائق.

فمشروع الإسلام وان قرر الإنسان حرية التفكير وأقر حكم العقل لكنه عالم ان التفكير السليم لابد ان يتنهي به الى الاعتقاد الصحيح وإذا انحرف فانحرافه لا ينشأ الا من مرض نفسي يستحق معه الدواء فالإسلام في الوقت الذي قرر فيه حرية التفكير لم يقرر حرية العناد للحق والجحود له والتمرد عليه وهذا هو المذموم الذي لا يرضاه العقل ولا المشرع.

وليس بمستغرب على الإنسان ان يبلغ به المرض النفسي الى حد ينكر فيه ويتجحد



الحقيقة التي يستيقنها بالدليل عناًداً واستكباراً أو استهتاراً وهذا من جملة مفارقات الإنسان العجيبة وقد اشارت إلى ذلك الآية الكريمة ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنُتُهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾<sup>(١)</sup> ومثل هذا يستحق اللوم والذم بل العقاب انه المرض النفسي الذي ينبغي ان يعالج بالعدواء الذي يليق به.

ونحن لا نعدم شاهداً من النصوص على ان مشروع الإسلام واجد ان العقيدة الصحيحة لابد ان يتهمي اليها التفكير السليم وكفى الآية الكريمة ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه» فالتوحيد هو دين الفطرة وهو العقيدة الصحيحة المطابقة للواقع التي عليها الأدلة الواضحة الكافية عند كل مفكر سليم الفكرة لم تشتب بعناد أو مرض آخر، وهي فطرة الله التي فطر عليها الإنسان في تكوينه النوعي.

وعلى هذا لا منافاة بين حرية التفكير التي يدعو إليها الإسلام وبين تلك الاجراءات من السلطة الدينية على من يخرج على العقيدة الإسلامية لأن هذه الاجراءات في الحقيقة على من يخرج عن الحرية الفكرية ويبلغ به المرض النفسي إلى نكران الحق وجحوده وليس ذلك حداً من الحرية الفكرية ولا سلباً لها ان لم يكن تأييدها وإنما هو علاج للعناد والجحود والاستهتار بالقيم الإنسانية.

ولأجل هذا يختلف العلاج باختلاف هذا المرض وهو على ثلاث مراتب هنا:

١. فيمن نشا على غير دين الإسلام من الأديان الأخرى ولم يسلم فانه لو فكر فلم يهتد إلى العقيدة الصحيحة ربما يكون عدم طوعيته واعتناقه للدين الصحيح من تأثير وطأة العقيدة القديمة التي تعميه وتأثير على استقامة تفكيره وحرفيته، وليس من

(١) التمل ٢٧:١٤.

(٢) البقرة ٢:٢٥٦.



السهل على الإنسان أن يفكّر تفكيراً حراً ويتخلص من عقيدته التي نشأ عليها، ومثل هذا لا يستحق العقاب الشديد والاجراء الصارم ويكتفي لردعه اذا لم ينفع معه الارشاد والتوجيه ان لا يعامل معااملة المسلمين تلك معااملة اهل الذمة المعروفة وما جاء في القرآن الكريم من ذم تقليد الآباء والأخذ بالظن والتخمين في العقائد انما هو موجه الى هذا النوع.

٢. فيمن نشا على غير دين الإسلام ايضاً ثم اهتدى ثم ارتد ورجع إلى دينه الأول فان مثل هذا قد تبين له الرشد من الغي واستطاع ان يخرج على عقيدته الأولى وليس هو كالنوع الاول فهو كمن اغمض عينيه بعد رؤيته لنور الشمس في رأى الضحى فيكون مصرأً على العمى عناداً وجهاً، فيجب أن يداوى باستئصال شأفتة بالقتل غير انه لما كان في السابق على غير دين الإسلام يمهل ويستتاب لأن الإنسان منها تبدلت عقيدته فان عقيدته الأولى تكون عادة متركزة في نفسه تبعت عند اثارتها من مكمنها وعندما يضعف تشبيه بالعقيدة الجديدة، وهذا من ناحية نفسية صحيح فيكون له شيء من العذر فيستصلاح مرضه بالإرشاد ويستتاب فان تاب قبلت توبته والا يعد مرضه مستعصياً لا يداوى الا بالاستئصال خشية ان تسرى عدواه الى غيره.

٣. فيمن نشاً وتربى على دين الإسلام فارتدى عن دينه الى دين آخر فان هذا مستحکم فيه المرض ولا مجال لعذر كالنوع الثاني فانه لا يستتاب ويقتل.

ولكن هذا العصر (عصر الحرية...؟) لعب الاستعمار لعبته الكبرى فبذور روح الاخاذ في مدارسه التي أنشأها في بعض البلاد الإسلامية تحطيمأً لعقيدة المسلمين لينشأ الطفل على روح التمرد والشك في عقيدة الدين الإسلامي فأزاح بذلك القوى الهاشة التي كانت امامه للجامعة الإسلامية، وليس لدينا من سلطة دينية نافذة تحاسب هؤلاء



الحساب العسير: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١، ٢)</sup>.

(١) إبراهيم ٤٢: ١٤.

(٢) نود الإشارة إلى أن هناك مدخلات أثارتها مقالة الشيخ عن حرية الفكر منها ما كتبه الأستاذ مزاحم الطائي بعنوان (دفاع عن حرية الفكر) استحسن فيها ما أفضى به الشيخ المظفر من أفكار ورؤى ونشرت في مجلة النجف بعدها الثاني من السنة الأولى، وهناك مقال آخر للسيد عبد المحسن الحكيم.

**هوية النجف العلمية**



## جامعة النجف الأشرف صنو جامعة القرويين

سادتي:

كان في الدعوة الموجهة إلى من قبل وزارة التربية المغربية الجليلة اقتراح بأن اكتب عن صدى جامعة القرويين عندنا وكان هذا الاقتراح الوجيه المناسب مثار حيرة عندي اذ حاولت ان اصغي الى رجع الصدى في نفسي عندما اخذت اتساءل من كثير من اعرف من رجالات النجف الاشرف بل العراق عن علمهم بهذه الجامعة الجليلة فما وجدت لصداتها رنة عند الكثير الاجمادات مما قرأه بعضهم في بعض الصحف السيارة او الكتب النادرة، ومن العجيب ان بعضهم لم يسمع حتى باسمها او لا يعرف موقعها. ولقد كان من الصعب جداً أن أصارحك بهذه الحقيقة المرة في موقفي هذا وانت فرحون ونحن معكم لنحتفل بمرور احد عشر قرنا على تأسيس هذه الجامعة التي تعتزون بها وحق لكم ولنا ان نعتز بها وهي مفخرة من مفاخر العرب والمسلمين حقاً. ولا شك في ان هذا شيء مؤلم جداً ولكنني مضططر الى التصريح به وهو في الحقيقة نتيجة القطيعة التي عزلتنا عن المغرب العربي المسلم وعزلته عنا هذه المدة الطويل، ولا أظنه يعزب عن بال احد من الناس سر هذه القطيعة مع توفر وسائل تبادل المعرفة في هذا العصر بنشر الكتب والصحف بل الاذاعة فان المستعمرين جميع المستعمرين - اخراهم الله تعالى بما جنوه في حقنا - ارادوا بلادنا ان تتفكك او اصرها وتتفرق كلمتها ويجهل بعضها بعضاً حتى لا يبقى سبيل الى تجاوبيها في آمالها وآلامها وتوحيد شعورها وبالأخير لينسد الطريق على تعاونها فيما بينها لرد كيد المستعمرين. وقد خاب فالم بحمد الله تعالى.



وما أظن جامعة النجف الاشرف اكثرا حظا من اختها جامعة القرويين في هذه الناحية فلو اردت ان افتشر عن سر ما تتطوّي عليه نفوس اخواننا المغاربة لما وجدتهم اكثرا علماء بجماعتهم، والسبب هو السبب، فنحن شركاء في هذا الداء الذي الذي مني به العالم الإسلامي اجمع من قرون مظلمة طويلة الامد حجبت عنه كل نور للتعارف. ولم تكن إلا هذه الزوايا في النجف الاشرف والازهر الشريف وجامع القرويين وأمثالها وفيها خبايا من رجال انقطعوا عن الدنيا زاهدين وانصرفوا في عزلتهم الى العلوم الدينية لا يريمون عنها ولم يخطر ببالهم ان يفكروا في ان ينهضوا بأمّتهم من كبوات الدهر وعاديات الجهل. وانى لهم ان يفكروا وهم عزل من سلاح القوة والسلطان!

ونحن في الوقت الذي نكبر هذه الجامعة فيما ادت للمسلمين ولعامة البشر من رسالة ثقافية قيمة وفيها احتفظت به من التراث الإسلامي والعربى عبر تلك القرون المظلمة بها انجبت من علماء اعلام وانتجت من آثار علمية وادبية نافعة لا نستطيع ان ندفع عنها اللوم اللاذع على انكماشها على نفسها وتضييق دائرة تثقيفها للمسلمين وقلة وسائل دعاياتها ولم تخط - مع الأسف الشديد - في سبيل الخروج عن عزلتها خطوة ذاتفائدة تناسب هذا العصر الذي تنكر لها بما بشر به المستعمرون الصليبيون ضد الدين الإسلامي.

وما اكثرا شكرنا للحكومة المغربية الجليلة اذ تنبهت لهذه الناحية فأتأاحت لنا - نحن المسلمين في الشرق - هذه الفرصة السعيدة وفتحت بها لنا المجال لتبادل التعارف بين اكبر هذه الجامعات الإسلامية القديمة الذي كان يجهل بعضها بعضا وعسى ان يتاح لنا بعد ذلك التبادل الثقافي فننهض بهذه الجامعات الى المستوى اللائق بها في هذا العصر. وانى لأتّعهد لكم ان انقل الى جامعة النجف ما احصل عليه من معلومات مفيدة



عن جامعتكم في مقابل ما اتحدث به لكم يأيّحاز عن جامعة النجف التي افخر بتمثيلها في هذه المهرجان واعتر بأن أكون أحد ابنائها الذين انتبّهم تربتها وتغذوا من درها بالقدر الذي يسعه انائي المنوح لي من الباري تعالى.

واعتقد ان هذا الحديث افيد ما استطيع التحدث به لكم بهذه المناسبة الجليلة بالذات.

سادتي:

ان جامعة النجف الاشرف صنوا جامعة القرويين في قدم عهدها فقد تأسست اول بناء لها في القرن الثاني الهجري وهي بناية القبر المطهر قبر سيدنا امير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بأمر الخليفة العباسى هارون الرشيد. ويظهر ان هذه البناءة ما اسرع ان اجذبت اليها قلوب المؤمنين من زائرين ومجاورين - الذين يتعطشون الى الانتهاء من نمير روحية صاحب هذا القبر والاستلهام من عقیدته الإسلامية العالية وقدسيّة نفسه الجبارية ب رغم جفاف هذه البقعة وبعدها عن العمران وهي تقع في صحراء مرتفعة قاحلة محقة لا ماء فيها ولا كلاً الا ما كانوا يستنبطونه من ماء اجاج في آبار عميقه الغور.

ولم تتحقق الى الان متى كان ابتداء اتخاذها معهدا للدراسات الإسلامية ولكن اذا علمنا انها تقع في ظهر الكوفة والكوفة كانت مركزا علميا مشهودا في تلك القرون يقرب اليها ان النجف لم تعد في مجاورتها من يشتغل بالعلوم الإسلامية يومئذ ولم نعد الشواهد التاريخية على ذلك مثل بعض الاجازات العلمية التي صدرت من مدينة النجف في ذلك العهد، ومثل رواية كتاب فرحة الغري عن عضد الدولة البوبي انه لما زار النجف سنة ٣٧١ هـ وزع مالا على الفقهاء والفقراء فذكر الفقهاء المجاورين يعطينا نصا على وجود الحركة العلمية ولكن الحقيقة التي يجب ان تقال انه لم يكن لها ذلك الشأن الذي يذكر في مركزها العلمي المرموق ومرجعيتها للتقليل الا في اواسط



القرن الخامس الهجري وذلك بعد ما هاجر اليها من بغداد حوالي سنة ٤٨٠ هـ الشیخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي العظیم المعروف بشیخ الطائفة صاحب الموسوعات والمؤلفات الخالدة في الحديث والتفسیر والفقہ وغيرها.

ان هذا الرجل من عظماء التاريخ فيما الف وأسس وكفى ان يكون له اصلاح كبيران من الاصول الاربعة هما كتاب التهذیب وكتاب الاستبصار، وقد ارسلت فيها ارسالت من كتب الى خزانة جامعة القرويين هذا الكتاب، اعني كتاب الاستبصار في ثلاثة مجلدات وكفى ايضا يكون لهذا الشیخ تأسيس المركز العلمي للنجف.

أعود فأقول ان تاريخ النجف العلمي ومركزها الحساس عند الامامية يبتدئ من ذلك العهد واستمر معهذا للدراسات الإسلامية بين مد وجزر حتى اوائل القرن الثالث عشر الهجري حيث القت المرجعية العامة للتقلید عصا تر حالمها في النجف وذلك بنبوغ المجتهدين الكبارين السيد محمد مهدي بحر العلوم والشیخ جعفر کاشف الغطاء بعد ان جابت عدة بلاد في فترات متباينة كبغداد والحلة وكربالاء واصفهان.

ومن هذا العهد الاخير كثرت البناءيات لسكنى الطلاب المهاجرين اليها من مختلف البلاد النائية وهذه البناءيات هي التي تسمى بالمدارس وهي اشبه ما تكون بالأقسام الداخلية، وهي عندكم في القرويين، يبلغ الموجود منها الان قرابة ٣٠ مدرسة كبيرة وصغيرة بعد ان كانت نهاية صحن الحرم العلوی هي المأوى الكبير لهم من ابعد العهود وبعض المدارس التي اندثرت.

وفي النجف اليوم حوالي خمسة آلاف طالب من مختلف الاقطار الإسلامية، كاھنہ وايران وافغانستان وباکستان والتبت وما اليها، وتقوم المرجعية العامة بتعيين جرایات شهرية لكل طالب وتعتمد في مواردها المالية على الحقوق الشرعية التي يدفعها المؤمنون في مختلف الاقطار وبعض التبرعات من المحسنين وليس للمرجعية اي مورد حكومي



ولا علاقة لها بالحكومات على اختلافها في شؤونها الخاصة وال العامة مادية أو غيرها. وأهم شيء يحسن ذكره بهذه المناسبة بعد الاشارة الى تأسيس النجف هو نوع دراستها واسلوبها لتسهيل المقارنة عندكم بجامعة القرويين الجليلة. فإنها لا تختلف كثيراً عن سائر الجامعات الإسلامية القديمة في نوعية التدريس للعلوم العربية وما اليها في كونها دراسة خصوصية لا صافية وكذلك في اختيار الكتب ولا تزال على الاسلوب القديم في ذلك. وإنما تمتاز جامعة النجف بطريقة تحصيل الاجتهاد في الفقه الذي تختص بفتح بابه الامامية. وغاية الطالب الديني القصوى ان يبلغ هذه الدرجة العليا التي لا ينالها الا ذو حظ عظيم.

ولذلك تمر على الطالب ثلاث مراحل تدريسية لبلوغ هذه الغاية:

المراحل الأولى: مرحلة دراسة (المقدمات) كما يسمونها، والمقصود بالمقدمات، النحو والصرف وعلوم البلاغة والمنطق وهي تقرأ في كتب لا يتجاوز وزنها الا نادراً كشرح قطر الندى وشرح الفية ابن مالك ومعنى الليب في النحو والشمسية وغيرها في المنطق وهذه الكتب التي ذكرناها هي نفسها التي تدرس في جامع الازهر وجامعة القرويين - فيما نظن - وتحتخص النجف بكتب اخرى في بعض هذه العلوم لا سيما المتون الفقهية كالشرعية للمحقق الحلي وشرح هذا الكتاب كثيرة.

وقد وضع محدثكم كتاباً في المنطق بثلاثة اجزاء بدلاً من الكتب القديمة بأسلوب سهل جديد وعبارة واضحة وضعته لكلية منتدى النشر قبل أكثر من عشرين عاماً وقاد ان يعمم تدريسيه الان في معاهد النجف.

ونوعية الدراسة في هذه المرحلة دراسة فردية على الاكثر وربما اشتراك فيها اكثر من طالب واحد فيشكلون حلقة صغيرة، وللطالب الحرية في اختيار المدرس، بل الكتاب وليس عليه رقيب الا نفسه او ولي امره كما ان في هذه المرحلة كسائر المراحلتين الاتيتين



للطالب والمدرس حرية النقد والمناقشة وطبعا تكون الحرية في هذه المرحلة محدودة بالقدر الذي يسعه افق الطالب وتفكيره والغرض منها التوجيه والتمرين على قوة الملاحظة.

وكثيراً ما ينضم إلى هذه المرحلة دراسة علم الكلام والعلوم الرياضية وبعض العلوم العربية الأخرى كعلوم العروض والقافية والبديع والنصوص الأدبية. وهذا كله حسب رغبة الطالب واستعداده في المشاركة بهذه المعارف ونحوها.

**المرحلة الثانية:** مرحلة دراسة (السطوح) كما نسميتها وهي دراسة متن الكتب الموضوعة في الفقه الاستدلالي واصول الفقه ويتبع فيها محاكمة الآراء ومناقشتها بحرية كاملة. وعلى الاكثر تجري هذه المرحلة على اسلوب الحلقات حيث يجتمع اكثر من طالب واحد في مجلس احد المدرسين المعروفين ويختلف عدد الطلاب في كل حلقة حسب اختلاف شهادة المدرس في تفوقه في اسلوب التدريس وسعة اطلاعه.

كما ان الحرية مطلقة للطالب في اختيار الكتاب والمدرس والكتب التي يرجع اليها للمطالعة في حدود جرت عليه. وأهم الكتب المعروفة كتاب معالم الاصول وقوانين الاصول ووسائل الشيخ الانصاري وكفاية الاصول هذه في اصول الفقه. وقد وضعت كتابا في الاصول على نمط كتابي في المنطق يدرس الان في كلية الفقه عندنا. وقدمت نسخا من الاجزاء المطبوع الى خزانة جامعة القرويين.اما الكتب الاستدلالية في الفقه فاشهرها شرح اللمعة الدمشقية الذي هو كتاب ابتدائي في الاستدلال وبعدة كتاب رياض العلماء والمسالك ثم المكاسب للشيخ الانصاري وهناك مراجع اخرى كثيرة اوسع دائرة وبحثا لا يستغني عنها الطالب الباحث.

وإذا انتهى الطالب من هذه المرحلة بإتقان استحق ان يسمى (مراهاقا) اي مقاربا لدرجة الاجتهد وقد ينضم الى هذه المرحلة دراسة علم الكلام والحكمة والفلسفة



الاهلية والتفسير والحديث واصول الحديث وعلم الرجال.

وهذه المرحلة ما قبلها قد يجتازها الطالب في عشر سنين فاكثر في جد متواصل مضمن وهي مرحلة شاقة يضطلع فيها كثير من الطلاب فيتوقف عن الركب المغذ وبالآخر لا يلحق بالطليعة الداخلة الى باب الاجتهاد الذي لا يتوقف له الا اسعد الناس.

وقد لمس كثير من المفكرين صعوبة هذه المرحلة فوجدنا ان من الجدير بنا ان نسعى الى فتح كلية منظمة لتلافي بها كثيرا من النواقص التي يتشكى منها وذلك بتبسيط بعض الكتب وتنظيم المناهج والدروس والامتحانات وهكذا تم لجمعية منتدى النشر ان تفتح (كلية الفقه) لتخريج طلاب لهم الاستعداد الكافي لحضور مجالس دروس كبار المجتهدین بالإضافة الى القيام بواجب الدعوة الى الدين الإسلامي وتبلغ مبادئه بمنابرهم واقلامهم وقد اضيف الى دروس المعارف الإسلامية المعروفة دروس في الاجتماع وعلم النفس والتربية والفلسفه الحديثة والتاريخ الحديث والفقه. وفرضت المعارف العراقية بنظام هذه الكلية ودرجتها العلمية الى لغة اجنبية واحدة ومن سنتين تم اعتراف وزارة المعارف العراقية بنظام هذه الكلية ودرجتها العلمية بدرجة ليسانس. وهذه الكلية لا يدرس فيها الا حملة اجازات الاجتهاد من كبار المجتهدین او حملة الشهادات الجامعية من الجامعات المعترف بها.

المرحلة الثانية: مرحلة (بحث الخارج) وهي حضور مجالس دروس كبار المجتهدین في الفقه واصوله. وهذه هي آخر مراحل الدراسة التي بها قد يبلغ الطالب درجة الاجتهاد وهي اعلى ما في النجف من دراسات عالية وبها امتياز هذه الجامعة عن جامعات العالم الإسلامي في اسلوب التدريس وفي حرية المناقشة والرأي وفي درجتها العلمية العالية.

تكون هذه المرحلة عادة في دورات يتولاها كبار المجتهدین ويبتدئ المدرس منهم



دورة اصولية او فقهية يلقيها بشكل محاضرات يومية فيشرح المسألة شرعاً وافياً يعرض الاقوال من مختلف المذاهب الإسلامية ومناقشة الآراء فيها وادلتها ويختار ما يتنهى اليه رأيه مع الدليل. ولكل مدرس طريقته الخاصة في اسلوب البحث وسعة النهج والاسس العلمية التي يعتمدها.

وهذه الدورات لا تكون الإجتماعية يحضر فيها عدد كبير من الطلاب قد يزيد في بعض الظروف على الف طالب وذلك تبعاً لشهرة المدرس في تفوقه العلمي ودقة منهجه واسلوب تدریسه.

وسميت بـ(بحث الخارج) نظراً الى ان التدريس فيها لا يعتمد على رأي خاص ولا عبارة كتاب معين الا ما قد يتخذ منها للبحث لتسهل على الطلاب المراجعة للتحضير قبل الدرس.

والطلاب في هذه الدورات لهم كامل الحرية في المناقشة والرأي أثناء المحاضرة وبعدها وكثير من طلابها يكونون مجتهدين في انفسهم حتى قيل ان المجاهد الاكبر استاذ اساتذة هذا الجيل الشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب الكفاية المتوفى سن ١٣٢٩ هـ كان يحضر درسه من المجتهدین حوالي ثلثمائة طالب مجتهد.

وعلى كل حال فإن ميزة هذه الدورات عمق البحث ودقته وسعة افقه والحرية الكاملة في نقد الآراء ومناقشتها مهما كان صاحبها. وبهذا الاسلوب يغذي الطلاب ليتمكنوا من الاعتماد على آرائهم والثقة بنفوسهم ليصبحوا مجتهدين يرجع اليهم الناس وتقلدهم الامة في امورها ويقودونها الى الخير والسعادة.

وإلى هذا النهج الدراسي يعزى السر في تطور الدراسات الفقهية والاصولية في هذه الجامعة عبر القرون. ومن يقرأ كتاباً في الفقه واصوله لأحد اعلام القرن الرابع والخامس مثلًا ثم يقرأ كتاباً فيها لأحد اعلام هذا القرن يلمس مدى التطور الذي بلغه

البحث في دقتها واسلوبه.

ولإيضاح هذه الجهة قدمت نماذج من الكتب التي تدرس وتقرأ في هذه الجامعة اضعها بين ايدي السادة العلماء في جامعة القرويين ليطلعوا عليها ولتعكس لديهم المراحل التطورية لهذين العلمين.

وسأحمل معى - ان اذنتم - بعض الكتب التي تدرس في جامعتكم المحترمة لأضعها بين يدي العلماء من موجهي جامعة النجف كوسيلة من اهم وسائل التعارف والتعاون بين الجامعتين وارجو ان نجد في هذه الانواع من الكتب مواضع لاللتقاء تقتضيها جهات التشابه بينهما في وحدة الهدف بنشر الثقافة الإسلامية في اوسع مجالاتها وفي قدمها ونوع دراستها.

وحسينا في ختام هذه الكلمة ان نسجل لجامعة القرويين واخواتها الجامعات الإسلامية نضالها في الحفاظ على لغة القرآن الكريم وادبياته وعلومه بعد ان مرت البلاد الإسلامية بقرون مظلمة كادت تقضي على الإسلام واللغة العربية من الاساس.

وانى لمنفأى جدا بهذا الوعي الإسلامي العام في هذا الظرف بالذات وهذا التجاوب بالشعور بالحاجة الى التأسي والتتفاق والنهوض بأمتنا الى المستوى اللائق بها في هذه الارض التي اخذت علينا من اطرافها.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرِى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

والسلام عليكم.

. (١) التوبة: ٩.



### توحيد الهلال بين الدول الإسلامية<sup>(١)</sup>

إن المهدى الذى يرمى اليه التقرير هدف جليل له الأثر البالغ في حياة المسلمين وتوحيد كلمتهم ولا يزال المخلصون ينعون على الأمة الإسلامية اختلافها حتى في مظاهر اعيادها ذلك الاختلاف الذى هو على الأكثر نتيجة التواكل والتحلل وعدم العناية الجدية المخلصة بلم الشعث ورائب الصدع.

ويا حبذا ان تتعاون المؤتمرات الإسلامية في توجيه امتنا الى ما يجمع شملهم ويوحد كلمتهم تعاونا يستهدف خدمة الدين الإسلامي والامة خدمة صادقة خالصة.

وفي سبيل تحقيق هذا التعاون نعلق بما يعن لنا على ماجاء في تقرير الجامعة العربية في خصوص توحيد التواریخ الإسلامية ومواعيد العبادة فنقول:

إننا - المكلفين بالواجبات الإلهية - لأجل ان نخرج عن عهدة تلك الواجبات لابد لنا من ان نؤديها كما وردت في الشريعة بجميع ما لها من قيود وشروط، والا كنا عابثين مستهينين بها.

ولا شك في أن الوقت المحدد للعبادة كالصوم والصلوة من جملة القيود التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها بدقة متناهية.

وفيمما يتعلق بموضوع وقت الصوم بالخصوص الذي تناوله التقرير جاء في الحديث

(١) عثر في أوراق المرحوم الدكتور السيد محمد بحر العلوم على مسودة هذه المذكرة بخط الشيخ المظفر وهي تتضمن ملاحظات للمناقشة وال الحوار بها ورد بتقرير الجامعة العربية - آن إذ - بخصوص توحيد التواریخ الإسلامية ومواعيد العبادة والذي يبدو أن التقرير لنتائج جلسة حوار ربها كان منعقداً في مجلس (برّاني المرحوم السيد علي بحر العلوم) ثم احتفظ بالمسودة عند السيد بحر العلوم وربما حصلت هذه الجلسة بتوجيه من المرجعية العليا.

النبي الصحيح ما يؤكّد عدم جواز الاستباق به عن وقته ابداً كاحديث الشريف «لا تصوموا قبل رمضان وصوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته» والحديث الآخر «لا تقدمو الشهور بصيام يوم ولا يomin إلاّ أن يكون شيء يصوم أحدكم لا تصوموا حتى تروه ثم صوموا حتى تروه» إلى غيرهما (راجع كنز العمال ج ٤ ص ٣٠٢ رقم الحديث ٦٠٧١ فيما بعده).

وبعد هذا نقول: ان الشريعة الإسلامية اعتبرت میقات الصوم بالشهر الهلالي (الشهر العربي) الذي عدته بالأيام الهلالية. واليوم الهلالي (وهو اليوم العربي) يبتدىء من أول الليل بينما ان اليوم الشمسي يبتدىء من نصف الليل. ولذا كانت العرب حينما تؤرخ ايام الشهر تقول: ”ثلاث مضين. لأربع مضين... وهكذا. ولثلاث بقين وأربع بقين.. وهكذا“ . فاعتبرت حساب أيام الشهر بالليلي لا بالنهاي بدليل تذكير العدد بالمعدود مؤنث هو الليلة.

وعليه إذا تولد الم HALAL في أثناء الليل او في النهار فلا يدخل هذا اليوم في حساب الشهر - كما اراد التقرير ان يفرضه - لأنه لم يكن من اول الليل قد تولد الم HALAL . فإذا صمناه فقد قدمنا الشهر بصيام يوم وهذا ما لا تجوزه الاحاديث الشريفة المتقدمة وهي احاديث صريحة متواترة.

والنتيجة التي نستخدمها ان توحيد جميع الأقطار الإسلامية او الأرضية على اعتبار يوم معين اول شهراهم الصيامي او يوم عيدهم لمجرد ان الم HALAL تولد اول الليل في مكة المكرمة لا يمكن ان ينطبق على ما جاء في الشريعة الإسلامية من توقيت الصيام والاعياد وبالشهر الهلالي الذي يتبديء حساب أيامه من اول الليل.

ولأجل هذا حكم كثير من الفقهاء بأن ثبوت الم HALAL في بلد لا يكون حجة على البلدان الأخرى كما هو مذهب آل البيت عليهم السلام.



وال்தقرير أشار إلى اختلاف البلدان في تقدير الزوال والغروب للصالة فتكون البلدان مختلفة أيضاً في تقدير يوم صومها وعيدها لاختلافها في تولد الهلال من أول الليل فيها. أي أنه لا بد أن يمر غروب الليلة الأولى من الشهر وقد تولد الهلال فيه وكل بلدة على حدة.

ومع اعتبار ذلك لا بد أن تختلف البلدان المتباعدة في تاريخ أول الشهر. وهذا الاختلاف لا يتجاوز - على كل حال - يوماً واحداً.

وقياس توقيت الشهر على توقيت الزوال بقرينة (جرنتيش) - كما حاول التقرير - قياس لا يستقيم لأن هذا التوقيت بتعيين خطوط طول البلدان إنما يضبط توقيتها الزوال، لا انه يوحّد زواها وتاريخه والتقرير يريد بهذا القياس ان يوحّد التاريخ، لشهر البلدان المتباعدة وain هذا من ذلك نعم يستقيم هذا القياس اذا جعلت مكة المكرمة مركز اطلاق لتوقيت اوقات الشهور في البلدان الأخرى بأن تحفظ لكل بلدة بوقتها الخاص بها نستطيع ان نعرف بالضبط لكل بلد اول شهرها كما نعرف في معرفة خطوط الطول لكل بلد اول زواها، وفائدة هذا هو ضبط اوائل الشهور في البلدان لا توحيد تواريختها كما يريد ان يستنتاجه التقرير ويحصل عليه.

وهذا فرض معقول لا يتعارض مع القواعد الإسلامية وضبطه يحتاج الى دقة بالغة في الحساب وثقة كاملة بثبوت الهلال في مكة المكرمة ولا بد ان يتفق جميع المسلمين على طريقة ثبوت الهلال.

هذا كله اذا صح لنا الاجتهاد بأن نعتبر الهلال يتولد النور به، اما اذا جمدنا على التعبير في الحديث النبوى بقوله ﷺ: «صم للرؤى وأفطر للرؤى» واستنتاجنا منه ان ثبوت الهلال لا يكون الا بالرؤى ولا غيره بالحساب والآلات الرصدية فإن المسألة تكون اشكال. ولا يصبح في ذلك الغرض الذي ذكرناه بشرعنا الا بالرؤى لكل بلد اسلامي باستقلاله والبلدان المجاورة له التي تتحدد معه في افق الرؤى.



## العلم والسعادة الأبدية

تمهيد

أحاول ان اثبت لك (ما استطعت) بالبرهان الذي لا محيد لك عن الایمان به والرخصوص له ان الاهتمام بالعلم المثمر للسعادة الأخروية اجدر عند العقل من الاهتمام بالعلم المتبع للسعادة الدنيوية وليس النقل متفردا في تلك الدعوى ليتسع لك المجال بدفعه زعما انه غير مدعوم بالعقل بل انما جاء النقل وفقا لما أوحى به العقل ودعا اليه فكلماتي التي رجوت ان تنظرها نظر تدبر وامعان لانظر سير واستطراد تقع في ضمن نظرات:

### النقطة الأولى

لا يرتاد ذو شعور حساس بأنّ سعادة الإنسان - بالعلم - وان حظه من السعادة على قدر ما اكتسبه بجهده من العلم وانك لترى تفاوت مراتب ورواتب العلماء وما ذاك إلا لأن الأسمى رتبة وراتبا كان نصيبه من العلم اوفر.

وليس هذه النظرة نظرية لتطالبني بالبرهان على صدقها بل هي اليوم من اول الضروريات المحسوسة لكل ذي ادراك وحس وان ابيت الا ان ادعم تلك الدعوى بالدليل بالوجدان اقعن شاهداً واقطع برهاناً فهذه (امام باصرتك) الأمم التي حلقت فاخترقت السحاب اوليس العامل الوحيد الذي اوجد لها قوادم تخلق بها في الفضاء كيما تشاء - هو العلم - ولا اراك تغالطي زاعما ان (بالمال) رقي الأمم بعد ان عرفت ان المال رائد (العلم) وان (العلم) هو ينبوع فيضه ووابل روضه وهو الذي ألان لهم الحديد وسخر لهم البخار فصيرهما طيارة أو سيارة.. او.. او تستنزف ما نجد من حمراء



وبقضاء. وهذه النظرة يتفق عليها ويتحدد في تصديقها ذوي البصائر والابصار من البشر سواء كانوا معرفين بالمعاد او منكرين له.

### النظرة الثانية

يسنى لي ان ادعى ان العلم علماً والسعادة سعادتان علم يثمر سعادة الآخرة وعلم يجلب سعادة الدنيا وعند هذه النظرة يودع الجاحد بالمعاد المؤمن به ويتفارقان ولا يسايران كتفاً لكتف إلاّ أهل التوحيد بكافة شيعهم وجميع نحلهم بأن أساس البناء على السعادة الأخروية والاهتمام للفوز بها هو الاعتراف بالعود الى الوجود بعد العدم وان هاتيك الحياة الثانية فيها سعادة وشقاء ونعميم وعذاب وهذا لا يؤمن به إلاّ آرباب الكتب السماوية الخاضعين للصانع القدير فالقسمة الثانية اذا لا ينكرها المعترف بواجب الوجود لحتاج الى إقامة البرهان عليها ولسنا بصدده اثبات وجوده الواجب (جلت ذاته وتقدست صفاته) وما يلزم ذلك من معاد وحساب وثواب وعقاب فأن البحث عن ذلك مستوفى في كتب الكلام فنكون ما نحاول إلفاتك اليه مقصوراً على اشياع التوحيد وفرق الآيان وحسبنا هؤلاء اذا وقعت ابصارهم على هذه السطور واعطوها حقها من النظر والانصاف وان كنا نود توجيه النصح لعامة إخواننا من البشر غير ان ذلك يستدعي توسيعة نطاق البحث والخروج عن الخطة المبحوث عنها في هذه الكلمة.

### النظرة الثالثة

ان الموحد في حين اعترافه بعودة هذا العالم البشري الى الحياة مرة أخرى يعترف ببقاء تلك الحياة وان الإنسان فيها إما في عذاب وإما في نعيم كما يعترف بفناء هذه الحياة وما فيها من تعاسة وشقاء وسعادة وهناء وفي حين اعتقاده بأن الإنسان صائر إما إلى جنة وإما إلى نار ويعتقد بدوام تلك السعادة أو الشقاء وأن ليس هناك واسطة بين الحالتين.



#### النظرة الرابعة

وإن من الضروري عند أرباب الشرائع أن الله تعالى لا يخلق تلك الدار التي نصير إليها بها فيها من سعادة وشقاء عبثاً وإنما خلقها ليجازي بها المطاعين وال العاصين من عباده كل بما عمله في هذه الحياة إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً أنه لا يُنعم فيها قومٌ ويُعذب آخرون جزافاً من دون أن يعمل المنعمون ما به يستحقون السعادة والمعدّبون ما به يستحقون الشقاء ولو أنه يعذّب من يستحق النعيم لكان ذلك منه ظلماً (تعالى عنه) والظلم قبيح بضرورة العقل وارتكاب القبيح نقص في الكامل الغني عن ارتكاب ذلك القبيح. وإذا اتصف بالنقص كان ممكناً لا واجب الوجود لأن الواجب وجوده ينافيه النقص الذي هو من صفات الممكنات.

#### النظرة الخامسة

فقد تحصل لديك من هذه النظارات هو أن (العلم) رائد السعادة وأن السعادة سعادتان دنيوية وأخروية وأن العلم الذي يجلب لنا السعادة الدنيوية هو علم الدنيا والذي يجلب لنا السعادة الأخروية هو علم الآخرة وأن سعادة الأخرى باقية لا فناء لها وسعادة الدنيا فانية لا بقاء لها وأن الفوز بهاتيك السعادة الخالدة إنما يكون بالأسباب التي أبأتها (جل وعلا) على ألسنة رسله الكرام.

إذا كانت سلسلة هذه النظارات محكمة العرى عندك فلا أنصب لك حِكْمَة تُخضع لحكمه وتومن بصدقه غير عقلك فهل يا ترى كيف تجده إذا أبصر عين بصيرته تلك السلسلة الذهبية أفلأ يحكم بأن نيل السعادة الأبدية أهم وأجدر من نيل هذه السعادة الزائلة على ما بين السعادتين من البوس الشاسع من حيث النعيم والدعة واللذات وأن مراتب الأهمية بين السعادتين على حسب مما بينهما من التفاوت من حيث البقاء والفناء والحبور والسرور.



ومن العجب أنك على قدر ما يوحيه إليك عقلك من الجد والطلب للحصول على تلك السعادة الباقيه نجده صافحاً عنها ومتناكرًا منها ومن العلوم الشريفة التي إذا تعلمتها وعملت على وفقها تحظى بها تلذذ الزلفي مقبلًا على هذه الدار الزائل عنها والزائلة عنك على علومها التي لا تبلغك لو توفرت لتعلمها والعمل بها إلا سعادة مؤقتة على ما حفت بها من المكاره والأخطار و.و.و.الخ. فكأنما الدنيا خلودك وسعادتك والآخرة دار فنائك وشقائك.

ولا تحسب أني أريد أن أثنيك عن الأخذ بحظك من سعادة هذه الحياة الزائلة فإن الهيئة الاجتماعية والنظام البشري مفتقران إلى زراعة وصناعة وتجارة و.و.و.الخ. وكل من هذه الأعمال له علم يكشف لك عن حقيقته وينبئك عن غامض سره وأن تعلمك لأحد هذه العلوم لتنتظم في سلك العاملين في معرتك هذه الحياة لمن ضروريات البشر غير أني أحارو إلفالاتك إلى ما يدعوك إليه عقلك من التفكير دائمًا فيما يعقب الموت منبقاء والخلود لا إلى أمد لترتزوّد من هذه الحياة على حسب ما يريده الله منك حتى إذا ارتحلت إلى تلك الدار الخالدة تسكنها سعيداً فائزًا بنهائها الأبدي ولا أراك إذا راجعت عقلك النبيه وقبلت نصيحة تبقى فانياً في سبيل هذه الحياة الفانية معرضًا عيًّا يزورك لسعادة تلك الحياة الدائمة ولا أخالك بعد التبصر تهم بعلم الدنيا أكثر من اهتمامك بعلم الأخرى.

وأرجو أني وفتيك بما تقنع به من أن العقل يرى أن العلم المشر للسعادة الأبدية أهم من العلم المنتج للسعادة المؤقتة كما أرجو منه تعالى التوفيق لي ولكل لنيل السعادتين إنه خير موفق ومعين.



### توصيات الى طلبة كلية الفقه<sup>(١)</sup>

على طالب كلية الفقه:

١. أن يتحلى بالروح الإسلامية العالية التي تمثل في سلوكه مع الناس من الصدق والامانة والتواضع وحب الخير والايثار والعطف على الفقير وقضاء حاجة الناس واحترام اخوانه المؤمنين والابتعاد عن كل ما يتجرأ على مخالف التعاليم الإسلامية.
٢. أن يشعر بأنه يتحمل رسالة الإسلام في هذا العصر المنجرف بتيار اللادينية، فيجعل من نفسه نموذجاً صالحاً للمسلم الغيور على دينه وأمته، ولا يسلك داخل المدرسة وخارجها سلوكاً يتنافى مع هذه الرسالة حتى يمثل الانتساب إلى الأحزاب السياسية التي تتنافى منهاهجها مع تعاليم الإسلام.
٣. أن يتحلى بالروح العلمية الممتازة التي تمثل في حب البحث والمعرفة، والحرص على الاستفادة من أساتذته، والمواظبة على حضور محاضراتهم ودروسهم.
٤. أن يتحلى بالروح الطالبية الرفيعة من الشعور بالمسؤولية تجاه مدرسته ومتسببيها من طلاب واساتذة ومدرسين وموظفين، فيحرص على امتحان تعليميات المدرسة وانظمتها وتأديتها واجباته المدرسية، ويحرص أيضاً على الابتعاد عن العنف والقول الخارج.
٥. أن يتفهم رسالة الجمعية وكليتها حق الفهم، فيوجه نفسه ويعدها إلى القيام بأعظم واجب إسلامي وهو الارشاد وتبلیغ تعالیم الإسلام واشاعتها في أكبر عدد ممكن من المواطنين بجميع الوسائل الخيرة الممكنة.

---

(١) مجلة النجف السنة الخامسة العدد الأول جمادى الثانى / ١٣٨٢ - تشرين الأول / ١٩٦٢.



### رجل الدين<sup>(١)</sup>

يا رجل الدين

إنك لتكذب في ادعائك الإيمان، إذا كنت يائساً في إصلاح البشر، أو من قوتك على العمل للإصلاح ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فإن الله تعالى أودع في كل إنسان حياة متدرقة، وموهبة فياضة، ونفسًا جياشة، وضميرًا حيًا، لو استعملها كلها وهو مؤمن بنفسه خالص للحق، لبلغ الكمال اللاقى به في هذه الحياة، ولكان شيئاً مذكوراً.

ففيك القوة، وفي الناس العدة، والله تعالى من وراء القصد، فلا وجه للقنوط، ولا معنى للاستخzae والضعف فتقعد ملوماً مدحوراً والإنسان مخلوق يفيض ينبوغ بالحياة.

وما عليك إلا أن تستغل هذه الحيوية لنشر الفضيلة فأنت - يومئذ - الرجل.

(١) مجلة النجف السنة الثانية العدد الرابع عشر ١٩٥٨.

(٢) يوسف: ١٢؛ ٨٧.



## عصر الإفلاس الروحي<sup>(١)</sup>

أيها الإخوان:

لم يبلغ عصر من عصور التاريخ - ولو في خيال اهلها - ما بلغه العصر الحاضر عصر الكهرباء والذرة من التقدم في العلم والحضارة، ومن نافلة القول ان نقول ايضاً، ان تلك العصور الخواли لم تتأخر كما تأخر عصرنا في الأخذ بالمثل العليا والأخلاق الفاضلة، فهو بمقدار غناء الشري في الماديات اصبح فقره المدقع في الروحيات وهو كما يسمى بحق عصر النور يستحق ان يسمى أيضاً (عصر الإفلاس الروحي).

وهذا الإفلاس في الروحيات ليست تهمة تکال جزاً واماً يحتاج الى تدليل بل هو الواقع الذي لا مفر من الاعتراف به، ولا سبيل للهروب من مواجهته فمن كان يهمه حقاً اصلاح هذا الطيش المادي والابتعاد عن الدين والخلق العالى، فلا بد له من مقابلة هذه الحقيقة وجهاً لوجه والتسليم بها ثم البحث عن أسبابها قبل التفكير بالعلاج شأن كل مرض لا غنى للطبيب في علاجه من معرفة أسبابه.

إنه لأمر يكبر عن ان تتناوله اقلامنا بالبحث او يصل اليه تفكيرنا بالحل وهو مرض مزمن عالمي قد شمل الأرض كلها على تعدد بيئاتها واديانها وجرف الناس جميعاً على اختلاف طبقاتهم ونزاعتهم الا افراداً معدودين وهم في تناقض مستمر ولقد صار هذا المرض سمة النهضة الحديثة لا تفارقها كما لا تفارق الابتسامة شعر الفتاة اللعوب المرحة لتغري عشاقها وتوقع في الشرك فتيتها.

كما اني اعترف بالعجز عن التأثير على واحد من مائة من السامعين او قراء كلمتي

(١) مجلة الدليل العدد العاشر السنة الأولى النجف، شعبان/١٣٦٦ هـ توز / ١٩٤٧، ص ٤٩٢ - ٤٩٦.



في هذا الشأن فضلاً في ان اطمع في التأثير على العالم الإسلامي فكيف بالعالم كله، ولكن الحقيقة يجب ان تقال وتبث ما وجد سبيلاً للبحث ولو ليتأثر بها واحد من ذوي العقول الراجحة، وبه الكفاية لو قدر له ان يكون من القادة المصلحين.

أيها الإخوان:

ولا اكتتمكم اي لأتوصم في واحد منكم على الاقل من اعضاء المنتدى او اساتذته او طلابه ان سيكون من قادة الرأي الجبارين للنهضة الدينية المنتظرة وان كنت لا اثبته بعينه، واذا كنت لست اهلاً لهذه القيادة فان شرفي ان اكون قد لفت نظر هذا الجندي المجهول قائد النهضة الدينية في المستقبل الى بعض ما ينبغي ان يعلمه الآن.

على ان الذي يطبع مثلي في تناول هذا الموضوع العالمي الخطير أمران: (الأول) جزع الناس من ويلات الحرب العالمية الثانية التي هي نتيجة النهضة الحديثة فبدت حسرتهم على ان يتسبوا ولو بغضون من شجرة الروح عسى ان ينقذهم من موج بحر المادة الطاغي.

(والثاني) تحول الناس من عصر الكهرباء الى عصر الذرة هذا العصر الذي فضح تهويل الماديين في ادعاء خلود المادة وبقائها فانفلتت ذرة مادتهم وانطلقت في الفضاء طاقة قوتها الكامنة ساحرة بتخمينهم فانهار اعظم اساس بنى عليه المنكرون لوجود الخالق تعالى صرح ادعائهم بعدم فناء المادة.

وعلى كل حال إذا أردنا البحث عن اسباب تضعضع الروح الدينية في البشر فلعل أهم اسبابه الحرب الدائمة بين العلم والدين، وهذا ما يجب ان نعرف به بصرامة فكلما اخذ احدهما مكانه في النفوس انزاح خصمه وابتعد مغلوباً. وهذه الحرب ليست وليدة هذا العصر او الذي قبله بل تمتد الى ابعد العصور ففي صدر عصور الإسلام لما افتح باب العلم من اليونان وغيره شعر الدين في اهل نزول خصم له في الميدان فأراد الاتفاق

والصالح فانقلب الى الكلام والجدل فنشأ ما سموه (علم الكلام) علماً يعلن بالمخالفة والنزاع بدل ان يتوصل الى الصلح والاتفاق فلذلك عندما يتصر العلم يتضاءل أمامه هذا المعنى للصالح وقد وجدنا كيف عاد بالخيبة علم الكلام لما نضجت الفلسفة في العصور الإسلامية الوسطى... ومع ذلك فلم يخل حتى هذا العصر من يحاول التوفيق بين الخصمين وينشد الصلح بين المتأرخين من دون ان يكون له اثر محسوس يذكر.

اما لماذا هذه الحرب؟

وهل هذه الحرب حقيقة؟ اي ان الدين والعلم خصمان حقيقيان أم ان التخصص انما هو بين اهليهما خداعاً وجداً للوصول الى مأرب اخرى من اخضاع العامة لأحد الطرفين؟

فإن هذا هو الذي يستحق البحث وعدم اكتشاف هذه الناحية الخطيرة لعامة البشر هو الذي اوقعهم في هذا التبليل والخيرة، وهو علة العلل في هذا الداء الويل العالمي اليوم والذي يجر الى الابتعاد عن الدين عندما يشعرون ان الأخذ بأسباب العلم ومقتضياته ضرورة اجتماعية لا مفر منها، ولا سيما ان العلم يطلب الحق للحق وحده، وهذه ظاهرة امتاز بها هذا العصر خاصة بقوه لا مثيل لها في جميع العصور فكان للعلم - على ما هو عليه السلطان المطلق على الناس.

ولعل من حسن الحظ ان رجال الدين يتحمسون لدينهم فينكرون ان يكون للعلم الحقيقي اي مخاصمة مع الدين ليقللوا من غلواء حضورهم ويحاولون التوفيق بينها جهد الامكان، وكذلك رجال العلم لا يزالون عندما تشتد ظاهرة الخصومة. ويخشون التأثير على حريةهم في البحث يسلمون الدين ويرهبون على ان الدين الحقيقي لا يعارض العلم.

فيمكن للباحث حينئذ ان يستنتاج من دعوى الطرفين واعترافهما ايضا ان الدين



ال حقيقي لا يخاصل العلم الحقيقي وإنما الدين بما يصبح به من ظاهرة بسبب بعض رجاله بما يدخلون عليه او بسبب العادات الموروثة خارج الدين هو الذي يخاصله العلم او ان العلم المبني على التخمين والحدس والظنون الذي ليس له حقيقة مطلقة هو الذي يعارضه الدين.

والحق انه لم يثبت للعلم الى الان حقيقة مطلقة لا تقبل التعديل والتبدل تصلح لان تكون مناهضة للدين ولم يعرف الى اليوم ان حقيقة دينية ثابتة لا سيما في الدين الإسلامي عارضت بالصراحة حقيقة علمية مطلقة.

نعم ان النظريات العلمية منها كانت قيمتها عند حدوثها اذا كانت تخالف المألف او المعروف عند الناس تأخذ موجة من المعارضة، ولأجل ان تكون هذه المعارضة قوية فعالة تصطحب باسم الدين.

واذا استطاعت تلك النظريات ان تثبت للنقد والخصومة - وان كانت على خطأ - تصبح مألفة عند الناس من جديد وتخل محل النظريات او الآراء السابقة فتنسخها، والعجيب انها حينئذ يتلمس لها التأويلات من النصوص الدينية يصبغونها باسم الدين بعد ان كانت تعارض باسمه كما حدث ذلك فعلاً في نظريات الفلسفة اليونانية التي هجمت على المسلمين في العصور الاولى، ثم هذه النظريات التي تألفها الناس لو هاجمتها ايضاً نظريات جديدة ومكتشفات غير مألفة هبت لها نعرة المعارضة متذرعة بسلطان الدين، كان الاولى المتألفة هي التي جاء بها الدين إذا استقر التأويل عليها إلا ان هذه النظريات الجديدة لو ثبتت ايضاً للخصومة لابد ان تصطلح مع الدين إذ تصبح من المألفات فيلتلمس لها التأويلات من جديد...وهكذا دواليك ما ثبت الدين قائماً.

أيها الإخوان:

وكل هذا يدلّنا على ان الدين الحق شيء فوق مستوى العلم ولا يمس الا موضع



العقيدة من الإنسان لتربيته على المثل العليا وطلب الخير المطلق والسعادة الدائمة، ومن الخطأ أن نظن أنه يجب أن يساير العلم عند الناس الذي لا تثبت له حقيقة مطلقة وهو عرضة في نظرياته وآرائه للتبدل والتعديل سواء في علوم الطبيعة أم علوم الحياة والمجتمع ونحوها، ومن الخطأ أيضاً أن نلتمس التأويل في النصوص الدينية لتطبيقها على ما يتجدد من العلوم، وقد ينكشف بعد حين فسادها، ولذلك نهانا إيماناً بأن الله أعلم عن علم الكلام وشددوا النكير على المتكلمين وقالوا أيضاً: «إن دين الله لا يصاب بالعقول». كما يجب في ناحية العلم أن تتخذه آلة فقط للترفيه عن الحياة الاجتماعية وخداماً لمصالح البشر وإنما هدفهم الله تعالى إليه هذه الغاية لا يتتجاوزها إلى موضع العقيدة من الإنسان وما يتخذه الدين له من مثل عليا وأخلاق فاضلة فلعلم ميدان يجعل به وللدين ميدان آخر، وليس هذا لقصور الدين الحقيقي عن مسايرة العلم بل لقصور الإنسان في علمه أن يجعل في ميدان الدين فيكشف عن الحقيقة المطلقة في هذا الميدان فإذا اهتدى إلى شيء من أسرار الشريائع السماوية بفضل الله تعالى والدين خلق للحق المطلق وإذا لم يهتد إلى السر فليودع علم ذلك إليه تعالى.

وبهذا يقع التصالح بين ما نسميه العلم عندنا وبين الدين الحقيقي ولكن غيبة هذه الحقيقة عن أكثر الناس لا سيما الذين بهرهم تقدم العلم في هذا العصر من دون أن يكونوا من أهله سبب أن يعلن في نفوسهم الخصم بين العلم والدين، وقد قهرهم الأول بسلطانه فابتعدوا عن الثاني سافرين؟ على ما في ذلك من افلات من القيود واتباع للهوى والشهوات فضعف عندهم الواقع الديني وساد الانفاس الروحي.

ولا أشك أن علماء الغرب الراسخين يدركون منزلة العلم الحقيقة بل يدركون جهلهم بأسرار الكون، وإنهم لم يصلوا إلى الآن حتى إلى شاطئ المعرفة ولم يت肯وا حتى أسرار الطبيعة باعترافهم، وهم عليها، فلذلك هم أقرب إلى معرفة خالق الكائنات



من اتباعهم المتمسكون بأذىال علومهم.

ألا ترى إلى (مل肯) الشهير الذي قاس مقدار الشحنة الكهربائية على الكهرب  
الذي هو جزء من مئات الاجزاء الموجود في الذرة التي هي جزء من الجزء الذي يعجز  
عن رؤيته الجهر كيف يقول: (عرفوا المادة وانا اتكلف بتعريف الروح) على ان كفالته لم  
تخل من مبالغة بل فيها كل المبالغة، ولكنه يريد ان يقول أنا لسنا في تعريف الروح اكثـر  
عجزاً من تعريف المادة التي ندعـي معرفتها فهو منه اعتراف بالعجز عن معرفة اسرار  
الطبيعة فضلاً عما وراءها.

أيها الجندي المجهول:

لقد فرضتـك موجوداً بين الاخوان الحاضرين فيحلولي ان اخـصك بالخطاب وأرمـز  
لـك رمزاً الى ما استهدـفـه من مغـزـيـ، ان من الحقائق النفسية الثابتـة التي ايدـتها التجـارب  
في مختلف العصور والـعهـودـ ما تضمـنتهـ كلمةـ خـالـدةـ لإـمانـاـنـاـ الحـسـينـ ﷺـ: «الناسـ  
عـبـيدـ الدـنـيـاـ، وـالـدـيـنـ لـعـقـ علىـ السـتـهـمـ يـحـوطـونـهـ ماـ دـرـتـ مـعـاـيشـهـمـ فـاـذاـ مـحـصـواـ بـالـبـلـاءـ  
قـلـ الـدـيـانـوـنـ»ـ وهـكـذاـ قـلـ فيـ كـلـ عـقـيـدـةـ حـتـىـ هـذـهـ عـقـائـدـ الـتـيـ خـلـقـهـاـ عـصـرـ الـحـاضـرـ  
كـالـعـقـيـدـةـ الـوـطـنـيـةـ وـالـقـومـيـةـ وـلـيـسـ هـذـاـ مـاـ يـعـثـكـ عـلـيـ الـيـأسـ مـنـ النـهـضـةـ وـالـاصـلاحـ بـلـ  
هـيـ الـحـقـيقـةـ الـتـيـ يـجـبـ انـ نـسـكـنـ الـيـاهـ وـانـ تـبـنـىـ عـلـيـهـ الـنـهـضـةـ سـلـبـاـ وـاـيجـابـاـ فـاـذاـ فـهـمـناـ  
كـيـفـ تـرـبـيـ عـقـائـدـ وـتـغـذـىـ مـنـ هـذـاـ طـرـيـقـ الـمـرـمـوزـ الـيـهـ وـكـيـفـ تـبـطـلـ وـتـضـاءـلـ مـنـ هـذـاـ  
الـتـمـحـيـصـ وـعـلـمـنـاـ انـ هـذـاـ أـمـرـ طـبـيعـيـ فـيـ نـفـوسـ الـبـشـرـ نـسـتـرـيـعـ مـنـ الـأـلـمـ الـنـفـسيـ الـمـضـنـيـ  
عـنـدـمـاـ نـشـاهـدـ نـقـائـضـ الـبـشـرـ وـنـقـائـصـهـمـ وـيـزـيدـ أـمـلـنـاـ فـيـ الـاصـلاحـ الـمـمـكـنـ الـذـيـ لـاـ يـطـلـبـ  
اـكـثـرـ مـنـهـ فـيـ الشـرـايـعـ الـسـمـاـوـيـةـ اوـ الـمـذاـهـبـ الـاخـلـاقـيـةـ وـبـهـذـاـ نـكـتـفـيـ فـيـ الـاـشـارـةـ خـوـفـ انـ  
يـجـرـنـاـ الـكـلامـ إـلـىـ تـفـاصـيلـ لـيـسـ مـنـ حـقـهـاـ انـ تـذـاعـ.



### كيف نربّي الموهوب النفسيّة<sup>(١)</sup>

أودع الله في النفس الإنسانية قوة كامنة طبيعية يستطيع بها ان يفعل الاعاجيب ويأتي بخوارق العادات وووهبه من كنوز هذه الفعالية ما تكفيه لأن يسمو بنفسه الى الكمال ويعلو بها الى أعلى ما يطمح اليه من درجات التقدم والعلم.

ولكن من المؤسف جداً أننا نحن البشر لم نستخدم من هذه القوة الخارقة الا أقل القليل ولم نفتح حتى الآن من كنوزها التي لا تحمد الا الشيء النادر وما زالت عندنا هناك كنوز وقوى كثيرة اخرى مغمورة تحت انقضاض الاهمال مطمورة بالتهاون والكسل وللعادات الخبيثة التي تمركزت في نفوسنا الاثر في تأخيرنا من اقتناص الفرص التي تمكنا من فض اختمام تلك الكنوز من القوى الطبيعية فيها، والسر كل السر في تفوق النوايغ من البشر الذين استطاعوا ان يأتوا بما يميزهم عن سائر الناس انهم وقفوا الى اكتشاف كنوزهم اكثر من غيرهم واستغلوا قواهم الطبيعية بدرجة اكبر.

فليس هناك في الحقيقة رجال ناجحون متتفوقون ممتازون لأن طبيعتهم وموهبتهم متفوقة فقط وليس الخمول والاخفاق في الناس على الغالب لأنهم لم يوهبوا ما وهب أولئك من قوى وموهاب وإنما أولئك استطاعوا ان يثقوا بأنفسهم فوفقا الى استخدام قواهم وموهبتهم وهؤلاء فقدوا الثقة بأنفسهم فلم يستطعوا ان يستخدموا من قواهم وملكاتهم إلا الأقل التافه.

(١) اعتاد فضيلة الأستاذ المظفر أن يحدّث قسماً من طلّابه في اجتماعات خاصة أحاديث أخلاقية وقد استطاع الطالب النابه عبد الحليم البغدادي من طلّاب الصف الأول من الكلية أن يلخص بعض تلکم الأحاديث بقلمه وإلى قرائنا الكرام الحديث الأول منها.  
أنظر نشرة البذرة السنة الأولى العدد الأول ص ٧ - ٩.



أما في نفس تلك القوى العجيبة الكامنة فالناس على الاكثر فيها متقاربون فليس للمرء ان يستحق نفسه مهما كان خاماً ضعيفاً، ولا ينبغي ان يقف امام اولئك المتفوقين في الانتاج والناجحين في الحياة موقف العاجز مبهوتاً فيخيل الى نفسه ان الدرجة التي توصل اليها ذلك العقري الناجح لا يستطيع ان ينالها ويتوصل لأنها في مناط الشريا، في حين انه قد يكون في استطاعته ان يصل الى ارقي من تلك الدرجة العالية، وهو قد يملك اكثر من القوة التي يملكها ذلك الناجح، وما عليه الا ان يبذل جهداً أوسع وتضحيه اكبر من نفسه فيمرنها على العمل والجهاد في سبيل استغلال مواهبها الكامنة واقتناص الفرص التي تمكنه من فض اختام تلك الكنوز، فيبلغ درجة من الكمال والقوة التي لم يحلم بها.

نعم كذلك كل انسان يستطيع ان يبلغ المنزلة الكمالية التي يتوق اليها إن هو لم يختصر نفسه ولم يستخف بها ويسأس منها وصبر كثيراً على تربيتها وتعويدها.

ولا عجب فان الإنسان (خليفة الله في أرضه) ليستخدم موارد الطبيعة ويتحكم في اسرارها ويستغل خيراتها فهو ملك المخلوقات وسيدها لم تخلق في الأرض الا له ولنافعه.

وهل تدرى لماذا كان سيد المخلوقات وامتاز على سائرها وكان خليفة الله على مخلوقاته لا شيء سوى ما وله الله من قوة عاقلة مفكرة يستطيع بها ان ينظم اموره ويدبر حياته ويعلو على الطبيعة فيستحصل خيراتها ويستغلها لخدمته ومنفعته، فالقوة العاقلة في الإنسان هي الفاصل بينه وبين سائر المخلوقات وبها امتاز على غيره من البهائم فليس الإنسان في الحقيقة بهجة راقية بعض الحيوانات على البعض كما يدعوه البعض الذي قصر عن ادراك هذه الناحية في الإنسان، بل قصر عن ادراك قيمته الحقيقية، وانما الإنسان نوع اسمى يبعد كثيراً عن المخلوقات حتى استحق ان تسجد له الملائكة تعظيمياً



اذ قد تميز بقوته العاقلة المفكرة التي لها كل الفضل في توجيه قواه ومواهبه الاخرى وترويضها وجعلها قوة عامة لا تجاري.

ولو تدبر الإنسان في نفسه وما فيها من هبات الله من تلك القوى والمواهب لأحسن بعظمته وسمو منزلته ومكانته بين المخلوقات ولو عرف ذلك لما استصغر نفسه ولما دخله اليأس ونالته الصفة ولكن شيئاً مذكوراً وحصل على قسطه الذي يستحقه من الحياة ولعرف خالقه الذي أودع فيه هذه القوى العجيبة، نعم «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

فالنقض الحقيقي فيما هو جهلنا بقيمة انفسنا واستهانتنا بمواهبنا الطبيعية فتذهب حياتنا سدى في التوافة التي لم نخلق لأجلها وتضيع ساعاتها التي هي أثمن من كل شيء عندنا فيما لا يعنينا فنخسر قوانا الكامنة بل نخسر نفوسنا وأخلاقنا.

ومهمة (علم الأخلاق) إزالة ذلك النقض الحقيقي وتربية النفس الإنسانية على استغلال قواها وتزيكيتها وتهذيبها مما يفسدها ويميتها و يجعلها في صفو البهائم الخامدة التي ليس لها الا علفها وابشع شهوتها فعلم الاخلاق هو مفتاح كنوز النفس الذي يلهم النفس صلاحها وتقوتها وسيطرتها على مواهبها واهوائها ويعملها معنى الفضيلة وقيمتها ويعطيها لذة التضحية في سبيلها، وحاشا علم الاخلاق مما أصلق به الصالحاً من الدعوة الى الخمول والحنون وقتل مواهب النفس وتحبيذ الذل والمسكنة والضعف والضعف...



### مشكلة الدراسة الدينية<sup>(١)</sup>

ووجهت سؤالاً لطلاب « منتدى النشر » في أسبوع أسبق ليكتبوا عنه - بحكم المنهاج المقرر لكل أسبوع - عن مشكلة الدراسة الدينية هنا، وبالأخرى عن سبب تأخر حركة النجف العلمية التي كانت دائبة صباح مساء، والتي كنت تلمستها في النوادي العامة والخاصة، في الجماعات، في المدارس، في صحن الحرم العلوى، في البيوت، في كل مكان تجتمع فيه رجال الدين حتى في الطرقات وهم ذاهبون من ناد لآخر أو من درس لدرس.

يستطيع الملاحظ الذي شاهد النجف قبل عشرة أعوام - على الأقل - ويشاهدها اليوم، ان يدرك ظاهرة هذا البون الشاسع بين الأمس واليوم؛ وكيف كانت النجف كلها حركة علمية كأن ليس فيها الا دروس ومحاضرات ومذكرات، وكيف هي اليوم لا تحس منها بالحركة الا في بعض الجماعات والمدارس من نفر محدودين هم تراث العهد السابق.

ومن هذا المجهر يستطيع ان ينظر المرء الى الغد القريب كيف سيخدم فيه نبراس هذا الزيت - لا سمح الله - إذا لم يصمد المصلحون للخطر صمود الأبطال.

وبودي إلا يذهب فكر القارئ الى أبعد حد من معنى كلمة (التأخير)، فإن النجف لازال - بحكم قوة الاستمرار - تضم بين جوانحها عدداً غير يسير من علماء مجتهدين ومن طلاب لا همّ لهم الا ان يصلوا الى الدرجة من العلم التي يفرضها عليهم الواجب المقدس. مهما تعرضاً سيرهم من عقبات واتعاب ومن حوادث تأخذ من صبر الطالب بالختناق، وان صبروا فإنما يصبرون على جهاد نفسي عظيم، يعرفه من اندمج معهم

---

(١) مجلة الحضارة السنة الثانية العدد ٢١



واطلع على شؤونهم الشخصية التي قد تخفي على بعضهم من بعض، ولهم بذلك الشرف الخالد.

ولكن الشيء الذي يصح أن يسمى تأخراً أن الموجودين منهم - ونتمنى لهم طول الحياة والصبر - لا يزال الموت وفارار من لا يستطيع هذه المرض من الميدان يأخذان منهم بنصبهم الوافر، في حين أن أبناءنا لم يعودوا يتشجعون على انتهاء هذه الخطة، فلم نحتفظ بطلاب جدد يكونون خلفاً للسلف، ونصل بهم الحلقات المتسلسلة التي جاءتنا مستمرة من قرون الإسلام الأولى نتيجة للجهود المستمرة الجبارية.

وهذه هي المشكلة التي تذوب لها قلوب المخلصين جرعاً، والتي يعني بها كل من يهمه من أمر الدين الإسلامي أن يساير الزمن ويحتفظ بمكانته كدين له روحياته وأحكامه وتعاليمه. ولا شك أنها هو بحملته وحملة علومه ومعارفه.

قلت: إني وجهت سؤالاً إلى طلاب المنتدى (الشباب الروحي المتحفز) عن هذه المشكلة، وغرضي الأول أن أوجه بأفكارهم إلى هذه الناحية التي هي جديرة بالطالب الديني أن يفكر فيها قبل كل شيء، ليعرفوا واجبهم تجاه أمتهم ودينهم، ولি�شعروا بعظمه العمل المُلْقى على عواتقهم فانهم إنما يؤلفون حلقة من هذه السلسلة التي كانت ان تنقطع اليهم فتقف عند حدتها، وهم إنما يتحملون رسالة محمد ﷺ إلى أمته وهم إنما يحفظون للنجف الدينية العلمية مكانتها يوم يكونون رجال المستقبل الأكفاء. أما وقد تلقيت ردودهم في وقته، فلا اكتفى إني اغتبطت جداً بهمهم وعزائمهم على الصبر على هذا الجهاد العملي، فلم أرهم وجدوا سبيلاً لتأخر الحركة العلمية إلا بعد المسافة بين الطالب والغاية التي يحبون أن يصلوها بأقرب وقت؛ فلاحظوا تعقيد الكتب الدراسية وقلة المشجعات والمغربات تتقدم الطالب من امتحان وشهادة واجتياز صفوف معينة محددة.

ولاحظوا أيضاً الفوضى الموجودة في معاهدنا للدراسة الابتدائية من جهات



اخرى: فليس هناك ما يلزم الطالب باختيار الخطة المعينة من دراسة الكتب، وما عليه لو اهمل أحد الكتب الدراسية او انتقل الى كتاب اخر قبل ان يفهم أو يتم ما بيده. وليس هناك ما يلزمه أن يختار المدرس ذا الكفاية، أو لا يستطيع معرفة هذا المدرس او اقناعه على قبوله تلميذا. ومن يحتم على المدرس ان يقبل عدة تلاميذ كلا منهم لا يريد الا ان ينفرد بالدراسة؟ ومن يكفل بالمدرس او التلميذ ان يوازن على الوقت المضروب؟....

لا شك أنهم لمسوا مقداراً من هذه الفوضى إذا كانت تصح أن تكون سبباً لضعف الحركة العلمية. وجاؤوا صدى التذمر الذي يرتفع بين آونة وأخرى من رجالنا المفكرين ولم يفتقهم أن يشعروا جيداً بفقد الميزان الصحيح الذي يوزن به الطلاب النابهون من غيرهم إلاّ اختيار أهل العلم أنفسهم بعضهم لبعض اختياراً شخصياً. حيث يتحدثون ويذاكرون في دروسهم وفيما يشكل عليهم من المسائل التي تعترضهم. فيتعارفون ويميز أحدهم الآخر على قدر محدود وفي محيط خاص لا يتجاوز صدورهم او دائرة مجالسهم ونواديهم.

ولكن هناك سبباً جوهرياً عقidi في انه أول الأسباب لهذا التأخر. لعلهم لم يعاناوا آلامه وهم في مقتبل العمر. او انهم لا يجدونه عقبة لمن يدفعه واجب ديني لدراسة المعارف الإسلامية فلم يأخذوه بنظر الاعتبار.

أجد واضحاً أن هذه الكتب الدراسية وهذه طريقة الدراسة بعينها كانت متتبعة بالأمس. ولم تؤثر في عينها على رغبة الطالب وسوقه العظيم لتلقي هذه المعارف. فلماذا هذه الملل الان؟ ولماذا نترك او لا دنا لا يسلكون خطتنا. فنسلمهم الى الوظائف الحكومية او الى الاعمال الحرة؟ هذا ما سيأتيك في عدد قادم في الملتقي.



### واجب الرجل الديني<sup>(١)</sup>

أيها الطلاب الأعزاء، يا شباب الدين

نحن ابتلينا ان خلقنا في عصر طغت فيه المادة وذهبت القيم المعنوية والأخلاقية من بين الناس وتآثر المسلمون في أطراف المعمورة بالتيارات الحديثة التي بللت افكارهم وافسدة عليهم عقائدهم ونخرت في مبادئهم الدينية.

وهذه أمور أرادها المستعمرون من ابناء الحروب الصليبية اعداء الإسلام ليضعفوا من روحية المسلمين ويقهروهم بسلطانهم ويخضعوهم لإرادتهم وجبروتهم وهكذا كان.

وزاد الطين بلة ان الجهل الغاشم - من عصور طويلة - كان قد ضرب أطناه في ربوع الإسلام وعشعش في أدمغة رجالنا فكانت الأمة الإسلامية في اقصاها الى ادنها على استعداد لان تتقبل كل فكرة جديدة تبدو انها تنعش من روحنا الماتئة وتنهضنا من رقدتنا وسباتنا فذهبت سرعاً وراء اولئك المستعمرين على غير هدى وبصيرة بزعمانا نسعى للرقي والاستقلال والحرية وامثال هذه الكلمات الفارغة التي ماجنينا منها الا العبودية وفساد الاخلاق وضعف النفوس.

أقول: ابتلينا ان خلقنا في هذا العصر فأنا نشعر حقاً بانا مسلمون كما نزعم فإن

(١) جواب السؤال الذي وجهته لجنة المجمع الثقافي الديني ل منتدى الشيخ للمظفر وكان الآتي:

أمن الصحيح أن نتّخذ انتشار فساد الأخلاق واللادينية والعجز عن الإصلاح عذرًا لنا عن العمل في سبيل الدين وما هو واجب الرجل الديني في هذا العصر؟

البذرة السنة الأولى العدد السابع في ١ / محرم / ١٣٦٨ - ٣ / تشرين الثاني / ١٩٤٨ .



نبينا الاعظم ﷺ قال «من بات ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم» ثم يقول «ان الله تعالى يبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له» فقيل له ومن المؤمن الضعيف الذي لا دين له فقال «الذي لا ينهى عن المنكر».

يا أعزائي:

ونحن زمرة بصرنا الله عز وجل - والحمد لله - وأعدنا لنكون (رجال دين) فنحن أولى الناس جمِيعاً ان ننهض بأعباء هذه المسؤولية الكبيرة التي تعجز عن حملها الجبال الرواسية ولكن لا تعجز عن حملها الرجال وفي البشر قوة اودعها الله فيهم لا نعرف متهاها ولا تبلغ الى حد محدود، وهذه الغاية التي اشرت اليها لئن كانت عظيمة وخطيرة فانا لا نعذر في التقصير عن السعي اليها وان كان الطريق طويلاً وشاقاً وجهم منا ان ن Yas ونتكاسل فأن الله تعالى يحاسبنا يوم القيمة على تقصيرنا والأشياء كلها انما تتم للإنسان بالسعي المستمر وبالدرج اليها خطوة خطوة، بعد الاستعانة بالله تعالى ثم توفيقه الذي لا يدخل به على عباده العاملين ﴿وَالَّذِينَ جَاهُدُوا فِيمَا لَهُنْ دِينٌ نَّهَيْنَاهُمْ سُبُّلَنَا﴾ فأول واجباته ان نسعى ليل نهار لتهذيب انفسنا من مساوىء الاخلاق ودرن المعاصي فلا نكذب ولا نستغيب ولا نهاري ولا نداهن ولا نرائي ونتجنب المنكرات والظلم والعدوان حتى تكون مقتدى للناس هاديين مهديين.

وثاني واجباتها ان نتحلى بالعلم والمعارف لنخلق من أنفسنا بتوثيق الله تعالى رجالاً اكفاء هذه العصر ذوي ألسنة بلغة وأقلام مؤثرة ثم بعد ذلك لو انتشرنا في الأرض كما أمرنا رب العزة لهدایة الناس وتهذيبهم فان الواحد منا اذا كان لا تأخذة في الله لومة لائم يستطيع ان يشل أمة بكمالها من سقطتها ويثبت فيها روح القوة الإسلامية وليس على الله تعالى بعزيز ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ فإلى التضحية الى الجهاد الى الخلود يا شباب الدين.

# **السنّيون والشيعة**

على طاولة الحوار

بين

المجتهد المجدد الشيخ محمد رضا المظفر

والدكتور أحمد أمين (المصري)



## توطئة

### النجف الأشرف مدينة الحوار والمناظرة

لابد من معرفة أن ولادة الحوار والمناظرة سبقت خلق الإنسان وكانت لأجله بناء على إرادة ربانية تحكي جبلاً المخلوق الذي أكرمه الله لينطلق اهابه في طبيعة ذهنيته التي لا تنفك تختلف في حدود التفكير بين أبناء الجنس البشري منذ بدء الخليقة حيث ولد الإنسان وهو يحمل هذه السجية قال تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذِلِكَ خَلَقَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وخير ما يدل على ذلك (أن الإنسان لا ينفك عن خلاف ومنازعات بينه وبين غيره من أبناء جلدته في عقائده وآرائه من دينية وسياسية واجتماعية ونحوها فتألف بالقياس إلى كل وضع طائفتان: طائفة تناصره وتحافظ عليه، وأخرى تريد نقضه وهدمه وينجر ذلك إلى المناظرة والجدال في الكلام فيلتتس كل فريق الدليل والحجة لتأييد وجهة نظره وافحاماً خصميه امام الجمهور).<sup>(٢)</sup>

وإذا اتضح لنا ان المشيئة الربانية قضت بحرية الاختيار من اجل ان ينبع الاختلاف

(١) هود:١١٨ - ١١٩.

(٢) كتاب المنطق للشيخ محمد رضا المظفر ٣: ٣٣٢، ٣٣٣. ويضيف ملماً... نستطيع أن نحكم بأنه يجب لكل من يهمه المعرفة وكل من يريد أن يحافظ على العقائد والأراء أية كانت أن يبحث عن صناعة الجدل وقوانيينها وأصولها. والمتকفل بذلك هذا الفن الذيعني به متقدمو الفلسفة من اليونانيين وأهمهم المتأخرون في الدورة الإسلامية إهمالاً لا مبرر له عدا فئة قليلة من أعظم العلماء كالرئيس ابن سينا والخواجة نصير الدين الطوسي إمام المحققين.



وهو من المظاهر الإيجابية للإرادة الإنسانية وما يصدر عنها في الرأي مقابل الرأي الآخر فيستلزم - عندئذ - الإدراك والوعي لعدم دلالته على التنافر والقطيعة بل بالتوافق الم محمود لفهم حقيقة الحوار والمناظرة انطلاقاً من حقيقة اليمان القائم على المحبة الصادقة والتزام ثوابت العقيدة والشريعة التي امر الله بها حيث قال: ﴿وَإِذْكُرُوا نَعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾<sup>(١)</sup>. قوله عز اسمه ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٢)</sup> وما ورد بتأثير النبوي «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة، قالوا: بلى يا رسول الله قال: اصلاح ذات البين فان فساد ذات البين هي الحالة والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا».

ولما تقدم نقف على أهمية بناء الشخصية الإنسانية في ضوء المنهج القرآني وترشيد دورها في المساهمة بإرساء قواعد المجتمع القويم وتطلعته نحو الخير والتوافق وخلق فرص السعادة والتفاهم باطار المحبة والابتعاد عن التأسلم بالحقد والكراهية.

إن الحوار والمناظرة علم وفن ومنهج يحتاج إلى صقل الموهب والقدرات والاستفادة من المهارات والخبرات الفكرية والنقاشية بما ينفع المصلحة العامة و يجعل من المحاورقة نقداً إيجابياً وهدفاً اصلاحياً باحترام الرأي الآخر محل المناقشة والخصوصية الفكرية ولذلك يتطلب فن المناظرة وال الحوار بمعايير موضوعية وبطرق تعليمية

(١) آل عمران: ٣: ١٠٣.

(٢) التحل ١٦: ١٢٥ . في هذه الآية الكريمة وآيات أخرى نكتشف المعالم العامة للمنهج القرآني في المناظرة وال الحوار والجدال الذي ينبغي أن يتم بالقول للدين الرقيق من غير غلطة ولا تعنيف بل بالرفق وحسن الخطاب وهذا الاتجاه يمثل تحطيطاً قرآنياً يؤسس لأصول التنمية البشرية، مضت على سبيله مسيرة الأنبياء والرسل والأمم السالفة قال تعالى ﴿وَلَا تُحَاوِلُوا أَهْلَ الْكِتَابَ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ العنكبوت ٢٩: ٤٦ ، قوله تعالى ﴿فَقُولَا لَهُ فَوْلَا لَنَا لَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ طه ٢٠: ٤٤ ... فيما أمر الله به النبي موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون.



متطرفة خصوصة تتجه صياغة معايير رصينة لتعزيز قنوات التواصل للإبداع الفكري.

إن عملية إنقاذ حياة المجتمع الإنساني اليوم من محتته الفكرية المعاصرة لا تتم إلا بـها نسمو اليه في تأصيل القيم الحضارية للحوار<sup>(١)</sup> والاحترام المتبادل والتسامح والدفاع عن الرأي واحترام الآخر بغية استثمار الطاقات الخلاقة والتأكد على زرع الثقة ب بحيث أصبح الحوار الأسلوب الأمثل المتميز في الحياة التي يطمح لها الإنسان في مسيرة تكامله ورقيه وتطوره.

يضاف إلى ذلك بأن للحوار آدابه وقواعد واسلوبه وغایاته وقد تطورت الدراسات بتصده - خاصة في واقعنا المعاش اليوم - إلى مستوى الدراسات الأكاديمية والندوات والمؤتمرات المنعقدة إقليمياً ودولياً بل أصبح مدار البحث فيه بعنوانه أحد العلوم المعدة للتخصص العلمي لأهميته من حيث الحاجة اليه في عالم الإنسان المعاصر في مجالات الحياة كافة الدينية منها والتاريخية والاجتماعية والوطنية والسياسية وغيرها.

ولا شك ان للتقدم العلمي والتكنولوجيا الحديثة للمعلومات وهيمنة الانترنت على الجانب المعرفي للعقل الإنساني وظاهرة العولمة والدعوة نحو الحداثة - دون ترشيد - كل ذلك كان له الأثر البالغ في الانفتاح على مسألة التواصل كما بعد أساساً لتحقيق عالم التواصل وتحقيق التوازن بين استقلالية الإنسان ورغبته في مشاركة الآخرين والتفاعل معهم، بل حرية التعبير لمن يشاء وبما يشاء - دون ان تحكمه قدسيّة الكلمة أو تردعه الضوابط الأدبية والأخلاقية أحياناً - ومع ذلك لا يغنينا عن القول ان الحوار الإيجابي قد بلغ بالاهتمام به قيمة عليا تمثل قياساً لتقييم مستوى الواقع الفكري والمدى الحضاري لكل امة من الأمم.

(١) الحوار من الحور يقال حاورته بمعنى راجعته الكلام ويقصد بالمحاورة لغة: المجاوبة والمجادلة والمراجعة. وأما اصطلاحاً فهو: تداول الكلام بين شخصين أو فريقين بشأن موضوع أو هدف محدود بنية الوصول إلى الحقيقة بعيداً عن الخصومة والتعصب.



وفي إطار ما يخص هذا البحث نكتشف مكانته وامتداده في العالم الإسلامي باعتباره يختضن خير أمة أخرجت للناس بامتيازها أمة القرآن كتاب الحوار الخالد الذي أسس قواعد المثل الرفيعة وتجسدت فيه قواعد أخلاقية التشريع لتحقيق الغاية من عدالة الأحكام ومارسه الأنبياء والرسل والائمة الكرام والعلماء الصالحين ونجده بينات من الهدى والفرقان في سور وآيات من الذكر الحكيم وتأسيا بسيرتهم المثلث سطرت مدونات وكتب وقامت صروح من القواعد والأسس تقوم عليها بنية المجتمع في مهمة التغيير والإصلاح والتهذيب للسلوك الإنساني، والإادة التي تنبثق منها داعية التوحيد الديني والعرقي والمذهبي نحو التعايش والرؤى الخيرة.

لقد حفلت مدرسة أهل البيت ﷺ وأتباعها عبر تاريخها منذ الصدر الأول للإسلام بالعناية والاهتمام على إقامة صرح الفكر الإسلامي وصيانته من النظرة الضيقة والتزعزعات الشخصية والطائفية وإقرار حقيقة الأمة الواحدة التي دعا إليها الإسلام في المجتمع القرآني الذي طمح إلى بنائه وتكوينه امثلاً لقوله تعالى ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن حيث كانت الوحدة الإسلامية من أهم ما ورثه المسلمون من ثمرة الآیات بالإسلام ومبادئ التوحيد.. فقد كان بدء الخلافات بين المسلمين كانت مبكرة وعنيفة إلى حد ما اورتها، وساهمت على تشجيع هذا التيار فئات تحمل العداء التقليدي للإسلام تلونت في صورها واساليها عبر تاريخنا الغابر والحاضر إلا أن حصيلة الخلاف يمكن ان تقف عند حدود معينة من القطعي والظني في الشريعة الإسلامية وهو ما يدعو الى معرفة الانصاف والالفة وذلك لأن مدار «النزاع في جميع المسائل الخلافية صغروي في

---

(١) الأنبياء ٢١: ٩٢. أنظر السيد عبد الحسين شرف الدين، رسالة إلى المجمع العلمي العربي بدمشق: ١٥.

الحقيقة ولا نزاع في الكبوري عند اهل النظر ابداً<sup>(١)</sup>، و«الاتحاد سجايا وصفات واعمال وملكات.. ان يتبدل المسلمون المنافع ويشركوا في الفوائد، وان التثبت واجب قبل الحكم وقد ارنا الله به لئلا نصيّب قوما بجهالة فنصبح على ما فعلنا نادمين».<sup>(٢)</sup>

وقد كان للشيعة الإمامية اقتداء بسيرة ائمتهما الاطهار عليهم السلام مواقف جليلة في حفظ كيان الامة المسلمة فيها تجسد على واقع الفكر والعقيدة وما تضمنته مصنفات الإمامية في الفقه والعلوم الإسلامية بما يقدم التجلة والتقدير بل المساهمة الجادة في رفد حركة الدراسات المقارنة بغية خدمة قضية الإسلام العليا في رص الصفو وجمع الكلمة والتماس أسلوب عدم التعرض للأخر والأمثلة جلية للعيان في تراثهم المشهور والمنشور أمام الأنظار منذ معاصرتهم لأئمتهما عليهم السلام وامتداد المسار إلى عصر الغيبة ويومنا الحاضر حسبنا بذلك ما صنفه أعلام الطائفة كالشيخ المفيد والسيدين المرتضى والرضي والشيخ الطوسي والعلامة الحلي وغيرهم من أساطين العلم ناهيك عنـا قدمـه هؤلاء الأفذاذ عنـا الحوار والمناظرة العلمية معـ أعلام الأديان أو الفرق الضالة والمذاهب الإسلامية معـ الحفاظ علىـ الأسلوب الحضاري الملزـم بالـدعة والـعاطفة الرقيقة والـطرح الموضوعي الذي لا يفسـد بالـورد قضـية.

إن المذهبية الإسلامية<sup>(٣)</sup> وهي ظاهرة طبيعية ولدت نتيجة التطورات السياسية والفكرية والتحولات الاجتماعية والاقتصادية وهي لا تمثل حقيقة مجردة الا اذا كان

(١) المصدر السابق.

(٢) الإمام الشیخ محمد الحسین کاشف الغطاء، کیف یتّحد المسلمون، التثبت قبل الحكم، مجلہ رسالۃ الإسلام، نشر دار التقریب القاهرۃ.

(٣) المذهب الفقهي اصطلاح ظهر خلال القرن الرابع الهجري بعد تمیز المذاهب الفقهية وهو عند الفقهاء الاتجاه الفقهي في فهم أحكام الشريعة الإسلامية والطريقة التي ينهجها المجتهد أو عدد من المجتهدين في الاستنباط وكيفية الاستدلال والفروع التي تضاف في ضوء أصول المذهب.



ظهورها يعني بالجوانب الإيجابية للرؤى الفكرية وتعددية الاختيارات في ظل مجتمع تجمعه وحدة العقيدة والثقافة.

والسبب بذلك تأخر ظهور المذاهب فلم يشهد العهد الاموي ظهور مذهب فقهى معين بل كانت مرحلة مخاض انتجت بروز مدارس فقهية تحول البعض منها الى مذاهب برغبة من الحكام العباسيين وبذلك فان ظاهرة المذهبية انطوت على بعد سياسى لأن أجهزة الحكم كانت تدعم مذهبا وترغم الآخرين على اتباعه والحقيقة المرة ان أئمة المذاهب طالبهم المعاناة ولقوا العنت والأذى<sup>(١)</sup>.

وفي كل ما نستقرئ من صفحات تاريخ الأمة الإسلامية تتجسد الصورة المشرقة لدور أهل البيت ﷺ في صيانة المبادئ الإسلامية الخيرة الداعية الى جمع الكلمة ورأب الصدع ومحاربة الفرق والحركات المنحرفة عبر جهود مضنية تلونت بالتضحيه والبذل بالدم والعطاء الفكري وتشييد معالم الاخوة بين المسلمين واحترام قواعد التعايش والسلام مع غيرهم من الطوائف والملل والأديان.

وقد استنار بمنهج أهل البيت ﷺ شيعتهم ونهض علماء الطائفة فدونوا مصنفاتهم الفقهية وأضافوا آراء المذاهب الإسلامية التي ربما اتفقا معها او تناوروا بتصددها وناقشوها بروح علمية موضوعية ففتحوا آفاقا تؤسس للفقه المقارن في أحکام الشريعة الإسلامية ومصداق ذلك ما نقرأه في مصنفات الشيخ الطوسي ومنها كتاب الخلاف والعلامة الحلي في كتابه التذكرة<sup>(٢)</sup> وجل علمائنا إلى اليوم الحاضر اعتقادا منهم

(١) أنظر الخطط المقرizable ٢: ٣٤، د. أحمد أمين، ظهر الإسلام ٤: ٩٦، مناقب الشافعى ٥٢٤، تذكرة الحفاظ ١: ١٧٦، أسد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربع ١: ١٤٧ - ١٦٤، ١٥٨: ٢.

(٢) توقفت لجنة المجمع الثقافي الديني لمتدى النشر لتحقيق بعض اجزائها ونشر منها في حينه جزءان كبيران.

ان قضية السنة والشيعة هي قضية ایمان وعلم<sup>(١)</sup> وقد تهأّت الظروف للطائفتين في بحر القرن الماضي للاتفاق والاجتماع على مودة لرعاية الاخوة وصيانة المبادئ والمصالح المشتركة وانعقاد الندوات والمؤتمرات كمؤتمر القدس عام ١٣٥٠ الذي دعي إليه من النجف الإمام الشیخ محمد الحسین کاشف الغطاء<sup>(٢)</sup> ولما حضر المسجد الأقصى دُعى للخطابة والصلوة بجميع المشارکین في المؤتمر آنذاك طيلة أيام المؤتمر مساعی الإمام السید عبد الحسین شرف الدین الحوار الذي جرى بيته وبين الشیخ سلیم البشیری شیخ الجامع الأزهر وأودعه بكتابه المراجعات وبعدها كانت جهود وجهود منها تأسیس دار التقریب في القاهرة وإصدار مجلة رسالة التقریب وتقدّمت مساعی کریمة من لدن علماء الشیعة الإمامیة متمثّلة بمرجعیات کبری من أعلام الدین في النجف وبما يقابلها من الأزهر الشریف إصدار القرار بتدریس الفقه الجعفری.<sup>(٣)</sup>

وما عرضناه بشأن التقارب لم يكن يبلغ غایته لولا إقرار مبدأ الحوار الموضوعي أساساً للتقریب الذي يمكن تقسيمه الى اقسام بحسب موضوعه كالحوار العقائدي والحوار الفقهي والحوار الادی والحوار الإعلامی والحوار السياسي.... الخ ولاشك ان كلّا من هذه الحوارات اذا تحققت في آدابها المرعية فإنّها تبلغ الغایة في الحیوية والعزيمة

(١) كما أشار الى ذلك الشیخ الباکوری ووزیر الأوقاف المصري في تقديمته لكتاب المختصر النافع للمحقق الحلی المطبوع بمصر على حد قوله: «فاما قضية علم فان الفرقین یقینان صلتهما بالإسلام على الإیمان بالله وسنة رسوله ویتفقان اتفاقا مطلقا على الأصول الجامعة في هذا الدين - فیها نعلم - فان اشتجرت الآراء بعد ذلك في الفروع الفقهیة والتشریعیة فأن مذاہب المسلمين كلّها سواء في ان للمجتهد أجره أخطأ أم أصاب..... وما انها قضية ایمان فاني لا أحسب ضمیر مسلم یرضی بافعال الخلاف وتسعیر البغضاء بين أبناء أمة واحدة.....» الى آخر ما ذكره وتوصل ان السبب هي السياسة

(٢) وكانت له خطبة رائعة منها کلمة ذهبیة قوله قدس سره: «بني الإسلام على دعامتین کلمة التوحید وتوحید الكلمة».

(٣) الحديث بهذا الصدد لا يستوفی بهذه المقدمة الوجیزة.



## لتابع المسار اللاحب والقناعة المرضية.

ومن هذه الحوارات الإيجابية ما دعا إليه سماحة الشيخ المظفر في مطارحات له مع الدكتور أحمد أمين<sup>(٤)</sup> على صفحات مجلة الرسالة المصرية إلى عقد مؤتمر عام يضم كبار علماء المسلمين ليبحثوا بروح موضوعية جملة نقاط الخلاف بين المذهبين وهو واثق أن مثل هذا المؤتمر سيأتي على اكثراها حتى وما يتبقى منها سوف لا يكون بعد ذلك مثارا لاختلاف القلوب وما أكثر ما يختلف المجتهدون ويتفقون على احترام بعضهم بعضا ولبيق الشيعة شيعة والسنّة سنّة بعيدا عن أحبائل السياسة.

وبالختام اذ نقدم (السينيون والشيعة على طاولة الحوار) فإنما نطبع في ضوء ذلك بيان حقيقة المدرسة النجفية وهدفها السامي في جمع الكلمة على البر والتقوى، وحيث نقدم للحوار المظفرى مع أحمد أمين سنقرأ كذلك استحسان كبار علماء الطائفتين بمشاركةهم التي كان لها الأثر في إغناء المناقضة التي طافت بين بلدان المشرق الإسلامي العراق وسوريا ومصر وفي ذلك من الدلالات الخيرة بما انعكست به حرية التعبير

(٤) - وعند مطالعتنا لمذكراته التي أصدرها بعنوان (حياتي) نجده يذكر مaily: ولما أخرجت كتاب (فجر الإسلام) كان له أثر سيء في نفوس كثير من رجال الشيعة وما كنت أقدر ذلك لأنني كنت أظن أن البحث العلمي التاريخي شيء والحياة العلمية الحاضرة شيء آخر، ولكن شيعة العراق والشام غضبوا منه وألغوا في الرد عليه كتابا ومقالات شديدة اللهجة لم أغضب منها.

ولما لقيت شيخ الشيعة في العراق الأستاذ آل كاشف الغطاء عاتبني على ما كتبت عن الشيعة في (فجر الإسلام) وقال: اني استندت فيها كتبتي على الخصوم وكان الواجب أن استند إلى كتب القوم أنفسهم وقد يكون ذلك صحيحا في بعض المواقف، ولكني لما استندت على كتبهم في (ضحى الإسلام) ونقدت بعض آرائهم نقدا عقليا نزليها مستندًا على كتبهم غضبوا أيضا.

والحق أني لا أحمل تعصباً لسنة ولا شيعة، ولقد نقدت من مذاهب أهل السنة مالا يقل عن نceği لمذهب الشيعة وأعليت من شأن المعتزلة بعد أن وضعهم السنيون في الدرك الأسفل احقيقاً لما اعتقادت أنه الحق.



الديني والفكري لنستخلص منها العبرة في تقويم مسيرة التأخي الإسلامي والمحبة في

الله وشاعرنا يردد:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسّرا  
وإذا افترقن تكسّرت آحادا  
وصدق الله في ذكره الحكيم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(١)</sup> والحمد له أولاً وآخراً.

محمد جواد الطريحي

---

(١) الحجرات . ٤٩ : ١٠ .



## ترجمة الشيخ أبي عبد الله الزنجاني

عالم ديني متعدد واسع الأفق الفكري، ساير العصر الحديث، ووفق بين الأحكام القرآنية والشريعة المحمدية مع النظريات الحديثة والمخترعات الجديدة والأفكار المتطرفة والأراء المتحرّرة؛ وجمع بين العلم والدين في صعيد واحد وسار شوطاً بعيداً في التقرّيب بينهما متبعاً في ذلك خطوات من سبقه من المصلحين والمجددين الإسلاميين في القرنين الأخيرين كالمصلح السيد جمال الدين الأسد آبادي الشهير بالأفعاني، والإمام الشيخ محمد عبده المصري، العلامة السيد محسن الأمين العالمي، والمجتهد السيد هبة الدين الحسيني الشهيرستاني.

كل ذلك محاولة منه ومنهم في أن لا يبقى المسلمون في مختلف أقطارهم متأخرين عن ركب الحضارة الحديثة.

هو: العلّامة الشيخ أبو عبد الله الزنجاني بن شيخ الإسلام الميرزا نصر الله بن الحاج ميرزا عبد الرحيم بن نصر الله بن محمد بن علي.

وقد كان والده شيخ الإسلام الميرزا نصر الله أحد الرؤساء الروحانيين بمدينة (زنجان) من أمّهات مدن إيران الواقعة شمال غربي طهران في منتصف الطريق بين طهران وتبريز، تلك المدينة التي كان ولا زال لأفراد هذه الأسرة المقام المرموق والكلمة المسموعة فيها، خاصة وأن مشيخة الإسلام قد انحصرت فيهم منذ أكثر من قرن.

ولد المترجم سنة ١٣٠٩ هجرية في زنجان، وتربي في حضن والده في طفولته تربية عليها حالة من العلم والفضل والأدب، وبعد أن شبّ عن الطوق اتّصل بالحوّزات العلمية في مسقط رأسه، وتلقى العربية وأوليات الفقه والأصول فيها، ثم التحق بحوزة



الأستاذ الفيلسوف والحكيم الإلهي الميرزا إبراهيم الفلكي في طهران، فتلقى عليه الفلسفة والكلام والرياضيات وتخرج عليه، كما درس برهة من الزمن في طهران في مدرسة (سن لونئي)، ثم يمم النجف الأشرف مع شقيقه الأكبر العلامة الميرزا فضل الله شيخ الإسلام الزنجاني حيث درسا هناك في كلية العلوم العالية على كبار المجتهدين، وحضرأ حوزاتهم الاختصاصية، وحصل على شهادات الاجتهد والرواية منهم، ثم عادا إلى زنجان.

ومن الشهادات التي حصل عليها المترجم إجازة الرواية عن العلامة السيد حسن الصدر الكاظمي، وعن العلامة السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي، وعن السيد محمد بدر الدين بن يوسف الدمشقي، كما أنه نال شهادة الاجتهد من العلامة السيد أبي الحسن الأصفهاني والعالمة السيد هبة الدين الحسيني الشهريستاني، والعالمة السيد محمد الفيزرآبادي، والعالمة شيخ الشريعة الأصفهاني، والعالمة الشيخ عبد الكريم الحائرى.

وبعد أوبته إلى زنجان ومكوثه مدة قصيرة فيها قام برحلة في البلاد العربية، حج فيها بيت الله الحرام وزار مدينة الرسول ﷺ، وساح سوريا وفلسطين والعراق، وزار القدس والقاهرة وبغداد واجتمع فيها بخيبة كبيرة من علمائها وأدبائها ورجال الفكر فيها، واستطاع خلال هذه الرحلة التي استغرقت أكثر من سنة في عام ١٣٤٣ هجرية أن يطبع بعض مؤلفاته وكتبه ورسائله التي كان قد دبجها باللغة العربية قلمه خلال الفترة الواقعة بين ختام دراسته العالية في كلية النجف وقيامه بهذه الرحلة الطويلة، كما قام برحلة سياحية أخرى إلى القاهرة في أوائل عام ١٣٥٤ هجرية اجتمع فيها ضمن من اجتمع بهم العالمة الفقيه مصطفى المراغي رئيس جامعة الأزهر، والمغفور الدكتور عبد الرحمن شهبندر، والعالمة عبد الوهاب عزام أستاذ اللغة الفارسية في جامعة القاهرة،



ثم السفير المصري في كثير من البلدان الشرقية وأخرها الهند.

وفي عودة المترجم من القاهرة إلى طهران حمل لي معه هدية ثمينة، من الأستاذ عبد الوهاب عزام كذكرى معرفتي به في مؤتمر الفردوسي في طهران ومشهد حينما مثل وطنه مصر فيه سنة ١٣٥٣ هجرية هدية لا زلت معتزاً بها هي كتاب: (تعريب ملحمة الشاهنامه) للفردوسي من ترجمة قوام الدين الفتح ابن علي البنداري الاصفهاني، ومن طبع وتصحّح وتعليق العلامة عبد الوهاب العزام، وحيث أنه أرسل لي تلك الأمانة من زنجان بعد وصوله إلى طهران، فقد كتب بخطه الوسيم تحت عبارة إهداء العلامة العزام ما نصّه: (سيدي العزيز الشهريستاني واجب الود دعاني أن أحمل إليك هذا الكتاب وجزئه الثاني مع تحية مهديّة، مشفوّعاً بتحياتي الصميمية، والسلام. الداعي: أبو عبد الله الزنجاني: ٢٨ / ج ١ / ٣٥٤).

أمّا الكتاب فمطبوع في القاهرة سنة ١٣٥٠ هجرية - ١٩٣٢ م على ورق مصقول وبحجم كبير و٦٣٣ صفحة بجزأين.

وكان المترجم عضواً في بعض المنتديات والجمعيات العلمية والأدبية في إيران والبلدان العربية، منها: المجمع العلمي العربي بدمشق، وعيّن في أواخر أيام حياته أستاذاً للتفسير والفلسفة في كلية الاهليات والعلوم الإسلامية بجامعة طهران.

وللعلامة الزنجاني مؤلفات تتجاوز عدد أصابع اليد، بعضها مطبوع وبعضها لا زال مخطوطاً، منها التي رأيتها لديه وأهداني إليها في بعض زياراته لطهران أواخر أيام حياته، هي:

١. تاريخ القرآن: طبع مصر سنة ١٣٥٤ باللغة العربية.

٢. أصول القرآن الاجتماعية: باللغة العربية - لا زال مخطوطاً.

٣. كتاب الأفكار: إسلامي فلسفياً اجتماعياً - لا زال مخطوطاً.



٤. كتاب دين الفطرة: باللغة الفارسية – لا زال مخطوطاً.
  ٥. كتاب سر انتشار الإسلام: باللغة الفارسية – لا زال مخطوطاً.
  ٦. شرح رسالة نصير الدين الطوسي فيبقاء النفس: باللغة العربية – طبع في القاهرة.
  ٧. رسالة في قاعدة إغريقية الأصل الواحد لا يصدر عنه إلاّ الواحد: قرظها أستاذه العلامة الشيخ الشريعة الأصفهاني.
  ٨. الفيلسوف الفارسي الكبير صدر الدين الشيرازي: حياته وأهم أصول فلسفته – باللغة العربية، طبع بدمشق، وهي: أطروحة كتبها بمناسبة انتخابه عضواً مؤزراً للمجمع العلمي العربي في دمشق.
  ٩. ترجمته للفارسية بحث الفيلسوف الانجليزي (توماس كاريل) عن النبي الأعظم محمد بن عبد الله عليهما السلام، مقتبس من كتابه: الأبطال – طبع في تبريز.
  ١٠. رسالة (طهارة أهل الكتاب): باللغة العربية – طبع في بغداد سنة ١٣٤٥ هـ. وأحدث ضجة لدى الأوساط المتعصبة في العراق وإيران، وانتقده الكثiron وردوا عليه برسائل طبعت في حينها لأن المؤلف (رحمه الله) رجح فيه بالأدلة التقليدية الرأي القائل بظهورهم، ودحض الرأي الذي تتضمن نجاستهم.
- أمّا سبب تأليفه لهذه الرسالة – كما يقول المؤلف في مقدّمتها – فهو ما لقيه من العسر في الباخرة التي كانت تقلّه من السويس إلى جدّة في رحلته إلى الحجاز لأداء فريضة الحجّ عام ١٣٤٢ هـ، لأنّ أغلب عمال الباخرة كانوا من النصارى، الأمر الذي كان يتعدّد عليه تعاطي الأكل والشرب بحرّية ممّا حدا به إلى البحث في بطون كثير من كتب الفقه والحديث والآيات القرآنية لمعرفة حقيقة طهارة أو نجاسة أهل الكتاب على



مختلف مللهم ونحلهم.

١١. التصوّف في التاريخ: كتاب يبحث في نظرية وحدة الوجود وسيرها في مدارس العلم من أقدم أزمنة التاريخ إلى الآن - لا زال مخطوطاً، ونشر بعض فصوله في اعداد مجلة (الإخاء) الماضية.

كل ذلك بالإضافة إلى الأبحاث القيمة التي كان ينشرها بين هنية وأخرى على صفحات مختلف المجالات العربية والفارسية والمحاضرات المستفيضة التي كان يلقىها في جلسات الجامع العلمية والمنتديات الأدبية واليit نشرت بعضها في كراسات مستقلة. كان المترجم يتقن اللغات العربية والفارسية والتركية مع آدابها، كما كان مليئاً بالفرنسية، وإنّه كان على جانب كبير من حسن الخلق وسعة الصدر وطيب النفس وبُعد النظر والنباهة، والغيرة على الإسلام والمسلمين، والحرص على رفع مستوى اهتمام ليصبحوا في مصاف الشعوب الحية والأمم المتحضّرة في هذا العصر.

وكان كلّما زار طهران نزل في دار أخيه النائب مجد ضيائي، فكانت أزوره فيها، ونتحدّث طويلاً عن رحلاته في البلدان العربية واتصالاته بالملفّقرين من المسلمين في هذه الأقطار.

أمّا أول معرفتي به فكانت سنة ١٣٤٣ هـ حينما مرّ ببغداد عائداً من الحجّ في طريقه إلى مسقط رأسه (زنجان) كنت عندئذ أصدر مجلة (المرشد) في عاصمة العراق، كانت همزة الوصل بيني وبين المترجم وبين كثير من رجال العلم والأدب والفضل، وكان مدةً مكوكثه في دار السلام على اتصال دائم بي، وقد تعاونت وإيّاه على طبع رسالته (طهارة أهل الكتاب) في بغداد.

ومنذ حللت طهران كانت الرسائل متواصلة التبادل بيننا من طهران إلى زنجان وبالعكس.



وفاته وعقبه

لقد وافت المنية مترجمنا يوم الخميس ٧ جمادى الثاني ١٣٦٠ هجرية الموافق ١٢ تير ١٣٢٠ شمسية، نقل جسده بعد وفاته إلى النجف الأشرف، حيث واروه التراب في مقبرة الأسرة الخاصة حسب وصيّته.

وقد خلَّف المترجم خمسة أولاد وبنتاً واحدة، واعتنى بتثقيفهم عنایة خاصة وهم:

١. السيد كاظم ضيائي: من كبار موظفي وزارة الداخلية الإيرانية.
٢. الدكتور المهندس أحمد ضيائي: من كبار موظفي وزارة الكهرباء والماء.
٣. الدكتور لطف الله ضيائي: مدير مصلحة الصحة في محافظة مازندران.
٤. الدكتور محمد صادق ضيائي: من رجال القضاء بوزارة العدل.
٥. السيد نصر الله ضيائي: معاون مصلحة المال في زنجان.

أمّا البنت فهي السيدة شکوه خانم، زوجة الأستاذ داود المعيني من كبار موظفي كلية الزراعة بجامعة طهران.

كما ترك المرحوم أبو عبدالله الزنجاني مكتبة قيمة حوت حوالي (١٥٠٠) نسخة من الكتب الخطية والمطبوعة أهداها في حياته إلى السيد محمد صادق الضيائي، ولا زالت قائمة في داره بزنجان.



## مقدمة كتاب تاريخ القرآن

بقلم: أحمد أمين<sup>(١)</sup>

أتيحت لي فرصة أن أقدم للقراء «تاريخ القرآن» للأستاذ أبي عبدالله الزنجاني، فاغتبطت لذلك لأسباب:

أولاً: أن الأستاذ من أكبر علماء الشيعة ومجتهديهم، وكاتب هذه السطور سني، وطالما تأملت في نفسي أن أرى الخلاف بين السنّيين والشيعيّين يشتّد ويؤدي إلى جدل عنيف، وتدابر وتقاطع، ولم يقف الأمر عند الجدل الكلامي، والبغض النفسي، بل كثيراً ما تعدد إلى تجريد السيف واحتدام القتال.

ولو أحصينا ما كان بينهم من عهد علي (رض) إلى الآن لبلغت حوادثه المجلدات الضخمة، كلها خلاف وكلها دماء، ولو كان أنفق هذا الجهد في سبيل الإصلاح لبلغ المسلمين ذروة المجد، ولكن أبت السياسة أحياناً، والمطامع الشخصية أحياناً، إلا أن تثير الفتنة، وتدارب الدسائس، وتفرق بين الأخوة، ويعجب المؤرخ أن يرى التزاع يبلغ هذا المبلغ بين فتنتين يجمعهما الاعتقاد بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن المؤمنين إخوة، ولئن ساغ في العقل أن يقتتلوا أيام كان هناك نزاع على الخلافة من هو أحق منها ومن يتولاها؟ فليس يسوع بحال من الأحوال أن يقتتلوا على خلاف أصبح في ذمة التاريخ لا يستطيع القتال والنزاع أن يعيده إلى الوجود بل بعد أن أصبحت الخلافة نفسها مسألة تاريخية بحثة، وليس للMuslimين خليفة فعلي يضم كل ملتهم، ويجمع شتاهم، وأصبح كل الخلاف خلافاً في التاريخ، وخلافاً في الاجتهاد، ولو لا ألاعيب

---

(١) أستاذ كلية الآداب بالجامعة المصرية.

السياسة واستغفال الماكرين لعقول العامة، واحتفاظ أرباب الشهوات والمطامع بجاههم وسلطانهم، لأنمحي الخلاف بين الشيعي والسنّي، ولا أصبحوا بنعمه الله إخواناً ولتعاونوا على جلب المصالح ودرء المفاسد لجميعهم، ولنظر بعضهم إلى بعض كما ينظر حنفي إلى مالكي، وماكبي إلى شافعي.

وأظن أنّ الوقت قد حان لأن يفك عقلاطائفيين في سبيل الوئام، ويعملوا على إحياء عوامل الألفة وإماتة الخصام، ويتركوا للعلماء البحث حرّاً في التاريخ، ويتلقوا النتائج بصدر رحب، كما يتلقون النتائج في أي بحث علمي وتاريخي؛ وتبعه هذا الخلاف تقع على رؤساء الطائفتين، ففي يدهم تقليله وفناؤه، كما في يدهم إشعاله وإنماوه.

فرصة سعيدة أراها أن يؤلف الكتاب شيعي، ويقدمه للقراء سنّي، ولعلّها بادرة حسنة من بوادر السير للوئام، والدعوة إلى السلام، والعمل لخير المسلمين من غير نظر إلى فرق أو مذهب، وهو ما يتطلّبه ويوجبه موقف المسلمين الحاضر.

وثانيها: أنه كان من حسن التوفيق أن عرفت الأستاذ أبي عبدالله الزنجاني حين زيارته مصر سنة ١٩٣٥ ، فتوثقت بيننا الصلة، وتأكدت الصداقة على قرب العهد بالتعرف، وقصر زمن اللقاء، ولكن قرب الأرواح يفعل ما لا يفعله تراخي الزمن وطول العهد، وصدق الحديث: «الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلاف، وما تناكر منها اختلف»<sup>(١)</sup>، وقد رأيته واسع الاطلاع، عميق التفكير، غزير العلم بالفلسفة الإسلامية ومناخيها وأطوارها، على صفاء في نفسه، وسماحة في خلقه، مما حبيه إلى، وحجب لي أن أقدم كتابه لقراءه.

(١) ورد في عدة روایات كما في البخاري ومسلم، وقد روي مرسلًا عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام، ورواه الشيخ الصدوقي في (علل الشرائع) و(الأمالي)، والمهم أنه قد تلقاه العلماء بالقبول وانبروا لشرح مفرداته وإيضاح دلالته.



وثلاثها: موضوع الكتاب أو الرسالة وهو تاريخ القرآن من حيث الخط والجمع والترتيب والإعراب والإعجام، وهو موضوع شاق عسير تعرض له الأقدمون، ولا يزال مجال القول فيه ذا سعة.

وقد كان في نية الأستاذ الزنجاني أن يفيض فيه، ويندرج كتاباً واسعاً يجمع إلى سعة الرواية إعمال العقل، ولكن حالت ظروف دون ذلك فخرج الكتاب موجزاً مختصراً، ومع هذا فقد جمع فيه كثيراً مما تشتت في ثنايا الكتب من مؤلفين سنيين وشيعيين. ولعلّ الزمان والظروف تهيء له أن يتبع خطوه هذه بخطوة أخرى، فيهدي للقراء في هذا الموضوع بحثاً أوفى، وكتاباً أوسع، يكشف ما غمض من هذه المسائل العويصة، والدقائق العميقية، وهو بذلك جدير، وفقه الله.

أحمد أمين

١٩٣٥ م / يونيو / ٢٥



## تاریخ القرآن للأستاذ أبي عبد الله الزنجانی

لالأستاذ محمد بك كرد علي<sup>(١)</sup>

تاریخ القرآن هو كما قال المؤلف وجیز في سیرة النبي الأکرم والقرآن الكريم والأدوار التي مررت به من كتابته وجمعه وترتيبه وترجمته إلى سائر اللغات، طبعته مؤخرًا مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر<sup>(٢)</sup>.

وقد استند المؤلف، وهو من المستنيرين من علماء إیران ومن أسرة نبیلة بشرفها وعلمهها في مدينة زنجان، في تأليفه على مصادر لکبار علماء السنة والشيعة وجود الكلام على ما تقتضيه بيته، وربما تجاوزها إلى أبعد غایة کا في مقدوره تجاوزها.

وحبذا لو كان قد توسع في القراءات واستخدم لذلك مثلاً كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزری المتوفى سنة ٨٣٣ هـ والمطبوع في مدينة دمشق.

وليته قال لنا شيئاً في القراءات وما هي عليه اليوم في بلاد فارس والهند والصین وتركستان وجاده والحزاج ومصر والعراق والشام وشمالي أفريقيا.

(١) مفكّر سوری، أصله کردي (١٨٧٦ - ١٩٥٣) من رجال الفكر والأدب، وأول وزير لل المعارف والتربية في سوريا ورئيس مجمع اللغة العربية بدمشق منذ تأسيسه ١٩١٩ حتى وفاته. أصدر مجلّة المقتبس، له مؤلفات عدّة.

(٢) تأسست في القاهرة عام ١٩١٤ من خريجي مدرسة المعلمين العليا ومدرسة الحقوق وصدرت لائحتها القانونية عام ١٩١٥ ورؤسها الدكتور أحمد أمين منذ ذلك التاريخ حتى وفاته ١٩٥٤ وقامت بترجمة العديد من الكتب الموسوعية الغربية، مثل تاريخ الفلسفة الغربية لبرتراندرسل، وقصة الحضارة لول ديورانت وساهم عملها بافراز جيل من المترجمين العرب، ووضع قواعد التعریف للمصلحات العلمية المترجمة.

وتتوسّع في كلامه على ما قاله العلّامة نولذكه<sup>(١)</sup> في هذا المعنى وردّ عليه؛ ومثله من يحسن عليه الرد؛ وبسط القول في الترجمات الأفرنجية، وأيّها أجدر بالعناية والقبول، إلى غير ذلك مما نرجو أن يتعرّض له العلّامة المؤلّف في طبعة ثانية مزيدة.

وقد صدّر الكتاب الأستاذ أحمد أمين صاحب فجر الإسلام وضحي الإسلام بمقدمة موجزة قال فيها: (ولئن ساغ في العقل أن يقتل المسلمين أيام كان هناك نزاع على الخلافة، ومن أحق بها، ومن يتولاها؛ فليس يسوغ بحال أن يقتتلوا على خلاف أصبح في ذمة التاريخ، وأنه لو لا ألاعيب السياسة، واستغفال الماكرين لعقول العامة، واحتفاظ أرباب المطامع والشهوات بجاههم وسلطانهم، لأنمحي الخلاف بين الشيعي والسنّي، ولأصبحوا بنعمة الله إخواناً، ولنظر بعضهم إلى بعض كما ينظر حنفي إلى مالكي، وما لكي إلى شافعي؛ ورجا أن يفك عقلاً الفريقين في إحياء عوامل الألفة، وأن يترك للعلماء البحث حرّاً في التاريخ، ويتلقو النتائج بصدر رحب، كما يتلقون النتائج في أي بحث علمي وتاريني).

ورأى صديقي أحمد أمين هو رأي فريق كبير من علماء المسلمين اليوم، وفي مقدّمتهم الأستاد الأكبر الشيخ المراغي، فقد قال في خطابه البديع الذي أجاب به من كرموه في الحفلة الأخيرة في القاهرة: إنّ من منهاجه العمل على إزالة الفروق الذهبية وتضييق شقة الخلاف بينها، فإنّ الأمة في مخنة من هذا التفرق، ومن العصبية لهذه الفرق، ومعلوم لدى

(١) ثيو دور نولذكه (١٨٣٦ - ١٩٣٠) مستشرق ألماني اطروحته لنيل الدكتوراه عن تاريخ القرآن، ثم وسعه بعد ذلك، قسمه وتلامذته من بعد إلى ثلاثة أقسام، الأولى (في أصل القرآن) والثانية (جمع القرآن) والثالث (تاريخ نصّ القرآن)، وصدر مترجمًا للعربية بعناية الدكتور جورج تامر، ومنهجه منتقد غير صالح لدراسة القرآن، وكتبت دراسات نقدية له منها حصل الدكتور رضا محمد الدقيق على درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر، وما عرضه مؤلفه المستشرق مهم لاتهام الباحثين في الغرب للرجوع إليه، ومباحثه مشحونة بالطعن بالقرآن الكريم، وبالنبي وبآيات المؤمنين، ويشير النعرات الطائفية ويمس مشاعر المسلمين.



العلماء أنّ الرجوع إلى أسباب الخلاف ودراستها دراسة بعيدة عن التعصّب المذهبي، يهدي إلى الحق في أكثر الأوقات، وإنّ بعض هذه المذاهب والأراء قد أحذثتها السياسة في القرون الماضية لمناصرتها، ونشطت أهلها وخلفت فيهم تعصّباً يساير التعصّب السياسي، ثمّ انقرضت تلك المذاهب السياسية وبقيت تلك الآراء الدينية لا ترتكز إلا على ما يصوغه الخيال وما افتراه أهلها.

وهذه المذاهب فرّقت الأمة التي وحّدها القرآن الكريم وجعلتها شيئاً في الأصول والفروع، ونتج عنه سخف مثل ما يقال في فروع الفقه الصحيح أنّ ولد الشافعي كفء لبنت الحنفي، ومثل ما يرى في المساجد من تعدد صلاة الجماعة، وما يسمع اليوم من الخلاف العنيف في التوسل والوسيلة، وعذبات العيّام وطول اللحي، حتى أنّ بعض الطوائف لا تستحي اليوم من ترك مساجد جمهرة المسلمين وتسعى لإنشاء مساجد خاصة».

هذه أمنية عقلاً المسلمين، ويا حبذا لو عنى بعض علماء الأزهر فكتبوا كتاباً بل كتاباً في منشأ هذا الخلاف بين السنة والشيعة، والطرق العلمية لإزالته على ما يجب على كلّ مسلم دراكة، ولا سبيل إلى ضمّ الشمل المتبوب، والخلاص من هذا الاختلاف المقوّت، بغير الرجوع إلى الكتاب وما صحّ من السنة، والقاء الخلافات جانبًا بين أرباب المذاهب الإسلامية.



## السنّيون والشيعة وموقفهااليوم

للأستاذ محمد رضا المظفر

أتيح لي أن أتناول «تاريخ القرآن» للأستاذ الزنجاني أبي عبدالله، فأقرأ في مقدّمته كلمة الأستاذ «أحمد أمين» القيمة في بابها، أقرّأها، فيطربني ما فيها من نغمة متواضعة على وتر من احساس جديد نعرفه في الأستاذ اليوم.

ولأكتم الأستاذ أني رجعت إلى ذكريات اختزنت عنه من قراءتي لفجر الإسلام وضحاه، ما آلم هذه الذكرى!

فقد خلقت للأستاذ عندي شخصيتين، تباعدتا على قرب العهد بينهما، وكادت تدفعني يومئذ إلى مقالة أضعها بين يديه في «الرسالة» أو في غيرها: لا تخرج عن عتاب بريء على كتابيه، وعن تشجيع على كلمته الأخيرة وتأييدها، وهي التي أطمعتني فيه، لننشد صراط الإصلاح المستقيم، ولكنّي تلّكت لا شيء، وما أدرى لماذا كان؟ ولعله لصلاح!

ومنذ أيام كان عدد الرسالة (١١٠) في يدي، فقرأت كلمة الأستاذ محمد بك كرد على، عن تاريخ القرآن ومقدّمته، فطابت لي النبرة وجريت عليها حتّى تناولت القلم، وهأنذا أحديثك وأنا شيعيّ أجري مع سنّيين في ميدان الإصلاح لحظيرة الوحدة التي أقامها لنا نبينا محمد ﷺ.

شهد الله والنبي الأكرم أنّ من أثقل الأشياء على قلمي أن يقرن بين كلمتي سنّي وشيعيّ: يتقارنان تقارن افتراق، ويتصالان اتصال تنافر، كقطبي المغناطيس المتأثلين، وقد خلّفت لهما السياسة الغاشمة هذا التنافر الشائن يوم خلقت، وأن لنا أن نخجل أمام الله ورسوله من استمرارنا على هذا الشنان بين أعداء تستمرّ على مطاردتنا وتستغل



افتراننا، وما أجرنا اليوم أن نضرب على هاتين الكلمتين في قاموس اللغة، فنستريح ونُريح، ونعود أمة إسلامية واحدة كما أرادها الرسول، أو كما أرادها الله آمنة مطمئنة خير أمّة أخرجت للناس!

يرجو الأستاذ (أحمد أمين) في مقدّمه - بعد أن ألمع إلى بعض أسباب الخلاف - (أن يفكّر عقلاً الفريقين في سبيل الوئام، ويعملوا على إحياء عوامل الألفة وإماتة الخصام، ويتركوا للعلماء البحث حرّاً في التاريخ، ويتلقوا النتائج بصدر رحب) ويتابعه الأستاذ (محمد بك كرد على) فيقول: (ورأي صديقي هو رأي فريق كبير من علماء المسلمين اليوم).

ثم ينقل لنا خطاب العلامة شيخ الجامع الأزهر، ويقترح أخيراً أن يكتبوا كتاباً في منشأ هذا الخلاف بين السنة والشيعة والطرق العلمية لإزالته.

وأنا أقترح هذا الاقتراح نفسه على علماء النجف الأشرف عاصمة الشيعة الدينية والعلمية، ونقترب جميعاً على الفريقين أن يتّفاهما جميعاً قبل كل شيء، ولكن كيف نحقق هذا الاقتراح ونفرضه عليهم فرضاً؟ يجب أن نعمل له! فهل نستطيعه ولا نجعله مثار نزاع جديد؟

وأؤكد لك أن نشان علماء الشيعة هو هذه الوحدة المضادة، يسمعون لها ما سنت الفرصة، وما عرض لها الزمن، احتفاظاً بجامعة الإسلام العليا، وتوحيداً لكلمة المسلمين.

في بيان تأسيس الحكم الوطني في العراق (والشيعة أكثرية العراق) نادى علماء النجف بالوحدة عالياً، وغالوا في ذلك إلى بعد حد، وبذلك استطاعت الأمّة العراقية أن تجعل من نفسها شعباً حياً وحكومة صادقة.

ولم يكن أبناء الأقطار العربية الأخرى - وخاصة في مصر - يحسّون بواجبهم إزاء العراق الفتى المتطلع إلى سحق العهد التركي البالي، فكانت لهجات متتابعة، ووخزات



نافذة تلقتها صدور الشيعة من مصر وسوريا، تلحّ عليها الحاجاً، وتكتدر عليها صفو الانفاق أثيناً تكدير، وكان من بينها فجر الإسلام وضاحاه «وأرجو ألا تخندش هذه الكلمة عواطف الأستاذ مؤلفهما، فإنّها الصراحة نريد أن نتبعها» تعزّزها الأقلام المستأجرة في العراق، وبعبارة أصْرَحْ أقلام الاستعمار، بينما العراق في ضرورة ملحة إلى الاتفاق بين سنية وشيعية، ليرتقي سلم الاستقلال المنشود.

\*\*\*

إنّما هي واحدة تجب رعايتها اليوم على كلّ باحث عن الشيعة من إخوانهم السنّيين، عُفل عنها في فجر الإسلام وغيره، هي واحدة تحلّ كثيراً من الشغب اليوم. نحن نفهم من كلمة الشيعة إذا قلناها: الأمامية الاثني عشرية خاصّة، لأنّهم الأكثرية من بين فرق شتى، وذوو المؤلفات والمعارف التي يُقال عنها مؤلفات الشيعة ومعارفها، ولأنّهم اليوم شيعة العراق وسوريا وإيران والإمارات العربية على الخليج الفارسي والهند وأفغانستان، وما إلى ذلك، وهناك الزيدية في اليمن والبهرة في الهند، أمّا الفرق الأخرى التي يعدها مثل الشهرستاني في الملل والنحل وغيره، فقد أصبحت في خبر كان ولا يُعرف لها أيّ أثر في هذه البلاد المتراصة الأطراف، إلاّ بعض فرق لا يسمع لها حسّيس في المجتمع الشيعي ولا غيره كالغالبية.

فإذا طوّح القلم بالكاتب اليوم عن الشيعة، وقرأ ما كتبه السلف عنهم، خلط الحابل بالنابل، وأصدق عقائد تلك الفرق البائدة بعامة الشيعة، وعلى الأصح بالشيعة بالمعنى المفهوم الآن، فكانوا في نظره مرجّنة، وغالبة، ومجسمة، ومجبرة، وسبئية، وزركشية، وما إلى ذلك.

وهذا ما يُنعني على الباحث المتّبع، وهذا ما يشير غضب أولئك الشيعة الأحياء، من غير ما حاجة تدعوا الكاتب ولا ضرورة، وما اجدر الكتاب أن يتبنّهوا اليوم هذه الناحية، فلا يشروا كوامن أحقاد شائنة بذرتها السياسة لأغراضها في زمان بعيد لسنا

أبناءه، فلا يصطدم بآراء أفراد - لا فرق - لا نعرف عنهم كثيراً، ولا يصح أن يدخلوا تحت هذا الاسم.

وعند ذلك قد نُوقق إلى التفاهم، فالتقارب حيث تفرضه الأخوة الإسلامية، ويكون بحثنا نزيهاً يتطلب الحقيقة ليس إلا، ليتلقي الطرفان نتائجه بصدر رحب - على ما يقوله الأستاذ أحمد أمين - كما يتلقون النتائج في أي بحث علمي وتاريخي، وكما يقع البحث بين علماء الشيعة أنفسهم، وبين مذاهب السنة أنفسها، مادامت السياسة بعيدة عنه وما دام بعيداً عنها.

\*\*\*

وإذا لم نستطع أن نصل إلى ما نتمناه من حمل علماء الأزهر وعلماء النجف على هذه الطريق الحميدة، وعلى هذا العمل المبرور، فأكبر الظن أن من السهل علينا ألا نذهب بعيداً، فنقترب على (الرسالة) الهدادية أن تفتح لنا بين أعمدتها سبيلاً للبحث التزيعي، وتعززنا بشجاعتها الأدبية، فلا تصغى إلى سخط العامة - إذا ما كان - لنشططع أن نُلقي من أطمار الماضي ما رثّ وبلّي

وفي النجف عندنا جمعية دينية علمية أسست هذا العام باسم (منتدى النشر)، تسعى لهذا الواجب وتدعوه إليه، (وهي تضم طبقة صالحة من علماء النجف وفضلائلها)، وبصفتي كاتبها العام أذيع عنها هذه النية المحمودة، وأذيع عنها استعدادها للعمل في هذا السبيل.

ولقد كان لما كتبه الأستاذان (أحمد أمين) و(محمد بك كرد علي) الواقع الجميل في نفوس أفرادها، ورحبوا بهذا التفكير العالي الكبير.

وفي مصر (لجنة التأليف والترجمة والنشر) الموقرة، ففي استطاعة الجمعيتين أن يقفوا في ملتقى الطريقين، ليأخذوا بأيدي الباحثين إلى الحد المعقول، ويتلقيا النتائج للعمل عليها ونشرها في بلاد الله، كما نريد أن نقترحه على علماء الأزهر والنجف.



ندعو إلى هذا عقلاً قومنا ليضعوا حدًّا لهذه المهازل، وليرأوا على خطّة واحدة حلّ الخلاف، وعندئذ أن يُسدل حجاب كثيف على الماضي البعيد، فيما يعود إلى الحوادث التاريخية التي لا تمسّ حياتنا العملية اليوم، فينحصر البحث في نقطة عملية لا غنى لنا عنها.

كلّ ما عند الشيعة أتّها تتمسّك بعترة الرسول ﷺ، لأنّهم سفينة النجاة، ولكن ليس عقيدة وموالاة فحسب، فإنّ هذه عقيدة كلّ مسلم اعتنق دين الإسلام، مصدقاً لما جاء به النبي ﷺ؛ وإنّما تعني من التمسّك بهم أن تأخذ بأقوالهم في أحكام الفقه وترجع إليهم في دين الإسلام، ولا تعرف للتمسّك بهم معنى غير هذا، وتدلّل على أنّ ما جاء به النبي ورثوه عنه، وعلمه مكتنوز عندهم وهم أمناء عليه معصومون، لا كسائر الرواية عنه وعنهم، يروون الأحاديث كنّقال يخطئون في النقل ويصيّبون، ويصدقون ويکذبون. وبهذا بعُدت الشقة العملية بينهم وبين إخوانهم أهل السنة، وكثير الخلاف في الفروع الفقهية؛ فكان وضوء السنة وكان وضوء الشيعة، وكانت صلاة السنة وكانت صلاة الشيعة، وكان وكان.

إن استطعنا أن نتفق ونحلّ هذا اللغز بينما حالاً مرضياً، فقد وفقنا إلى كلّ شيء، واستطعنا أن نوجه جبهة الإسلام، كما يشاء لنا ديننا دين القيمة، وما هذا على الرجال المخلصين بعزيز.

محمد رضا المظفر

كاتب (منتدى النشر) العام

النجف الأشرف



## السنيون والشيعة للأستاذ أحمد أمين

بهذا العنوان كتب الأستاذ «محمد رضا المظفر» من أفالضل علماء التجف، مقالاً في (عدد الرسالة ١١٨ السنة الثالثة)؛ وقد أسهلها الأستاذ بالعجب من أن تكون كاتب «فجر الإسلام وضحاه»، وكاتب «مقدمة تاريخ القرآن» للأستاذ الزنجاني معًا وأن «النغمة التي ظهرت مني في هذه المقدمة نغمة متواضعة على وتر من إحساس جديد» وأئمها على عكس ما ظهر مني في فجر الإسلام وضحاه، وفسر ذلك بأنّ لي «شخصيتين تباعدتا على قرب العهد بينهما».

والحق - يا أخي - أنّ النغمتين صدرتا عن نفس واحدة كانت تكره الخلاف بين السنيين والشيعة أشدّ الكره وأعمقه يوم كتبت فجر الإسلام وضحاه كما كانت تكرهه يوم كتبت مقدمة تاريخ القرآن، وكما لا تزال تكرهه إلى اليوم.

وكلّ مظاهر الخلاف بين القولين سببه أنّي بحثت في فجر الإسلام وضحاه مذهب الشيعة كما يبحثه كلّ عالم، وحاولت جهدي أن أضع التعصب جانباً، وأن أتناسى أنّي سنيّ أكتب عن الشيعة، وأملاً نفسي عقيدة أنّي مؤرخ يتطلب الحق حيث هو.

ومن أجل ذلك نقدت السنيين كما نقدت الشيعة، وقلت ما اعتقدته الحق في هؤلاء وهؤلاء، ووضعت الفرقتين في كفتي ميزان؛ فإذا قلت إنّ بعض الشيعة وضعوا بعض الأحاديث، قلت إنّ بعض السنيين وضعوا بعض الحديث أيضاً، لأنّي اعتقدت الحق في ذلك؛ وهكذا سرت على هذا المنهج دائمًا.

وأنصفت المعتزلة في بعض آرائهم، والخوارج في بعض آرائهم، والشيعة في بعض آرائهم، مع أنّ العادة جرت أن السنيين لا يرضون عن شيء من ذلك، فأسلوبي في



الحالين طلب الحقّ حيث كان.

وإذا كان ديننا يتطلب منا أن نزن الحق في ذاته من غير أي اعتبار آخر سواء كان مصدرها مسيحيًا أو يهوديًا أو وثنيًا، فبالأحرى نزنه إن كان مصدره معتليًّا أو خارجيًّا أو شيعيًّا.

وكلّ ما في الأمر أن بعض إخوانِي من الشيعة أخطأوا من ناحيتين:

الأولى: أنهم دائمًا طبقو ما أقوله عن الشيعة على أنفسهم، وفهموا أنّي لا أعني بالشيعة في كلّ موضع إلا إياهم، مع أنّ الشيعة كما يعلمون فرق مختلفة لا حصر لها، وأنّ منها الغالي المعن في غلوّه، ومنها المعتدلُ القريب من الأنصاف، وليس الأمامية التي يدين بها أهل العراق وفارس إلا فرقة واحدة من فرق عديدة، بعضها باق إلى اليوم، وبعضها عفى عليه التاريخ؛

فخطأ مخصوص أن يظنّوا أنّي كلما قلت «الشيعة» عنّيهم؛ إنّما يكون لهم الحق كلّ الحق أن يفهموا أنّي أقصدهم عندما أتكلّم على الأمامية أو الثانية عشرية – المؤرّخ يجب عليه أن يؤرّخ الماضي كما يؤرّخ الحاضر، وأن يذكر الغلاة كما يذكر المعتدلين، فإذا عاب الغلاة فليس عيبه إذا فهم قوم منه أن يعنّيهم.

والنحوية الثانية: هي ما دعوت إليه في «مقدمة تاريخ القرآن» من أنّه يجب على العلماء من الطائفتين أن يوسعوا صدرهم للنقد النزيه «ويتلقو النتائج بصدر رحب»، فهذه شيمة العلماء حقًا، فكم أخطأوا الشيعة وكم أخطأوا السنّيون! فواجب الباحث أن يبحث المسائل حرّاً طليقاً، ويتأهّب للبحث وهو على الحياد بالنسبة للنتائج، فسواء خرجت النتيجة صفراء أو سوداء لا يهمه، لا أن يعتقد أولاً ثم يبحث عن البرهان الذي يؤدّي إلى النتيجة التي اعتقدها من قبل، فذلك ليس شيمة العلماء المخلصين للحق.

وكلّ ما في الأمر أنّ الواجب أن ينحى العامة وأشباههم عن الدخول في مثل هذه



المباحث لأئمّهم لا يستسيغونها ولا هم متهيئون لها، وليس تنفعهم في دينهم ولا دنیاهم. بهذه الروح بحثت، ولا أدعى العصمة، فقد أكون أخطأت؛ وقد وجّه بعض أخواني من الشيعة نظري إلى أنّي حين بحثت عوّلت على مصادر أهل السنة أكثر مما عوّلت على مصادر الشيعة، وكان الواجب ألا يعتمد في كلام خصم على خصم، وأن ينظر في قول كلّ فرقة إلى حكاية أصحابها وخصوصيتها معاً، ثم يمحّص الحقّ من ذلك كلّه؛

وقد أصغيت إلى هذا القول واقتنعت بصحّته، فلما أردت أن أكتب فصل الشيعة في الجزء الثالث من ضحى الإسلام توسّعت ما وسعني في قراءة الكتب المعتمدة عند الشيعة، ولا أزال أقلبها ظهراً لبطن وأفكّر فيها من وجوهها المختلفة، حتى يتسلّج صدري للحق وأؤمن بما يقوم عليه البرهان من غير تحزّب لناحية – وليس يتطلّب مني أكثر من ذلك – وإنّما يتطلّب من قادة الرأي في الشيعة والسنيين الآيّضيّق صدرهم حرجاً مما يقال متى خلصت نية القائل، وعلى القائل والكاتب أن يعمد إلى الحقّ والحقّ وحده، وأن يقوله في أدب لا في تهاتر وسباب.

وليس من الحقّ ألا يرضى الشيعة عن المؤرّخ إلا إذا مدّح كلّ عقائد الشيعة وصوّبها، كما ليس من الحقّ ألا يرضى السنيون عنه إلا إذا مدّح كلّ عقائدهم وصوّبها، فالمؤرّخ قاض عادل لا يهمه من رضي ومن غضب، وهو لم ينصب للإرضاء والاغضاب، إنّما نصب ليتعرّف الحقّ ويجهّر به.

هذا ما أردت أن أقوله من الناحية العلميّة، وأرمي من وراء ذلك كلّه إلى القول بأنّ البحث العلمي شيء والنزاع والخصام شيء آخر، وأنّ البحث العلمي لا يمنع التفاهم والوئام، بل هو إذا نظر إليه النظر الواسع العالي سبب من أسباب الألفة.

أمّا الناحية العمليّة في الوفاق فسهلة ميسورة متى أخلص القادة في ذلك - وهي



في هذا الزمان أيسر وأسهل . وإذا كانت الوطنية قد استطاعت أن توقف في مصر بين الأقباط وال المسلمين ، وفي سوريا بين المسلمين والمسيحيين ، فكيف لا تستطيع المصالح المشتركة القوية الواضحة ألا توحد بين الشيعة والسنّيين وهم أهل دين واحد يجمعهم الإيمان العميق في صدورهم بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن كل الخلاف بينهم موجات على السطح وففاقت في الظاهر يستغلها أهل الجاه والمال والرياسة فيو همون أنها كل شيء في الدين ، وليس ذلك ب صحيح إلا إذا كانت ففاقت الماء كل الماء ، وأمواج البحر هي كل البحر ، وزبد السوائل كل السوائل ، والعامة الخضراء والحرماء والبيضاء هي كل الإسلام؛ فالحق أن الإسلام أعمق من ذلك كلّه ، وما الخلافة والتزاع عليها والفرق الخفيف في مظاهر الوضوء والصلوة والزواج والطلاق ونحو ذلك إلا أشياء تافهة كل التفاهة بجانب القواعد الأساسية للدين ، والفرق بينهما كالفرق بين مظهر الإنسان وقلبه ، وبين ملابسه ومخبره ، ليكن الإيمان بالأسس في القلب ، ثم ل يكن المظهر ما يكون ، فالله ينظر إلى قلوبكم لا إلى صوركم .

وليقلل علماء الدين سنّيون وشيعة من تمسّكهم بالظاهر ومحافظتهم على وجاهتهم في قومهم وأتباعهم وما يغله ذلك عليهم ، يروا أن الوفاق أقرب ما يكون وأسهل ما يكون ويوضحوا ويبكونا من سخافات السلف والخلف الذين أثاروا النزاع على التافه وتركوا اللباب .

أليس من السخف أن يتقايل طائفتان على خلاف تاريخي أكان على أحقر بالخلافة أم أبو بكر وعمر ، وعلى وأبو بكر وعمر في قبورهم لا يعنون شيء من ذلك؟ أم ليس من السخف أن يتعدى طائفتان مسلمتان تقران كل أسس الإسلام من أجل اختلافهما في جزئيات صغيرة في أشكال الوضوء وما إليه؟ أم ليس من السخف ألا يقر الشيعة بعلم ولا فضل ولا فكرة ولا عمل مجيد إلا إذا صدر من شيعي؟ وألا يقر السنّيون



يعلم ولا فضل ولا فكرة ولا عمل مجيد إلا إذا صدر من سني؟.. لا لا أيتها القوم جعفر الصادق رجل عظيم، وأبو حنيفة رجل عظيم، فليزر شيعة العراق أبا حنيفة لعظمته، ولير سنيو العراق مشهد الحسين لعظمته؛ والأمهات يلدن النوابغ على السواء، فلم تضن على الشيعة بنوابغ ولا على السنيين بنوابغ، كما لم تضن على الأمم الأخرى بنوابغ، فحضر كل فرقة تعظيمها لرجال فرقتها ضيق في النظر وفقر في الفكر.

وإذا زال هذا كله وأمثاله - وهي فيما أرى من البديهيات - رأينا الخلاف قد تبخر ولم يعد له أساس، ولا يبقى إلا عند المؤرخ والباحث، والمورخون والباحثون دائمًا متصافون متى كان رائدهم الحق، وشعارهم الصدق، ولم تطروح بهم الأغراض والشهوات.

ليس من وسيلة تدرأً هذا الخلاف إلا أن يتقدم علماء اليوم من الفريقين فيمحوا الآثار السيئة التي خلفها علماء الأمس.

ولعل أصلح بقعة لذلك هي العراق، لأنها أشد البلاد مظهراً لهذا الخلاف، فيتعاون رؤساء الطائفتين لعقد مؤتمر في بغداد من رؤساء السنيين والشيعة، ويبحثون وجوه الخلاف وكيف تزال في جو هادئ مخلص؛ وأسبق الطائفتين إلى هذه الدعوة أفضلاهم، ولا يجعلون للعامة والغوغاء سلطاناً، وليرفعوا شعارهم في كل مجتمع وعند كل خلاف «مسلمون قبل كل شيء» «مسلمون قبل أن نكون شيعة وسنيين».

ولا بأس أن يدعوا قادة الفكر في مصر والشام والجazz للاشتراك في هذا المؤتمر والتشديد في حصر أغراضه في إزالة الخلاف بين سني وشيعي، فلا يمسّون أي موضوع آخر، ثم يرسمون الطريق العملي لإزالة هذا النزاع من تزاور الطائفتين، والتحاذ شعار لهذا الوفاق، وتبيّن يوم يتخذ عيداً يذكر بهذا الاتحاد ونحو ذلك، إنهم إن فعلوا واحلصوا خلصوا من أكبر مشكلة يتعرّض لها الطائفتان، وأمكنهم أن يوجهوا هذه القوى -



العظيمة التي تذهب هباء في الخلاف - إلى إصلاح شؤونهم الاجتماعية، واستطاعوا أن يتعاونوا على رفع مستوى قومهم، وعجبوا بعد قليل - لما يظهر من نتائج باهرة - كيف كانوا جمِيعاً في ظلام دامس، وكيف كانوا هذا الزمن الطويل يستمسكون بالعرض، ويضيعون الجوهر، ويفرطون في الكتاب، ويختفظون بالغلاف.

وأقر من الآن أَنْ سوف لا أردد على من يَتَّخِذُ بعض ما جاء في هذه المقالة وسيلة لإثارة النزاع من جديد، إلَّا أنْ يفتح صاحبها مجالاً للكلام في مشروع المؤتمر، أو وسائل الوفاق وبالله التوفيق...

أحمد أمين



## حول السنّيين والشيعة

للأستاذ محمد بهجة البيطار<sup>(١)</sup>

قرأت ما كتبه العلّامة الأستاذ أَحمد أمين في الرسالة الغرّاء (عدد ١٢١) تحت عنوان (السنّيون والشيعة) فرأيته يدعو إلى نبذ كلام الطاعنين من الفريقين، وإلى عقد مؤتمر للوحدة الإسلامية، يمهد له بالتهامس وسائل الوفاق من الآن؛ ولعمري أنّ السنة والشيعة هما أكبر مظهر للمسلمين اليوم، وهم المرجوون لوراثة تلك الوحدة الدينية، وتجديده ذلك المجد الدارس علمًا وأخلاقًا؛ وإنّ آخر شيء علينا هو هذه العصبية الموروثة، والعداوة المقوّنة، والتفرق الديني الذميم، **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾**<sup>(٢)</sup>.

أيها الشيعة الكرام: تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، أنتم تحبونها متنّا وهي تسّرنا منكم، وهي أن نأخذ بأدب سيدنا علي وهديه، ونقف من محاربيه عند حدود أمره ونهيه، وإن لم تتجاوزوا قوله ولا فعله، فأهل السنة معكم، وأنتم منهم وهم منكم، وهذا هي ذي أقواله وأعماله تعرض عليكم: لقد بايع الإمام علي للأئمة الثلاثة من قبله، وتنازل ولده الحسن عن الخلافة لمعاوية من بعده، وأصلح الله به فتئين عظيمتين من المسلمين طبقاً لما أخبر جده الصادق الأمين عليه وآلـه الطاهرين وصحبه الطيبين أفضل الصلاة والتسليم:

في نهج البلاغة أنّ علياً سُئل عن الخوارج:

(١) علّامة الشام (١٨٩٤ - ١٩٧٦)، عالم خطيب مؤلف، تولى عدداً من المناصب العلمية والدينية، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق، ولها مؤلفات.

(٢) الأنعام: ٦١٥٩.



أَكْفَارٌ هُمْ؟ قَالَ: مِنَ الْكُفَّارِ فَرَوَا؛ قِيلَ: أَفْمَنَافِقُونَ؟ قَالَ: الْمَنَافِقُونَ لَا يُذَكِّرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا، وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى؛ قِيلَ فِيمَا هُمْ؟ قَالَ: قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنَا فَقَاتَلُونَا وَقَاتَلُنَاهُمْ.

وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ وَقَدْ سَمِعَ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَسْبُّونَ أَهْلَ الشَّامِ أَيَّامَ حَرْبِ بَصَرَّيْنِ: «إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكُنُوكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ».

أَقُولُ: وَمَعْلُومٌ مِنْ حَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَهْمِّهِمْ يَقْصُّونَ مَا جَرِيَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَيَصْفُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَيَذَكُّرُونَ حَالَهُمْ، وَيَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ فِي جَانِبِ عَلِيٍّ، وَأَنَّ مِنْ حَارِبَوْهُ هُمُ الْفَتَّةُ الْبَاغِيَةُ عَلَى الْإِمَامِ الْحَقِّ، وَهُمُ الْمُخْطَئُونَ فِي اجْتِهادِهِمْ، وَلَكُنُوكُمْ يَؤَوِّلُونَ التَّشَاجِرَ بَيْنَهُمْ تَأدِيبًا وَاحْتِرَامًا لِصَحْبَتِهِمْ، وَحَفْظًا لِكَرَامَتِهِمْ، وَحَسْنَ بِلَاثِهِمْ فِي نَشَرِ الدِّعَوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَيَقُولُونَ الْكُلَّ يَنْشَدُونَ مَصْلَحةَ الإِسْلَامِ.

أَهْيَا الْأَخْوَةَ الْكَرَامَ؟ أَلِيَسَ الدِّعَوَةُ إِلَى عَقْدِ مَؤْمَنَةِ بَعْدِ الْوَحدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ الْدِينِيِّ، السُّنْنِيِّ الْعُلُوِّيِّ هُوَ الْمَطْلُوبُ وَلَا سِيَّماً فِي هَذَا الزَّمْنِ الْعَصِيبِ؟

فَنَحْنُ نُعَزِّزُ رَأْيَ الْأَسْتَاذِ الْجَلِيلِ أَحْمَدَ أَمِينَ، وَنَرْجُو أَنْ يَعْقُدَ مَؤْمَنَةً فِي الْكَنَانَةِ أَوْ فِي دَارِ السَّلَامِ تَزُولُ بِهِ تَلْكُ الْأَحْنُ، وَتَحُولُ تَلْكُ الْمَشَاحِنَاتِ إِلَى مَا يَعُودُ عَلَى الْأَمَّةِ بِالنَّفْعِ الْعَالِمِ مِنْ تَوْحِيدِ الْكَلْمَةِ، وَتَقوِيَّةِ الْمَلَّةِ، وَإِنْشَاءِ دورِ الْعِلْمِ الْمُشَتَّكَةِ، وَإِحْيَاءِ ذَكْرِ أَئِمَّةِ آلِ الْبَيْتِ عليهم السلام بِتَجْدِيدِ هَدِيهِمْ وَإِصْلَاهِهِمْ.

مُحَمَّدٌ بِهِجَةِ الْبَيْطَارِ

(دمشق)



## إلى الأستاذ أحمد أمين

لالأستاذ السيد محمد صادق الصدر<sup>(١)</sup>

يسّري ويسّري جدًا أن أقرأك أّيها الأستاذ الأمين على صفحات «الرسالة» - صحيفة الأدب الخالدة - حاملاً لواء الوحدة، داعياً إلى الاتّحاد والألفة، وإنّ في لحنك الجديـد العـالـيـ - يا أـسـتـاذـ لـذـةـ وـمـتـاعـاـ، وإنـ تـفـسـيرـكـ لـلـفـظـةـ الشـيـعـةـ التـيـ وـرـدـتـ فـيـ كـتـابـيـكـ الجـلـيلـيـنـ وـسـفـرـيـكـ الشـمـيـنـيـنـ: فـجـرـ إـلـاسـلـامـ وـضـحـاهـ، وـتـصـرـيـحـكـ بـأـنـكـ لـمـ تـقـصـدـ مـنـ لـفـظـ الشـيـعـةـ إـلـمـامـيـةـ الـاثـنـيـ عـشـرـيـةـ مـنـهـمـ، وـإـنـماـ قـصـدـتـ المـغـالـيـ المـعـنـ فـيـ غـلـوـهـ، كـلـ ذـلـكـ منـكـ عـاطـفـةـ مـشـكـورـةـ نـقـدـرـهـاـ كـلـ تـقـدـيرـ وـنـكـبـرـهـاـ الـأـكـبـارـ كـلـهـ؛ وـإـنـ عـاطـفـتـكـ هـذـهـ لـدـلـيلـ أـقـوىـ دـلـيلـ، وـبـرـهـانـ أـسـطـعـ بـرـهـانـ، عـلـىـ أـدـبـ نـفـسـكـ وـطـهـارـةـ ذـاتـكـ، وـعـظـيمـ أـخـلـافـكـ وـخـالـلـكـ، وـكـنـ عـلـىـ يـقـيـنـ مـعـيـ بـأـنـ تـصـرـيـحـكـ هـذـاـ قـدـ رـفـعـ سـوـءـ التـفـاهـمـ وـأـزـالـ مـنـ نـفـوسـ إـخـوانـكـ الشـيـعـةـ الـبـرـرـةـ كـلـ مـلـامـةـ وـعـتـبـ؛ وـإـذـاـ قـرـأـتـ أـوـ سـمـعـتـ عـنـ مـفـكـرـيـهـمـ شـيـئـاـ لـاـ يـرـضـيـكـ، فـإـنـاـ كـانـ ذـلـكـ غـيـرـةـ عـلـىـ طـائـفـتـهـمـ وـدـفـاعـاـ عـنـ آرـائـهـمـ وـمـعـقـدـاتـهـمـ، وـهـذـاـ طـبـيعـيـ لـكـلـ أـمـةـ تـحـفـظـ بـكـرـامـتـهاـ، وـتـحـرـصـ عـلـىـ سـمـعـتـهاـ؛ وـأـسـمـحـ لـيـ بـأـنـ أـقـولـ إـنـهـمـ لـمـ يـخـطـئـوـإـذـ فـهـمـوـاـ مـنـ لـفـظـ الشـيـعـةـ أـنـكـ عـنـيـتـهـمـ مـاـ دـامـ لـفـظـ الشـيـعـةـ مـطـلـقاـ غـيرـ مـقـيـدـ؛ وـلـيـسـ فـيـ كـتـابـيـكـ (ـفـجـرـ إـلـاسـلـامـ وـضـحـاهـ)ـ عـبـارـةـ وـاحـدـةـ عـلـىـ تـقـيـيدـ الشـيـعـةـ بـالـغـالـيـةـ لـتـخـرـجـ الـاثـنـيـ عـشـرـيـةـ عـنـ لـفـظـ الشـيـعـةـ مـطـلـقاـ إـذـاـ لـمـ تـقـمـ قـرـيـنـةـ تـدـلـلـ عـلـىـ تـقـيـيـدـهـ يـحـمـلـ عـلـىـ إـطـلاـقـهـ، وـقـدـ تـكـونـ ثـمـةـ قـرـائـنـ - لـاـ قـرـيـنـةـ وـاحـدـةـ - قـامـتـ لـدـىـ الشـيـعـةـ عـلـىـ الـاطـلاـقـ وـحـمـلـهـمـ عـلـىـ مـاـ فـهـمـوـهـ، فـإـنـ ذـكـرـكـ لـلـفـظـ الشـيـعـةـ مـطـلـقاـ أـيـضـاـ فـيـ كـتـابـكـ (ـضـحـيـ إـلـاسـلـامـ)ـ - بـعـدـ أـنـ زـرـتـ

(١) عـالـمـ جـلـيلـ مـنـ أـعـلـامـ عـرـاقـ (١٩٠٩ـ ـ ١٩٩٥ـ)ـ تـولـيـ رـئـاسـةـ مـجـلسـ التـميـزـ الجـعـفـريـ، ثـمـ عـضـواـ فـيـ مـجـلسـ الـأـعـيـانـ، لـهـ العـدـيدـ مـنـ الـمـصـنـفـاتـ.



العراق وطفت بمدن الشيعة، واجتمعت برجالتها، وعرفت الشيء الكثير من عقائدها وأرائها - سوغ لهم هذا الفهم وحملهم على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد؛ ولست أريد بكلامي هذا أن أثبت أنك تقصد ما فهموه، وإنما أريد أن أقول إنّهم لم يخالطوا في فهمهم ما دام إطلاق اللفظ كان يحتم عليهم فهم ذلك، وعلى كل حال ستري من الشيعة إخواناً شاكرين أفكارك وأرائك الأخيرة.

وأود أن ألتف نظرك إلى نقطة مهمة وردت في مقالك القيم، فقد قلت: «وليس الإمامية التي يدين بها أهل العراق وفارس إلا فرقة واحدة من فرق عديدة بعضها باق إلى اليوم، وبعضها عفى عليه التاريخ».

إن الطائفة الثانية شعرية هي الطائفة الوحيدةاليوم من طوائف الشيعة وهي مبثوثة في العراق وفارس والهند وأفغان وسورية والبحرين والحسا والقطيف وفي غيرها من الأقطار الإسلامية، وكل ما يبرز للعالم من آثار علمية ومتوجات أدبية هو مما دبجته أقلام علماء هذه الفرقـة وكتابها وشعرائها، ولم يبق من طوائف الشيعة المتعددة غير هذه اللهم إلا بعض طوائف ضئيلة لا تذكر، لذلك أصبح لفظ الشيعةاليوم خاصاً بهذه الطائفة يتadar إلى الذهن لدى إطلاقه؛ وقد بادت - والله الحمد - أكثر هاتيك الطوائف الضالة التي شوّهـت سمعة الشيعة.

وأميـلـيـ وطـيـدـ أـلاـ تـعـرـضـ فيـ الجـزـءـ الثـالـثـ منـ فـجـرـ الإـسـلامـ إـلـىـ غـيرـ هـذـهـ الطـائـفـةـ لـأـنـهـاـ هيـ الطـائـفـةـ الـوـحـيـدـةـ مـنـ بـيـنـ طـوـافـيـنـ الشـيـعـةـ الـمـتـعـدـدـةـ،ـ التـيـ يـطـلـقـ عـلـيـهـاـ لـفـظـ الشـيـعـةـ لـكـلـ ماـ هـذـهـ الـلـفـظـةـ مـنـ مـعـنـىـ؛ـ فـهـيـ التـيـ شـايـعـتـ عـلـيـاـ ﷺـ وـتـابـعـتـهـ فـيـ أـفـعـالـهـ وـأـفـوـالـهـ،ـ وـلـيـسـتـ طـوـافـيـنـ الشـيـعـةـ الـضـالـلـةـ مـنـ التـشـيـعـ فـيـ شـيـءـ مـاـ دـامـتـ أـفـعـالـهـمـ وـأـقـوـاـهـمـ لـاـ تـنـفـقـ وـأـقـوـالـهـ أـهـلـ الـبـيـتـ ﷺـ وـأـفـعـالـهـ.

ومن الخطأ جدًا أن نجعل المقياس والجامع للتّشيع حب علي ﷺ هذا لأننا إذا أردنا



ان نجعل المقياس العنوان وجب أن نطلق على السنّين لفظة الشيعة أيضاً، لأنّهم يحبون الإمام ويقدّسون شخصيّته، فالمقياس للتشييع إذن هو المشايعة والمتابعة، وهو الذي يتفضّل لفظ الشيعة؛ أمّا الطوائف التي لا نجد لها مطابقة لهذا اللفظ فليست من الشيعة في شيء وإن الصفت نفسها الصاقاً واتخذت لها هذا الاسم وساماً.

أمّا ما رجحت من عقد مؤتمر في بغداد يجمع بين علماء الطائفتين، ويؤلف بين الفريقين فهذه فكرة ناضجة، وأصبحت اليوم محتممة، وجدير بكل مسلم أن يبيث هذه الدعوة، ويسعى لتحقيق هذه الفكرة فقد آن أن تتفق وتحدّد، وأن لنا أن نوحد الصفوف ونجتمع الكلمة، وأن لنا أن ننبذ النعرات الطائفية التي كانت السبب الوحيد في شقّ عصا المسلمين وبثّ روح الخصام في نفوس الأمة المسلمة التي كان يسودها الاتفاق، ويعملو سوءها الحب والوئام.

وحربي بنا - ونحن في هذا العصر الذي كثر فيه أعداء الإسلام ومناوئوه - أن نتناسي الماضي ونسدل حجاباً كثيفاً على كلّ ما من شأنه أن يكدر الجو ويثير العداوة والبغضاء، وإذا فرقتنا المذاهب بالأمس فستجتمعنا المصائب اليوم، وإنّيأتذكر كلمة خالدة في هذا الموضوع لعلامة جبل عامل الأكبر الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين نوهت عنها مجلة المنار الإسلامية، فقد قال عن الطائفتين: (فرقتهما السياسة، وستجتمعهما السياسة)؛ فالسياسة التي فرّقت بينهما طيلة الأعصر الماضية هي هي التي ستجمع بينهم في هذا العصر وتتوحد صفوفهم في الأعصر الآتية؛ وإنّ الواجب ليحتمم على كلّ فرد من أفراد الأمة الإسلامية أن يبيث روح الاتفاق الحية، ويسعى غاية جهده في كلّ ما يرجع إلى صالح الأمة، «فكُلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيته»، ولكنّ ما لا شكّ فيه أنّ المسؤولية العظمى تلقى على عاتق العلماء والمفكّرين من الأمة، فإنّهم هم القادة، وهم الذين يقدرون الواجب، وهم الذين يحسّون بمبسيس الحاجة إلى بثّ روح



الاتفاق والألفة، وهم قادرون -بما أوتوا من علم وحكمة وقوّة بيان- أن يخضعوا العامة لآرائهم ونظرياتهم؛ وإذا قام العلماء ببَيْثَ هذه الروح، وقاموا بایجاد مؤتمر إسلامي عام، فإنّها يقومون بواجب تفرضه عليهم حالة الأُمّة الإسلامية الحاضرة، وتحتمه آي القرآن الكريم ونصوص السنة المقدّسة؛ فالقرآن الكريم يحضّ على الاتفاق، ويحثّ على الألفة فيقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(١)</sup>، ويقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، ويقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(٤)</sup>، إلى غير ما هنالك من الآيات الكريمة التي تحتم على المسلمين أن يتّفقوا، وتحذرهم أن يتفرّقوا فتذهب ريحهم، ويخسروا عزّهم ومجدهم، ونحن لو رجعنا إلى السنة النبوية المقدّسة لوجدناها تضرب على هذا الوتر وتلحّن أحاديثها الشريفة على هذا التلحين، وتواجه المسلمين بنحو هذا الأسلوب فتقول: «ذمّة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، وهم يد على ما سواهم فمن أحقر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيمة صرف ولا عدل» والأحاديث في ذلك كثيرة.

وكان عليه السلام ببَيْثَ هذه الروح المباركة ويحضّ عليها بمختلف التعبير، وكان لإرشاداته عليه السلام وتعاليمه القيمة دور عظيم في أنحاء الجزيرة العربية، وأثر في نفوس المسلمين الأثر الذي جعل فيهم روحًا وثابة حيّة كانت هي السبب الوحيد في رقيّهم الباهر، وتقديمهم العظيم، فالأُمّة الإسلامية ما اجتازت تلك المراحل، وما وصلت إلى ما وصلت إليه من المجد والعظمة إلا بالتمسّك بالاتفاق والاعتصام بحبله المتين؛

(١) الحجرات: ٤٩.

(٢) التوبة: ٩.

(٣) آل عمران: ٣.

(٤) آل عمران: ٣.



وبفضل الاتفاق أصبحت الأمة الإسلامية أمة حية، وبفضل الاتفاق تربعت على دست الحكم وقبضت يدها الحديدية على أنحاء المعمورة، وإذا أردنا أن نسترجع مجدهما القديم ونسترد عزّنا السالف لتحتم علينا أن نتقدم للعمل حاملين هذه الروح الوثابة المباركة،  
 ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

بغداد

محمد صادق الصدر

---

(١) التوبة: ٩ . ١٠٥



## السنّيون والشيعة والمؤتمر

لالأستاذ محمد رضا المظفر

لأول وهلة بدا لي أن أنسحب بعد مقال الأستاذ (أحمد أمين) المنشور في (عدد الرسالة ١٢١)، ولا أدخل في هذا الموضوع من جديد، لأنّه قرر أخيراً: «أنه سوف لا يرد على من يتّخذ بعض ما جاء في مقالته وسيلة لإثارة النزاع من جديد إلا أن يفتح صاحبها مجالاً للكلام في مشروع المؤتمر أو وسائل الوفاق» فخشيت أن أكون عند الناس أو عند نفسي (وهي لا تحبّ لي الرذيلة) ممّن يتحبّب النزاع أو يسعى لتعكير صفو الأخوة التي ظهرت بشائرها في العالم الإسلامي، ولهذا - أو لشي آخر لا أدرى - وضع هذا التقرير الصريح.

ومن جهة أخرى، تخوّفت أن يكون حديثي هذا من (لغو الصيف) وإن كنّا نستقبل الشتاء، فلا أجاب عليه بعد ذلك التقرير؛ وليس فكرة المؤتمر - وبالأصح حلم المؤتمر - تلك الفكرة الناضجة والحلم الصادق فيما أعتقد (وسأعود إليها)، حتّى أستنزل بعلاجها طرف الأستاذ لميدان هذا الموضوع.

كل ذلك دار في خلدي، وأكثر من كل ذلك صرفي عن كل هذا الحديث، حتّى يمضي عليّ هذا الزمان، وأخيراً أتراجع إلى طوية نفسي فأجدتها جد مؤمنة بوجوب السعي لتحقيق فكرة الاتفاق، وتوحيد كلمة المسلمين، مهما اختلفت وجهة النظر مع الأستاذ أو مع غيره، وهنا فليقرر الأستاذ ما يشاء؛ ولنقل الناس ما يحبّون!

ولعلّ الرسالة تفتح صدرها الرحب لكاتب يقف للفرص يتبعها، لإزالة ما قد يسيء للاتفاق بين الطائفتين، ويشهد حديث كتابها أو غيرهم عن كثب، حتّى لا



يتكلّموا عن الشيعة كأمّة غائبة في مجاهل المفاوز، لا سمع لها ولا لسان، في حين ان رجال الشيعة تتبع الأحاديث عنها في الصحف والكتب بكل إصغاء، وقد لا تشاء الرد والجواب، كما وقع في العام الماضي في الرسالة بين الأستاذين، عبد الوهاب عزام، وأمين الخولي، في قضيّة مكّة ومشهد الحسين.

وكم يضحكني ما يكتب عن الشيعة كأئمّة من الأمم الخواли (ولتعرف من الآن أنا لا نفهم من كلمة الشيعة إذا أطلقت غير الإمامية)، فتنسب لها عقائد وآراء لا تعرفها وكثير من رجالها صامتون لأنّ الحديث مع غيرهم، ثمّ يحرقون الأرم من غير طائل، وليس من الصحيح هذا التسامح الذي جرّ ما جرّ من تباغض وشنآن، وربا على ما خلف لنا علماء أمّس (رحمهم الله)، وزاد في الطين بلّة، وربما تصبح الطريق بعد هذا زلقاً لا تصلح لسير الأقدام إلاّ بها لا يحمد، كما كان في العصور السالفة؛ وكان من الواجب أن يبادر إلى علاج هذه الناحية قبل فوت أوان العلاج، والحرية الصحفية ضربت أطناها في البلاد، وخصوصاً في مصر، فأعجب أن يُسأل صاحب المقتطف - مثلاً - عن الشيعة، فيجيب عنهم بما يعلم - وهو معدور - ولا يرد عليه واحد منهم وهو لا يأبى عن ذلك، ولا يأبى أن يزيد علمه فيهم، إذن بعد هذا لم لا أتقدّم بنفسي لهذا الواجب؟

هذا سؤال وجيه، وعلىّ أن أجيب عنه بكلّ صراحة وإخلاص: كم هناك من مباحث وددت كشف غطاء الحقيقة عنها - لو كنت من أهل ذلك - فأتقدّم إلى القرطاس، وأحاول أن أجّرد قلمي من حباء التعقيب لعقيدتي التي نشأت عليها، وغذيتها في لبن التربية، لأطلب الحقيقة بالبرهان، ولا أكون ممّن يتطلّب البرهان للعقيدة، ولكن أجد محاولتي الباطلة، فأبحث عن قلمي، فأراه قد تألف من مجموع قشور، وأخيراً لا أجده قلماً أحمله لأكتب به.

وهكذا العقائد العامة ليس في وسع أحد أن يتجرّد عن تبعتها مهما تخيل أنّه



سيذهب عنها ناحية، ولا بد أن تنزله لحضيضها، ويرغم على غذائها، فيما يكتب وفيها يعمل، فترتكز عليه أقواله وأفعاله، من حيث يدرى ولا يدرى؛ وعلم النفس يصدقني - وعلى الأقل لا يكذبني - في هذه الدعوى.

ولا أعتقد أنّ امرأةً استطاع أن يحرر نفسه من عقيدته، ما دامت له عقيدة يستمسك بها، أبي الأستاذ «أحمد أمين» ألم يأب !

ولكنّي أرجو أن يوفّقنا الله في جهاد سورة النفس في تعصبها، وقمح غلوائها، فيما إذا اعتقنا بعزم التبيّنة وفائتها للجميع؛ وعسى أن نصيّب هدف الحقيقة بعد حين بهذه الحيلة؛ وهذا هو الذي يطمئنني أن أنزل إلى هذا الميدان الوعر المسالك، ومن ورائي جمعية (منتدى النشر) تقبض على ناصيتي.

ولقد كانت وجهة نظري القاصر - ولا بد أن تعرفها من حديثي المتقدّم ومقالى السابق - أن نفتح لنا باباً للتفاهم في أصل عقائدها وصحتها - مهما كان في ذلك من الخطورة - فندخل في بحث علمي أو تاريخي، كسائر أبحاثنا العلمية والتاريخية، ونتلقى التائج بصدر رحب، وذكرت في مقالى السابق: ما هي النقطة التي يجب اتباعها في البحث؟ وذاك هو الذي فهمته أيضاً من كلام الأستاذين محمد بك كرد على وأحمد أمين في المرة الأولى، وعلى هذه النغمة جسست وترى، ومضيت مطرباً إلى حدّ بعيد وحقّاً (إنّ البحث العلمي لا يمنع التفاهم والوئام، بل هو إذا نظر إليه النظر الواسع العالى سبب من أسباب الألفة).

إلاّ أيّي بعد هذا وجدىك - أيّها الأستاذ - تذهب بعيداً وتنتقل مفاجأة إلى حديث عقد مؤتمر بين الطائفتين في العراق، فماذا تقصد من المؤتمر؟ وعلى أيّ خطة ولأيّ غاية يجب أن يسير؟ هذا الذي بعد لم أحط به علمًا، ونزولاً عند رغبتك ادخل في الموضوع ما انفتح لي بابه.



لا شك أن عقد مؤتمر بين الطائفتين - على أي وجه يكون - لا يمكن التوصل إلى تجربة، بمجرد تفكير واحد واقتراح آخر وتأييد ثالث، منها كان المفكر والمقترح والمؤيد فلا بد أن يختبر في العقول بنقد ورد ويدرسه على جميع وجوهه حتى يستقر على فكرة واحدة ووجه واحد، ويعم صوته الاسماع النائية والقريبة، ويساهم في درسه العالم السياسي، ويقنع به ولاة الأمور - ولا بد من اقتناعهم أو إقناعهم - كعمل لا بد منه، ثم تنهز الفرصة للعمل على تجربة، ويسعى بأخلاقه لتأسيسها، على سنة الارتفاع والدرج، أو كما قال تعالى العلامة الشبيبي<sup>(١)</sup>:

خواطري اليوم أقوالي ومعتقدى      غداً وغرة أعمالي وراء غد

لقد سمعنا بحديث هذا المؤتمر وسعى بعض رجالات الطائفتين لتأسيسه، وسمينا باختلاف التفكير في خططه، كل هذا سمعنا، واتضح لي مما سمعت وما قرأت أيضاً أنه ما زال أمنية لم تشبع درساً وتديقاً، وكل عمل كبير مثل هذا لا بد أن يكون كذلك أكثر، فلنفرض أن المؤتمر انعقد في العراق، واجتمع أعضاؤه لدرس خططهم، فعم يتساءلون؟ يدرسون مذهب الشيعة وأهل السنة - وعلى الأصح مذاهب المسلمين - وأسباب الخلاف بينهم، كأجانب عن المذهبين، ثم يتلقون على الصحيح، أو قل: على جوهر الإسلام الحقيقي الذي جاء به الرسول عن الله، ويطهروا بالخشوع وبما أصق بالحنيفة إلصاقاً - ولا بد أن يكون هناك لباب وخشوع وحق وباطل لا محالة - ليحملوا الأمة الإسلامية جماعة على الإسلام الصحيح، الذي يفهمه روح الإخلاص والبحث التزيم.

حلم لذيد! لو صدقناه لكنّا خيراً منه ونعم الخلف الصالح، ولا سرنا من آلاف الكتب التي ألفت في هذه الشؤون، وجّرت على المسلمين الوبيل والثبور، وأضاعت من

(١) الشيخ محمد رضا الشبيبي (١٨٨٩ - ١٩٦٥) عالم أديب شاعر وزعيم وطني كبير، من رواد النهضة الحديثة في العراق، شغل مناصب وزارية منذ أواخر الثلاثينيات، وترأس مجلس النواب، وعضوًا في مجلس الأعيان، عضو المجمع العلمي العربي، ورئيس المجمع العلمي العراقي حتى وفاته.



أوقات العلماء كلّ غال ونفيس درساً وتاليفاً، فصر فتهم عن كلّ عمل ينفع الأمة ويجرّ إليها المغم، طيلة هذه القرون.

ولكن - بالله عليك - هل رأيت حلماً أكذب من هذا في أضياع الأحلام، وأمنية أبعد منها في الأماني؟ كيف يتّفق أولئك على الصحيح؟ وبهذا يحملون الرأي العام على اعتناقهم؟ أبالقوّة يعتنق هؤلاء الدين الجديد عندهم؟ أم بالتقليل لأولئك النفر القليل؟ أم بطريق الحجّة والإقناع؟ كلاً! كلّ هذا ليس من السهل، أو ليس من المستطاع؛ وإذا جاز أن يقع مثله في أول الدعوة إلى الإسلام من نبينا وأصحابه، فليس من الجائز أن يقع في هذا العصر من مؤتمر يؤلّف من علماء الطائفتين المتناحافتين في بؤرة الخلاف، وهل يصحّ أن نكتفي بهم وحدهم أو بالخاصة معهم - لو جاز أن يتّفقوا - ونستغنى عن اتباع السواد لهم.

وأكبر الظنّ أني تيسرت عن الغرض في تأويلي لهذا للمؤتمر المقصود، إذن فعمّ يبحثون؟

لنركّهم يعملوا لإيجاد عوامل الألفة والصداقة الودية بين الفريقين، ولذبح النّورة الطائفية على اعتاب الأخوة الإسلامية ليدخلوها بسلام آمنين، ولتبقّ بعد هذا كلّ طائفة على عقیدتها وأعماها، كمذاهب أهل السنة فيما بينهم، وكالشيعة لما يختلفون في تقليد مجتهديهم، وهناك تتجلى الكلمة الذهبية الخالدة: «إنّا المسلمين إخوة»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «المسلمون كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه ببعض»<sup>(٢)</sup>، وينظر عندئذ المؤتمر في دعوى من يدعى غلط حقوقه كمحكمة برى إسلامية، ويأخذ على الأيدي العابثة من كتاب وغيرهم بالوسائل التي يختطّها ويستطيعها.

(١) كذا.

(٢) كذا.

وَظَنَّيْ أَنَّ هَذَا الْمَؤْتَمِرُ هُوَ الَّذِي يَرْمِي إِلَيْهِ إِخْرَانًا فِيهَا فَكَرُّوا وَتَحَدَّثُوا وَكَتَبُوا، وَهُنَّاكُ مَلْحُظَاتٌ يُجَبُ أَلَّا نَغْفِلُ عَنْهَا:

هذه الدعوة إلى الاتحاد ونبذ النزعات الطائفية، والتفرقة الشائنة، هي أحد الأسس القوية التي بُني عليها الحكم الوطني في العراق. كما ذكرت في مقالي السابق - ورؤساء الطائفتين يومئذ لم يُقصّرا في توجيه الرأي العام نحو هذه الفكرة الجديدة، التي لم يدع لها العهد التركي البائد مجالاً للظهور أو لبذرها في العقول، واستطاعوا في أقصر وقت أن يكهربوا الفكرة العامة بتيارهم، حتى إنّك كنت تسمع الهاتف بالوحدة يبلغ عنان السماء في جميع محافلنا ومجالسنا، وكان الرجل يخسأ أن ينبع بكلمة واحدة تشتمّ منها رائحة الخلاف، وعلى ذلك أعوام - أو أيام - مضت، حتى تغير بعض النفوس، وتبدل كثير من النوايا، ولا ندرى لماذا كان؟! وهل يجوز أن نقول لا ندرى؟ لا أدرى!

ولذلك يسود الاعتقاداليوم أن الدعوة الأولى كانت كلها خداعاً في خداع؛ ومن رجالنا من لا يزال مستمسكاً بها إلىاليوم، فينسب إلى غفلة أو سذاجة، وهذا هو الداء الدوى.



فإذا أردنا أن نؤلف هذا المؤتمر في العراق، فإنّما نريد أن نعيد تلك الكرة لتنفيذ العزة، وقد لاقت في مبدأ الأمر سوقاً رائجة، ثمّ كسدت تلك السوق، وبيع فيها الرأي العام بأبخس ثمن، وبدرأهم معدودة؛ ومن الصعب جدّاً أن نعمل عملاً مجرّباً بتشاؤم منه؛ واعتقد أنه سيكبد القائمين مجهاً كبيراً من هذه الناحية، ويحتاج إلى زمن ليس بالقصير، لتحوير الأفكار ورسوخ العقيدة من جديد، تخلله الدعاية الواسعة من القادة وذوي العقول المخلصين: وتقريرياً للمسافة أجد من الضروري ان تنضج هذه الفكرة خارج العراق أولاً، ثم تدخل العراق لتستطيع أن تهضمها الأفكار بسهولة.

ومن المرجح أنّ هذا المشروع لا يلقي الفشل بعد تشكيله في هذه المرة إذا كان القائم به مؤتمراً منظماً يبني على أسس متينة ونظم واضحة، وإذا كان مؤسسو المؤتمر يحملون في حقائبهم إخلاصاً صادقاً وعقيدة ثابتة ووطنية صحيحة، والعراق في دور الاستقلال، وما فشل لأول مرة إلا لأنّه كان عملاً فوضوياً اندفع إليه المجتمع كسائر اندفاعاته التي لا يقودها العقل والرأي - على حسب قانون المجتمعات - فاستغلته السياسة الواقية، ثمّ لعب أهل الأغراض والمطامع ومن خلفهم الاستعمار أدوارهم - وبالطبع يتلاشى هذا الظلّ بعد حين، متى طلعت الشمس ولا بدّ أن تطلع -، ولا مؤتمر مسؤول ولا جمعية مخلصة تحاسب الناس على أعمالهم.

محمد رضا المظفر

النجرف الأشرف

## محاضرات

# في علم الأخلاق

دونها تلميذه المرحوم

عبد الحليم رشيد البغدادي

(٢٠١٣-١٩٣٧)

كلية منتدى النشر

١٣٦٦هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

ونحن في ختام المطاف لما ألقاه الشيخ المظفر (قدس سره) من محاضرات وخطابات عثرنا على مجموعة مخطوطة دوّنها تلميذه المرحوم عبد الحليم رشيد البغدادي (١٩٣٧ - ٢٠١٣م) وقد منها لنا نجله (قام) وفقه الله ولدى تصفحها وجدت انها من افاضات الشيخ المظفر ومحاضراته في علم الأخلاق التي كان يلقيها على طلاب كلية منتدى النشر عام ١٣٦٦هـ.

ومن خلال الاطلاع عليها وتدقيقها وجدت أن منها محاضرات تبدأ موشحة بعنوانين منها: المحاضرة الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعشرة والحادية عشر، ومحاضرات أخرى لم يشر إلى تسلسلها ولكنها في نفس السياق.

وفي الحقيقة ان هذه المحاضرات الاخلاقية تمتاز بأهميتها زماناً ومكاناً وبيدو في ضوئها اسلوب الشيخ المظفر وعمقه في دراسات العقيدة والفلسفة الالهية وموضوعها للتجييه الديني والتهدیي التربوي بما تمثله من رؤى رائعة يطل بها المظفر على مشارف من المعرفة والعرفان بما يقوّم السلوك الانساني وينقله الى عالم النفحات الروحية.

داعين المولى القدير التوفيق للقراء الكرام في الاستفادة منها وللباحثين والمعنيين اطلاقهم على جانب من جوانب الشخصية العلمية للشيخ المظفر في هذا المضمار والله ولي السداد وال توفيق.

محمد جواد الطريحي



## المحاضرة الخامسة

قال امير المؤمنين ﷺ :

«عبدتك لا خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك ولكن رأيتك أهلا للعبادة فعبدتك».

وبذلك قسم الامام العبادة الى ثلاثة اقسام وأشار الى العبادة الصحيحة منها :

الاولى - وهي عبادة العبيد وهم الذين يعبدون الله خوفا من عذابه ودفعا لنار غضبه.

والثانية - عبادة التجار وهم الذين يعبدونه طمعا في ثوابه ورغبة في جزائه وطلبا لجنته وسميت بالعبادة التجارية لما فيها من المعاوضة.

والثالثة - عبادة الاحرار الذين لم يستعبدتهم الخوف ولم يوجههم الطمع فهم يعبدونه لأنّه أهل للعبادة ولأنّه خلقهم وأنعم عليهم بنعمه الوافرة فهم بهذا يشكرون نعمته ويحمدون فعلته من دون ان يرجوا من وراء ذلك معاوضة لهم ومن دون ان يدعوا الى ذلك فوقهم وهي عبادة الامير التي هي أشرف العبادات وأفضلها او هي العبادة الحقة والفضيلة الصحيحة التي تكون حقاً مصداقاً لها - والعبادة فضيلة - فأولئك الاحرار انما هم يتطلبون فضيلة العبادة لأنها فضيلة وهي أهل لأن يضحيوا لها هذا الجهد والفضيلة التي نجد لها هذا الاسم لا تحصل الا بالجهاد بين النفس والعقل فتقتضي التضحية بالنفس ولذائتها لأجل العقل والنفس المفكرة ولبلوغ الجانب الروحي في الانسان.

اما في العبادتين الاوليين فهم انما يعبدونه لأنّه يماشي نفوسهم البهيمية فيعبدون اللذة في الحقيقة.... ومن لذائمهم البهيمية حب الامن والراحة وحب الطمع والمادة..



وليس من الجهاد بين النفس والعقل ما داموا يسيرون على هوى من نفوسهم الامارة فلا يسمى الصدق صدقاً إن لم يكن هناك مداعاة للكذب واغراءً على ارتكابه فيحدث ذلك الجهاد العسير وال الحرب الخفية بين النفس التي تدعوا إلى اشباع لذتها ومنها الكذب وبين العقل الذي يدعوا إلى الأخذ بفضيلة الصدق لأنَّه صدق فالرجل الصادق هو الذي يغلب العقل عنده على نفسه ويضحي بنفسه ولذائذها في سبيل ارضاء عقله ومثل النفس العاقلة في الأخذ بالصدق لأنَّه صدق لأن العبادة الحقيقة عبادة وشكر واجب وهي الفضيلة الحقيقة التي تكون فضيلة لأنها مثل أعلى للجانب الإنساني والروحي في المرء من دون أن يشوّهها الخوف والرجاء.



## المحاضرة السادسة

قال امامنا زين العابدين عليه السلام في دعائه :

«.... وبلغ بإيماني أكمل الآيمان واجعل يقيني افضل اليقين.... ». .

وهكذا ابتدأ الامام بذكر الافعال الانسانية وقبل الخوض في البحث لابد ان نشير الى السبب في وضع هذه الادعية فقد وضعها طالبا من ورائها تعليم الناس الاخلاق الفاضلة والسبل الحميدة وارشادهم الى طريق الحق الواضح والموجة البيضاء وهدايتهم الى ما فيه خيرهم الدنيوي والأخروي وهل مهمة الامام غير الارشاد والتعليم وخصوصا بالنسبة اليه عليه السلام نظرا للوضع المحرج الذي كان عليه الناس حيث ان تخلل في الاخلاق وتحرر من النظم الاسلامية الراقية فاضطر الى وضع هذه الادعية وهذه الصحيفة الاخلاقية طالبا من ورائها تنبية الناس من غفلتهم وإيقاظهم من غفوتهم والتي كانت السياسة الامامية لها الدور الاول في هذه الغفلة وهذا التحلل.

والحق أن الصحيفة هي كما قيل الكتاب الثالث بعد القرآن والنهج لما فيها من تعاليم جمة وارشادات لا تقدر ولكن من المؤسف جدا ان نرى الشيعة وهم أحق بأن يجعلوها قبلتهم ومحل اهتمامهم ودراستهم قد نظروا اليه نظرتهم الى سائر الادعية الأخرى التي يتوصل بها الى الله تعالى والتقرب اليه فهم لا يقرؤونها الا اذا أهتمهم أمر او أرادوا طلب أمر فيلجؤون اليها ولا يقرؤونها على ا أنها درس وعلم او ارشاد وأخلاق فهم غفلوا عن الغرض الحقيقي الذي دعا الإمام عليه السلام الى وضع الصحيفة لأنهم غفلوا عن الوضع السياسي حينذاك والذي لعب دورا هاما في وضع ارشاداته ونشر رسالته ومهمته في مثل هذا الاسلوب الخاص تحت ستار الادعية والآن نرجع الى بحثنا الاول



فقد قلنا سابقا ان الاخلاق الفاضلة او الشريرة انما تكسب من الخارج فهي من الافعال الاختيارية للإنسان اذ ان الطبيعة البشرية لم تطبع على خير ولا على شر وانما الخير والشر يأتي من خارج الطبيعة وانما كانت قابلة للخير والشر لأنها تحت سيطرة الانسان ولم يجبر عليها فهي تتصف بالخير والشر اما الافعال غير الاختيارية فهي غير قابلة لوصفها بالخير والشر ولذا قلنا ان الغرائز في انفسها لا هي خيرة ولا هي شريرة لأنها طبيعة غير مختار بها الانسان وانما ليست بافعال اختيارية له ولكن اشباع تلك الغرائز هي التي تجعلها خيرة او شريرة اذ هي بالذات غير قابلة لكتلتها ولكن اتصافها بهذين انما هو ثانيا بالعرض واسباع تلك الغرائز هي من الافعال الاختيارية له وعليه يثاب ويعاقب فغريزة حب الذات مثلا ليس في نفسه شر اذ ليس الانسان في الحقيقة الا نفسه ولا يسعى خطوة الانفسه ولا يفعل فعلا الارضاء لها وهو انما يضحي بنفسه ومادته لأجل شيء معنوي لأنه يريد ان يرضي نفسه المحبة للفضيلة المعنوية وليس العالم اجمع الا نفسه فيها قوام الانسان ولكن اشباعها من طريق غير صحيح هو الى الشر او يشبع حب ذاته بالحسد والتكبر والظلم والانفاس من شأن الآخرين وغير ذلك.

والافعال للإنسان - التي لا تكون الا اختيارية - في قسمين :

١ - قلبية ٢ - جوارحية .

فالاولى : هي حركات البدن واعضاءه كالمشي وغيرها .

والثانية : هي التي تكون صادرة من القلب وهي عقد القلب على الصلاح او الحسد والبغض مثلا .

وفي الحقيقة ان النفس هي مصدر كل القسمين فحركة العضو لا يكون الابارادة من النفس وكذلك الفعل القلبي على خلاف اليقين فانه ليس من ارادة النفس .

وقوله تعالى ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنُتُهَا أَنفُسُهُمْ﴾ هو دليل على وجود الافعال



القلبية وانه غير الاستيقان بل مرتبة ثانية تأتي بعده فهم جحدوا بعد ان استيقنوا بالحق بمعنى انكشف لهم الواقع وعلموا بالحقيقة ولذلك لم يسمونهم (مؤمنين) رغم انهم انكشف لهم الواقع فالمتافق انها يذهب هو بعد استيقانه بالحق وعلمه به ولكن لا يعتقد قلبه عليه ولا يتلزم به لغالطات نفسه وتكبره وحسده ولهذا اختلفوا في تفسير الآية لاختلافهم في تفسير الایمان ظنا منهم ان الایمان بالحق هو انعقاد به ولكن الصحيح ان الایمان هو انعقاد القلب والالتزام بها اعتقادوه فالجحود معنى قلبي والاستيقان بمعنى العلم ليس بفعل قلبي اختياري فأولئك الذين غلطوا في تفسير الآية يعتبرون ان الجحود ليس من الافعال القلبية فعندهم ان الجحود هو عدم الاقرار باللسان فهم استيقنوا وانكشف لهم الواقع ولكنهم انكروه بلسانهم.

اذن فما هو تعريف الایمان هل هو الاقرار بالجنان والاعتراف باللسان او الاقرار بالجنان فقط والصحيح هو الثاني لأن مناط الایمان وقوامه هو لإقراره بالقلب والالتزام بالجنان أما شرط الاعتراف في اللسان فليس شرطا في مناط الایمان وقوامه نعم هو شرط في الرجل المؤمن فلا يكون المؤمن مؤمنا اذا لم يكشف عن اقراره بقلبه باعترافه وقد يكون هذا الشرط اعتمادا على دخوله فيه اذ الرجل المؤمن هو مسلم وشرط الاسلام وقوامه الاعتراف باللسان فيدخل الشرط فيه دخول العام في الخاص كما تدخل الحيوانية في الانسان وما اكثر ما نعتقد بأشياء ولكن لا نلتزم بها ولا نعقد لها بقلوبنا عليه فنحن نعلم ان الكذب رذيلة ولكن نكذب لانا نتعامي عنه ولا نلتزم به فليس هو بإيمان ولذلك كان ذا مراتب بدلليل قوله (اكملا الایمان) واذا كان بمعنى الاستيقان والعلم فليس بذى مراتب لأنه اما يعلم او لا يعلم فليس هناك علم بمعنى الانكشاف على الواقع...فإن أولئك الذين يقلدون آباءهم في رذائل بعد ان يستيقنوا انها رذائل ليسوا بمؤمنين وان كان الواقع قد انكشف امام أعينهم وليس الالتزام وانعقاد القلب على اليقين بالشيء



اليسير فمثلاً كان (الحر بن يزيد الرياحي) يعلم بأنَّ الامام الحسين<ص> على حق قبل زمان طويل الا انه عندما عقد قلبه والتزم باليقين أتى الحسين ليعرض عليه مناصرته اعتبرته حالة مثل الأفكل دليلاً على صعوبة الایمان وعقد القلب على الالتزام فأولئك الذين يعرفون الایمان بالعلم واليقين بعد الاقرار باللسان للكشف عن اليقين بتعریف قوله<ص> «أَكْمَلَ الْإِيمَانُ» فهو اشعار بتفاوت درجات الایمان فيبطل قول أولئك الذي يفسرون به باليقين والكشف عنه لأنَّه لا يقبل التفاوت بالشدة والضعف.



## المحاضرة السابعة

(١٠ رمضان ١٣٦٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال إمامنا زين العابدين عليه السلام: «**وَبَلَغَ يَأْيَمَانِي أَكْمَلُ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ**» وقد تقدّم الكلام عن معنى الإيمان الصحيح والآن نتكلّم عن اليقين فنقول أنه (العلم الجازم) وقيده بالجazم ليخرج اليقين بمعنى العلم الذي جاء بالأية السابقة **﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾** وهو يكون قبل الإيمان إذ لا يمكن أن يؤمن إليها أن يعتقد بالحق ويعلم به أما اليقين بمعنى العلم الجازم وهو الذي يأتي بعد الإيمان وهو أفضّل من الإيمان وأعلى درجة منه لأن فيه انكشاف الستر عن الحقيقة والإيمان هو انعقاد القلب والالتزام به بعد العلم به واليقين الجازم هو أعلى درجات العلم بحيث لا يبقى هناك أي شك أو ريب في ما تيقن فيه لأن الحقائق تتكشف أمام عينيه فيراها واضحة لا غبار عليها وللتوصّل إلى اليقين طريقان:

١ - يتوصّل إليه بطريق المقدمات التي توصله إلى النتيجة المنطقية ويسمى بعلم النظار.

٢ - يحصل بالإلهام والتجلّ والوحى ويسمى بالحدس.

وأكثر الخواطر القلبية والانقداحات النفسية بالأفكار والأراء التي توصله إلى اليقين بحيث لا يبقى هناك شك في نفسه والتي لا يعلم مأتاها هي من قبيل الإلهامات وكل إنسان أودع فيه هذه الملكة للتوصّل إلى اليقين وفي كل إنسان مثل هذه الانقداحات في نفسه والتي توقعه على الحقيقة الناصعة ولكن ليس كل أحد يستفيد من هذه الخواطر



لأن هناك من لا يلتفت إليها ولا يعيرها التفاتاً فتذهب وهو لا يدرى أنها كنز من المعرفة ثمين.

وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ إشارة للطريق الثاني من تحصيل اليقين أي اليقين من طريق الإلهام والتجلّي فإن النفس إذا استطاعت أن تتجدد عن نفسها وذاتها وتنقطع عن كل شواغل الدنيا خالصة إلى الله سبحانه تتجلى أمامها الحقائق وتعلم بأسرار الكون وتقرأ ما في اللوح المحفوظ وتطلع على الغيب وكل نفس لها هذه القابلية ولكن المادة والشهوات والدنيا هي التي تحول دون ذلك.

ونحن نعجب عندما نرى من أئمننا هذا العلم الغزير وهذه الحقائق التي لم تك تعرف في ذلك الوقت والتي لم يستطع تفسيرها أصحاب ذلك الزمن حتى أتى هذا العصر ببريقه العلمي فاستطاع أن يكشف تلك الأسرار العجيبة التي توصلوا إليها ونحن نعجب عندما نرى أن أئمننا علمهم بالغيب وإخبارهم بالغيبيات ولكن علمنا أن علمهم هذا ويقينهم من طريق الإلهام والتجلّي بانقطاع النفس وتجددها ومن يكون علمه هكذا لا يتوقف على أن يكون العصر متأخراً أشواطاً بعيدة عن مثل هذا العلم لأنه علم من غير مدرس ولا تعليم والعقل الباطن هو مصدر الإلهام فعندما يكون العقل الظاهر قد غفى تبرز كوانن العقل الباطن فتوحي إليه بالعجز أو نقول أن العقل الباطن هو الذي يتربع على العقل الظاهر فيعني كإلهام الشعراء والخطباء واليقين في نفسه غير اختياري ولكن مقدماته لتحصيل اليقين تكون اختيارية فهو اختياري بالنسبة إلى مقدماته الاختيارية. والإيمان كذلك اختياري ولكن هو فيه نفسه اختياري والفرق بينهما كالفرق بين من يمشي بنفسه و اختياره وبين من يهدم الحائط بمعوله فهو بالحقيقة لم يهدم الحائط بنفسه ولكنه قد هدم بسبب المعول ولذا يقال أن اليقين من الأفعال الاختيارية التشبيهية.



واليقين له مراتب تختلف قوة وضعفاً مع أن كل أقسامه من اليقين الذي لا شك منه ولا ريب وأقسامه ثلاثة:

١ - علم اليقين: ويكون هذا اليقين به عند النفس بالدليل والآثار.

٢ - عين اليقين: ويكون يقينه من طريق المشاهدة.

٣ - حق اليقين: وهذا أقوى المراتب ويكون بالفناء في الشيء كما لو علمت بوجود النار وتيقنت به يقيناً لا محل للشك فيه ولكن علمك به تارة يكون برؤية الدخان الذي هو من آثاره ودلائله وتارة يكون برؤية النار ومشاهدتها بنفسك وهو أقوى يقيناً في الأولى وتارة يكون بالاحتراق فيها والفناء وهو أقوى الأقسام ومعرفة الله وتيقن النفس بوجوده إن كان من الآثار والدلائل يكون يقينه من القسم الأدنى وهو علم اليقين وإن كان بالفناء فيه يكون من القسم الأعلى وهو حق اليقين ومتى نعى هنا المشاهدة ويقين الأمير على ﷺ هو من قسم الفناء في ذات الله لذلك قال: «لو كشف لي الغطاء لما ازددت يقيناً» أي أن يقينه بلغ من الدرجة لو أنه كشف له الغطاء وشاهده - وهو يستحيل - لما ازداد يقيناً به فيشعر أن اليقين بالفناء أعلى من اليقين بالمشاهدة لذلك فإن الإمام زين العابدين طلب من الله أفضل أقسام اليقين فقال: «واجعلني يقيناً أفضل اليقين». وقد قال «واجعل يقيني أفضل اليقين» ولم يقل «وبلغ يقيني أفضل اليقين» لخصوصية هناك وإشعار بالفرق بين الإيمان واليقين وليس هذا التبديل مجرد تغيير عبارات كما يظن لأن الفرق بين قوة الإيمان وقوة اليقين واستدادهما كالفرق بين اشتداد قوة نور المصباح من الضعف إلى القوة وبين إتيانك بمصباح ذي خمسين شمعة ثم تدعه وتجعل محله مصباح ذي مائة شمعة وكل من كلمتي (بلغ وأكمل) في كلمة الإيمان وكلماتي (أجعل وأفضل) تشير إلى هذا الفرق الدقيق فإن قوله بلغ تفيد حتى السحب والإيصال والاستمرار من درجة الضعف إلى درجة القوة وكلمة أجعل تفيد معنى الإبدال من درجة إلى درجة أي



بدلّني من يقين أضعف إلى يقين أقوى لأن مراتب اليقين مختلفة بعضها عن بعض وليس اختلافها اشتداد قوّة بل اختلاف انتقال من مرتبة إلى أخرى تغايرها ولذلك تكون مراتب الإيمان كثيرة لأخذها وكذلك قوله أكمل بأنها تفيد معنى الاستمرار من النقصان أي الكمال في القوّة والضعف لأن الإيمان قابل للاشتداد بخلاف اليقين وقوله أفضل تفيد الانتقال من مرتبة فضلى إلى مرتبة أفضل مختلفة عن الأولى في الفضل فمن درجة علم اليقين إلى عين اليقين إلى حق اليقين.

وإذا بلغ اليقين إلى أعلى درجاته عند أمرئ يكون ذنبه هو مجرد إدارة وجهه عن الله عن توجهه إليه.



## المحاضرة الثامنة

ودعائه ﷺ

«... واجعل يقيني أفضل اليقين وانته ببنيتي إلى أحسن النيات ويعملني إلى أحسن الأعمال اللهم وفر بالطفلك نيتى واستصلاح بها عندك يقيني ...»

موضوع حديثنا اليوم عن النية وهو موضوع طويل عريض من نواحي شئ فهناك ناحية الفقه مثلاً وغيرها. وقد وردت من نبينا وأئمتنا (عليهم الصلاة والسلام) كلمات تدلّ عن مدى قيمة النية في الأفعال وعن مدى تأثير النية في الأفعال فإن باستطاعتها أن تحول عمل المرء الحسن إلى سوء وأن تغير العمل غير محمود والواجب إنزال العقاب عليه إلى عمل قد يثاب عليه إذا كانت النية حسنة والقصد محمود إذن فلا عجب أن يكون المدار في حسن العمل وقيمة هو حسن القصد أو قيمته وأن يكون قدر الثواب والعقاب إلى مقدار ما في النية من قصد حسن أو قبيح لذلك ليس من الغريب أن يرد من نبينا ﷺ ما يقدم منه النية على العمل ويجعلها خيراً من الأفعال بعد أن كان المدار في الحسن والقبح هو النية فيقول: «نية المرء خير من عمله» ثم يرد من أئمتنا ما يحصر الأفعال بالنيات ولا يجد للعمل أهمية تذكر وإنما يجعل النية هي الأصل في الأفعال وقوامها فقال أحدهم: (إنما الأفعال بالنيات) فالنية إذا هي قصد الفعل وهي أول قوام يقوم عليه الفعل الحسن لأن قوام هذا الفعل الحقيقي ثلاثة:

١ - علمه عند إقادمه عليه بأنه فعل حسن شريف.

٢ - قصد الغاية الشريفة من وراء عمله هذا.

٣ - أن يكون العمل في الحقيقة وفي نفسه حسناً.



فإذا لم يتحقق الشرط الأول بأنه لم يكن يعلم عند إقدامه أن هذا عمل شريف محمود لم يكن الفعل حسناً حقيقة وإن لم يكن من وراء عمله إلا الرياء وإظهار نفسه للناس إظهار الرجل المتدين الخير أو يجعلها وسيلة لغاية دنيوية مقيمة ولنفع مادي دنيوي لم يكن عمله حسناً وإن كان العمل في نفسه غير محمود وغير شريف وإن كان عمله به حسناً وشريفاً وإن كانت نيته عند إقدامه عليه حسنة خالصة لم يكن العمل مجيداً في نفسه.

والغاية المقصودة لفاعل الفعل تختلف لاختلاف مدى شرفها وحسنها فمرة يصلى لأن ينجيه من عذاب أو يثيبه أو طمعاً في جنته ففي هذه خالصة من أي غرض دنيوي أو رباء أو نفع مادي عاجل وتسمى نيته خالصة ومرة يصلى ولا يطمع من وراء صلاته أن يحصل على جنته أو تخليصاً من عذابه فلا يريد بها إلا وجهه ولأنها شكر واجب يجب أن يؤديه لما أسبغ عليه من نعمه وحياته ولما أنعم عليه من فضائل ومحامد فلا يقصد فيها جزاء ولا شكوراً حتى ولو عذبه خالقه وأذاقه من نار غضبه لم تزعزع نيته ولم يحتاج على فعله لأنه لم يقصد من وراء فعله شكرأً وجراً بل لم يقصد إلا وجهه ورضاه وهذه هي أبعد غاية يتطلّبها. قال أمير المؤمنين: «إلهي ما عبدتك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك» فهو لم يعبد لخوف أو طمع بل كونه أهلاً لها لأنّه أنعم عليه بخلقه وسائر نعمه من دون استحقاق منا على نعمه وهو كافياً لأن يعبد ويشكّره ويسمى هذا النوع من النية حسنة وهي أشرف نية يتقدّم بها العبد لسيده وأعلى مرتبة من أختها لأنها خالصة من كل طمع دنيوي وأخروي إذن فعندها خلوص نية وحسن نية والأخيرة مما لا يقدر عليها إلا الأنبياء المقربون وعباده الصالحون ذلك لأن تصحيح النية وخلوصها من أي غرض نفسي ونفع مادي وإن إبعاد غرائز النفس وشهواتها وكتتها ومنها حب المدح وحب إرضاء الناس وحب إظهارها بهذا المظاهر من



أشقّ الأعماّل وأجهده على النفس ما لا يقدر عليها إلّا من راض نفسه رياضة متبعده وتتأتى هذه الفضيلة كباقي الفضائل بالتكرار والتعويد متى تصبح عنده ملكة وعادة ترسّخ في نفسه لا يتمكّن أن يخالفها ويسيّر بما لا يوافق رغبتها ولكنها ملكة شاقة وعادة أقرب إلى الاستحالّة لنا منها إلى غيرها لأن انقطاع المرء مع كل علاقته بالدنيا ليس بالشيء الهينيّ اليسير لهذا ورد من النبي قوله: «نِيَّةُ الْمَرءِ خَيْرٌ مِّنْ أَعْمَالِهِ» لما لها من جهد ومشاق وتضحية عسيرة وهذا قدّم الإمام ذكر النيّة على العمل في قوله: «وَانْتَهِيَ إِلَى أَحْسَنِ النِّيَّاتِ وَبِعَمَلِ إِلَى أَحْسَنِ الْأَعْمَالِ» وقوله (انتهي) يستشعر منها أن للنيّة ابتداءً وانتهاءً وأن الانتهاء إلى غاية حسنها فيها صعوبة ومشقة شأنه شأن كل انتهاء إلى الغاية القصوى وأنها لا تتأتى بقلقة لسان فيقول «أنا حسن النية في عملي كذا». ثم قال ﷺ: «اللهم وفر بلطفك نيتى، وصحّ بما عندك يقيني،...» وكلمة وفر من التوفير وهي الزيادة والنیّة هذه تأكيد لما قبله. والجار والجرور من قوله (بها عندك) متعلق بيقين و فعلناه (وصحّ بما عندك يقيني) من معاد وقدرة وجربروت وجذراء وثواب وغيرها. وإذا كانت النية واطئة بأن كانت خالصة لكنها ليس الحسنة تقبل ولم يعاقب عليها - كما يُظن - ولكن قبولها شيء وأن تكون للعبد عند ربها منزلة عالية كريمة شيء آخر.

## المحاضرة التاسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ﷺ: «... وَأَكْفُنِي مَا يَشْغَلُنِي الْأَهْتَمُ بِهِ، وَأَسْتَعْمَلُنِي بِمَا تَسْأَلُنِي عَنْهُ وَأَسْتَرْفَعُ أَيَّامِي فِيمَا حَلَقْتِنِي لَهُ».»

أقول: من مفسدات الفتن ومساوئها التي تحط من قيمتها وتقلل من أهميتها الحرص على الدنيا ولم يكن هناك منشأ لهذه الظاهرة التي تمثلت بجل البشر تقريباً سوى جهلهم بقضاء الله وتدبيره فإن الإنسان يحتاج إلى الله تعالى في كل أمور حياته صغيرة كانت أو كبيرة مفتقر إلى مشيئته ومعونته في كل ما يشاء ويريد فهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا إذا أراد الله ذلك ولا يستطيع هو أن يعمل شيئاً وينجز أمراً إذا قضى الله أمراً بخلاف إشاعته وإرادته البشرية وكل ما أعطاه من حرية يستطيع أن يفعل شيئاً فإنه ذلك بمشيئته تعالى.

فكل شيء إذن هو خارج عن قدرته وإرادته فمثلاً هذه (اللقطة) التي يأكلها لم تصل إلى هذا الدور التي أصبحت فيه صالحة للأكل إلا بعد أن بذل من أجلها عشرات الناس من جهودهم وتضحياتهم حتى أصبحت رغيفاً من الخبر يأخذه سريعاً ويأكله سريعاً. فهو بهذه اللقطة - التي هي أصغر أمور حياته - يحتاج إلى هذا العدد الضخم من المجهود ومفتقر إلى كل هؤلاء الناس الكثيرين لأن هذه اللقطة الصغيرة مقدمة وأسباب كل واحد من البشر قد استقبل بسبب أو أكثر في هذه الأسباب وكل واحد من أولئك مفتقر إلى ظروف معينة حتى يتمنى له أن ينجز عمله ولن تنتهي تلك الظروف إلا بمعونة الله وتدبيره. ثم نحن لو رجعنا إلى مبدأ هذه اللقطة وهي بذرة معروضة في



الأرض فنجد أن أسباباً وظروفاً ما شاء الله يجب أن تتهيأ حتى تخرج هذه البذرة إلى حيتها الأرضية فالبذرة مثلاً تحتاج في أول حياتها إلى المطر والشمس واعتدال الهواء وصفاء الجو وغيرها من الطواهر الطبيعية الخارجة عن طاقة كل إنسان والتي لا تتأتى إلا بقضاء الله وتدبیره حتى تلك الأسباب التي نقوم بها بدور الوسيط لنتيج هذا الرغيف والتي نتوهم أنها في استطاعتـنا ومقدورـنا لا نتمكـن أن نقوم بدورـها من غير معونـة من الله فلو لم يعطـنا الله القـوة علىـها والصـحة علىـها مباشرـتها لما تمكـنا من القيام بواجبـها إذن فـكل شيء راجـع إلى الله وكل أمر هو من تدبـير الله وتقـديره ولـسنا نـحن إلا سـبب يستعملـنا الله لنـمثل الدور البـسيط فإذا انتـفى هذا السـبب أو فقدـت مـقدمة من تلك المـقدمـات فإنـ الأمر يـنهار بـكلـه من ذلك إذا لم يـرد الله ذلك فإذا كان الله هو المـدبـر الحـكيم وهو المـهيـأ للـغرض والـظروف وأنـ الأـعـمال التي نـقـوم بها هي خـارـجة عن عـلاقـتنا ولا نـسـتطـيع أنـ نـزـيد فيـه وأنـ نـنـقصـ منها فـمنـ السـخـفـ أنـ نـحرـصـ علىـها ونقـضـي حـيـاةـ بأـكـملـهاـ فيـ سـبـيلـ أمـورـ هيـ لـابـدـ تـنـتهـيـ إـلـيـنـاـ إـذـاـ قـدـرـ اللهـ وـأـرـادـ وـمـنـ السـخـفـ أنـ نـضـحـيـ منـ أـوـقـاتـناـ وـجـهـودـناـ الـقـسـمـ الـأـوـفـرـ لـشـيءـ لـمـ نـخـلـقـ لـهـ وـلـمـ يـكـنـ منـ أـيـدـيـنـاـ وـفـيـ سـبـيلـ أمـورـ تـكـفـلـ بـهـ اللهـ وـلـاـ رـادـ لـقـضـائـهـ لـمـ نـرـدـ مـنـ كـلـامـناـ هـذـاـ أـنـ نـجـحـدـ رـأـيـ أـوـلـئـكـ الـذـينـ يـجـبـونـ الـقـعـودـ فـيـ السـعـيـ إـلـيـ تـحـصـيلـ أـرـزـاقـهـمـ مـعـتـقـدـيـنـ أـنـ اللهـ مـاـ دـامـ قدـ كـفـلـ لـعـبـادـهـ الرـزـقـ وـقـسـمـهـ عـلـيـهـمـ فـلـابـدـ أـنـ يـأـتـيـهـمـ وـلـكـنـهـمـ غـفـلـوـاـ عـنـ أـنـ لـكـلـ أـمـرـعـ ماـ سـعـىـ وـلـكـنـاـ أـرـدـنـاـ أـنـ نـقـولـ أـنـ الـحـرـصـ الشـدـيدـ وـالـأـنـهـاكـ عـلـىـ الدـنـيـاـ وـالـتـهـالـكـ عـلـىـ شـيـءـ مـقـدرـ لـاـ يـفـيـدـنـاـ التـهـالـكـ عـلـيـهـ إـلـاـ التـعبـ وـالـخـيـةـ وـقـضـاءـ أـوـقـاتـنـاـ بـأـجـمـعـهـاـ لـتـحـصـيلـ شـيـءـ يـأـتـيـنـاـ بـأـقـلـ جـهـدـ وـإـنـزـرـ تـضـحـيـةـ لـمـ نـجـنـ مـنـهـ إـلـاـ الـخـسـارـةـ الـعـظـمـيـ وـالـبـلـيـةـ الـكـبـرـيـ فـيـ إـغـفـالـنـاـ لـتـرـبـيـةـ نـفـوسـنـاـ وـإـهـمـالـنـاـ الـجـانـبـ الـإـنـسـانـيـ الـمـهـمـ فـيـ الـأـمـرـ الـذـيـ خـلـقـنـاـ لـأـجـلـ الـحـرـصـ عـلـيـهـ وـعـلـىـ تـنـشـيـتـهـ التـنـشـعـةـ الـمـثـلـ فـنـحنـ لـمـ نـخـلـقـ لـنـشـرـبـ وـنـأـكـلـ وـنـقـضـيـ جـلـ حـيـاتـنـاـ الـثـمـيـنـةـ مـتـنـقـلـيـنـ بـيـنـ الـأـكـلـ وـالـشـرـبـ وـلـكـنـ



خلقنا لنكون إنسانين مثاليين ولا يكون ذلك إلا بترقية الجانب الإنساني فينا وإنماء النفس العالقة في نفوسنا وتربيه الفضائل والأخلاق الحميدة الصالحة لتصبح لنا عادات وسجايا لأنّا خلقنا لنكون كاملين في نفوسنا قريبين من الكمال الذاتي فهذا هو الأمر الذي أنيط بنا وأوكل إليها الاهتمام به بعد أن كفانا الله مؤونة السعي والحرص على الرزق إلاّ بقدر معلوم فذلك قال الإمام رحمه الله «واكفني ما يشغلني من الاهتمام به» أي إكفي الأمور التي تشغلي عن واجباتي وعبادتي التي خلقتني لها أما تلك الأمور التي لم نخلق لها ولم تستطع أن تربى في نفوسنا العاقلة الكمال واكفني أمرها من الاهتمام بها ولا تشغلي وقتى بأجمعه في سبيل تلك التافهات التي لا تستطيع أن تربى الجانب الإنساني في النفس.

ثم قال: « واستعملني بما تسألني غداً عنه» أي اجعلني عاملاً في الأمور التي أسأل عنها في الآخرة ولا تجعلني عاملاً لأمر أنت بعيد عن سؤالي أيّاً عنّها. وليس الصلاة والصوم وغيرها من الأمور الدينية هي التي يسأل الله عبده عنها بل أن المهم أيضاً أنها واجبات كافية يُسأل عنها الله إذا فرّط بها ولم يقم بواجبها وكذلك الأعمال التي يراد بها وجه الله ومرضاته هي أيضاً عادات مطلوبة وأوامر يجب القيام بها.

ثم قال: « واستفرغ أيامك فيما خلقتني له» أي املأ أيامك ولا تجعل لي وقتاً دون أن تملأه لما خلقتني له من العبادة لك والامتثال لأوامرك واستفرغها من أمور لم تطلبها مني ولم أفر منها برضاك.

ثم قال: والمطلوب من الإنسان في حياته أن يربّي نفسه الإنسانية وينمي فيها الفضائل والمحاسن ويرتقى بإنسانيته إلى مدارج الكمال ولا يكون ذلك إلاّ بمحاسبة نفسه محاسبة دقيقة بكل ما يصدر منها والتأمل بكل عمل يقدم عليه ليرى هو أنه أصاب الفضيلة بعمله وهل هو فرّط منه ليتجنب بعد ذلك الفضيلة كما قلنا هو أن يعمل بقدر



لئلاً يتورّط في رذيلتي الإفراط والتفريط لأن الفضيلة هل نقطة الوسط والاعتدال بين شيئين خارجين عن مصداق الفضيلة. بين هذا الشيء المعلوم وتحقيق نقطة الوسط من أصعب الأمور وأشقّها على النفس تتطلّب جهوداً بخلاف الرذيلة فإن فعلها لا يحتاج إلى أي جهد أو نصب لأن محيطها واسع فهو يستطيع أن يصيبها من دون أي دقة أو معرفة. ولتقريب المعنى نقول أن الفضيلة من سبيل إجابة الهدف لكن إن إصابة الهدف الدقيق يحتاج إلى معرفة ودقة نظر وفطنة وتوجّه للنفس كذلك إصابة الفضيلة في عمله لذلك قلنا من يحمل الحسن يحتاج إلى معرفة في كونه شريفاً ونبيه والاصابة للهدف الحقيقي الشريف يعكس الرذائل فإنها من قبيل خطأ للنفس فليس هناك هدف ليدقق النظر فيه لإصابته ولكن كمن يرمي حجراً على رسله من دون أيها جهد أو بذل لتصحية فمحاسبة النفس محاسبة دقيقة ومؤاخذتها على كل صغيرة وكبيرة تصدر منها هو الطريق الصحيح للسلوك بها إلى نقطة الهدف والوقوف بها على الفضيلة مثلاً إلى المعرفة على أحد بفضيلة الرزق ووفرة المال فقال: «واغتنى وأوسع علي من رزقك ولا تبتلي بالبطر» فذكر من ملازمات النفس التي تنشأ على الإهمال والغفلة على إنهاك النفس وهو البطر بالنعمة والعطاف هنا ليس عطف تفسير لأن الغنى المقصود هنا ليس وفرة المال بل غنى النفس والقناعة التي هي معنى الغنى الحقيقي والمصداق الصحيح للغنى لأن معناه هو عدم الحاجة إلى الغير من جنسه لأنه غني بنفسه عن مساعدة الغير وقد يكون في وفرة المال غنى وقد يكون فقراً فيما إذا كان طماعاً جشعًا إلى آخر حدّها فهو يكون دائمًا محتاجاً إلى غيره فيقر إليهم لأن طمعه في كسب المال وجشعه في الاستزادة منه تحول دون غنى النفس وقناعتها بما قسم لها الله فهو قد طلب المال من الغنى ولم يطلبها وحدها وقدم النفس على المال لأهميته وليس الرزق الذي حسبه الإمام من بارئه محصوراً بالمال ووفرته بل كل الصفات التي يملئها غنى النفس غير محتاج إلى أحد إلا إليه تعالى فالجاه



والقناعة والحب وكل نعمة رزق منه.

ثم قال: «وأعزّني ولا تبتلني بالكبر» فهو قد طلب عزّة النفس والأئفة من الرذائل والصغراء وطلب أيضاً إبعاد الكبر عنه التي تنشأ عند البعض من الإفراط في هذه الفضيلة نتيجة للغفلة والإهمال النفسي من المحاسبة والتدقّيق فهو يتکبر ويسمخ ويصرع خده ظناً منه أنه العزة وشتان ما بين الفضيلة والرذيلة.



## المحاضرة العاشرة

حدينا أمس عن الكبر والعجب ونظراً لأهميتها وأثرهما السيئين على حياتنا نتدرج إليه لنشبعه درساً عميقاً. وهو من الآفات العظيمة وخصوصاً من ابتي بتحصيل العلم ولأهل العبادة والزهادة فإنها باستطاعتها أن تمحى كل ثواب وجزاء ينالها المرء من فضيلتي العلم والتعبد لأن المتكبر يجد نفسه أنها ذات قيمة حقيقة وليس قيمتها في الحقيقة إلاّ من فيض الله تعالى ونعمه وتوفيقه وليس للإنسان إلاّ أن يطيع ويمثل وإطاعته أيضاً هي من فيض الله تعالى وهباته وكل موجود حقيقته مخلوقة من حقيقة الفقر وال الحاجة وليس له أي استقلال خارجي والمتكبر لا يتكبر إلاّ بشعوره أنه مستقل بفضائله وقيمته مع أنه في الحقيقة إنما يمثل قضاء الله وتدبيره. مثلاً هذا الشعاع الذي ينتشر على جوانب المصبح وليس له أي وجود استقلالي وليس له أي كيان خاص به وإنما وجوده وكيانه بوجود المصبح وكيانه فلا معنى لاستطاله الشعاع بنفسه وشعوره بأنه ذو كيان مستقل بعد أن كان وجوده فيضاً من وجود حالقه وهو المصبح. وقد يستطيل البعض على الآخر ويتكبر لما ملك من صفة توهمه لأن يستطيل ويتكبر وقد يكون ذلك المتكبر المدلّ بقيمه أنزل منزلة وأخفض درجة من ذلك لصفة مستترة هي أعلى من كل قيمة وصفة ذلك المدلّ فهل يجوز له وهو لا يعلم من أمر أخيه إلا الظاهر القليل أن يدل عليه فيتكبر. والسبب الوحيد لهذا الشعور الذي يدخل المرء فيخدعه عن نفسه وحقيقة هو شعوره بالضعف وإحساسه العميق بنقصه فهو يريد أن يكمل نقصه لأنه لا يستطيع أن يواجه نفسه ويصارحها بنقصه المؤلم فيأخذ بمعالطة نفسه ومخادعتها عن أن تشعر بهذا الذي يجلب إليها الألم الأليم فيتكبر ويستعلي ظناً منه أنه



يستطيع أن يخفى شعوره العميق بنقصه بعد أن عجز عن إكمال نقصه من طريق آخر مشروع.

ومظاهر التكبير كثيرة فهي تتجلّى بكلامه وجلوسه ومشاهده وكل ما تصدر منه من أمور وظواهر وحركات، قال الله تعالى ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ﴾ وقد تأتي المراء هذه الرذيلة من دون أن يحسب لها حساب من دون قصد نتيجة لهذا التشابه الدفين والاختلاف التعيس بين العزة والتكبير فهو يريد أن يتحلى بفضيلة العزة فيقع في الإفراط بها فتقلب الفضيلة إلى رذيلة الكبر والتكبير فالتكبير هو إفراط في فضيلة العزة التي هي صفة الله ورسوله والمؤمنين حيث قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فالتواضع مع العزة هو عين الفضيلة وهي نقطة الاعتدال وتحيطها رذيلتان من الإفراط والتفرط فالإفراط في التواضع والعزة هي الكبر والتفرط في التواضع مع العزة هو التواضع بدون العزة وتكون بالتدلي إلى الناس والتملق ومجاملتهم مجاملة تسف به إلى التذلل لهم بالعزّة بدون التواضع هو تكبير والتواضع بدون عزة هو التملق. وللفرق الدقيق العميق بين العزة والتكبير تجد الناس في اختلاف كبير وأمام مشكلة كبيرة للتمييز بين أعمالهم وأفعالهم هل هي مصداق لفضيلة العزة أم لرذيلة الكبر لذلك تتطلب يقين الهدف الحقيقي إلى معرفة تامة وجهد واسع. وهناك صفة تدل على مدى اختلاف الناس في تفسير مصاديقها والتمييز بينا فيقال: «أن الحسن كان يلبس اللباس الحسن الفاخر ويركب المركبات الفارهة فسأله أحد شيعته قائلاً له ما معناه أن ليس التكبير من شيمة أهل البيت، فرد عليه قائلاً إنها العزة لا التكبير».

ومحاسبة النفس على هذه الأمور من أشق الأعمال وأعسرها لأن النفس لا تصبر على هذه المحاسبة ولا تتمكن أن تواجه المصارحة بسيئاتها فتأخذ بالتهرب من هذه المسئولية والابتعاد عن هذه المصارحة وليس هذه الظاهرة إنها ظاهرة التكبير فإن



الخضوع للمحاسبة والمصارحة بتأنها من شأنها أن تجرح كبراءها، نعم فإننا إذا جلسنا مع نفوسنا جلسة التدقيق والمحاسبة فإن النفس تفرغ إلى إنكار هذه الرذيلة وتنفيها عنها فقط إذا رأينا وتصر فنا نعلم أن دفاعها كان واهياً باطلأ.

ومن أهم مصاديق هذا التكبير التي نجده في أكثر الناس أنا إذا رأينا صديقاً - مثلاً - تقدم على صديقه في مجلس أو كلام أو كل ما في شأنه أن يشعر الطرف المقابل بأن عزته قد شدخت وكبراءه قد أهينت وشخصيته قد جرحت إلى أمثال تلك المظاهر التافهة التي تشعرنا بمثل هذا الشعور السخيف الذي ليس لها أية قيمة في قانون الأخلاق ولا يقيم لها الرجل الأخلاقي الحق أية أهمية وميزة.

نعم إن تلك المظاهر وأن تلك الظروف هي التي توقفنا على حقيقة أنفسنا ومباع ما تأسلت فيها جذور هذه الرذيلة وأن تلك الخليقة بأن تividنا وتتفعن للتخليص منها إن نحن عزمنا على قلع جذورها واستئصالها من نفوسنا. وأحسن طريق يتبع لمحو هذه الرذائل من نفسه هو أن يعمل بضدها ويسيير بما يخالف سيرتها ليتسنى له أن يكسر شوكتها ويرؤض من جموحها فإذا كان متکبراً فهو يتواضع حتى درجة التملق وإذا كان بخيلاً فهو يتكرم حتى درجة الإسفاف فيستطيع بمرور الزمن أن يهون من شأنها ويقلل من خطرها وإنني أذكر كلمة لأحد الأئمة عليه السلام قد استطاعت أن تصوّر معنى الفضيلة وتحجّم بين التواضع والعزة، قال ما معناه: «إذا دخلت مجلس فاجلسًا في مكان يراه الناس فيك ودون ما تراه في نفسك» ذلك أن من شأن الناس وطبعتهم أن يرى غيره أمثل منه منزلة وأدنى مكانة وقيمة لأنه لا يستطيع أن يرى في غيره إلا عيدهم ونقائصهم ولا يمكن أن يرى في نفسه غير محسنه وفضائلها لأن حب الذات المفرط هو الذي يجعله يتغاضى ويتعامل عن عيوبه ورذائله فالإمام أراد إصلاح هذه الحالة التي كادت تعم جميع البشر فهو يوصيه بأن يجلس فوق ما يراه الناس فيه لأن الغير لا يراه إلا أقل



منه فيرفع من شأنه فيه فيكون العزّ والرفة بين الناس أمر محظوظ ولكن لا مطلقاً بل بشرط أن لا يراها في نفسه لئلاً تقوده إلى رذيلة العجب ثم أوصاه في نفس الوقت أن يجلس دون ما يراه في نفسه من قيم وفضائل لأنّه يرى نفسه أرفع من غيره درجة فيقلل من منزلته ويدين عنه نفسه فلا يتكتّب فيوضع نفسه فوق منزلتها ولا يتذلل إلى الناس لأن الله قد أغناه عنهم وهكذا جمع فضيلتين العزّ والتواضع ونحن نستطيع أن نسير على هذا القانون الأخلاقي إن نحن حاسبينا أنفسنا حساب المدقق البصير وبذلنا من جهودنا ما نستطيع أن نتصرف في عاداتنا لنقلع منها الغث ونري فيها السمين.

وما بين العزّ والكبر من المشقة في التمييز ولما بينها من الفرق الشاسع لأنّه الفرق بين الفضيلة والرذيلة لذلك فإن الإمام طلب العزّ من الله وطلب أن يُبعد عن نفسه الكبر ويوقفه للتمييز بين المصداقين وأعزني ولا تبتلي بالكبر وكذلك العجب سيئة كبيرة وذنب عظيم لأن العجب بنفسه يرى أنه قد أتى بعمل يستحق كل هذا الإعجاب مع أنه في الحقيقة لم يأت به مستقلاً ومن نفسه بل بمعونة من الله وإرادته ومعنى العجب هو استقلال وخروج سلطان الله وقدرته وهو شرك خفي كما ترى لذلك طلب الإمام العبادة بشرط أن لا يدخلها العجب لئلا تذهب بحسناها وفضيلتها فقال: «وعبدني ولا تفسد عبادي بالعجب».

والفرق بين العجب والتكتّب واضح ذلك أن العجب يتعلق بنفسه فهو يعجب بصفات نفسه فقط وقد يكون متواضعاً في سيرته مع الناس أما التكتّب فيتعلّق بالناس وإن لم ير في نفسه ما يعجبه فهو يتكتّب لأنّه يريد التفوق وإكمال نقصه. ثم قال ﷺ: «واجر للناس على يدي الخير ولا تتحققه بالمن» فجريان الخير على يد المرء وجعله الواسطة لهبات الله من أعظم النعم وأكبر الهبات لأن في ذلك نفع الناس وفائدهم وفيه زيادة لجاته وقدره ولكن نفوتنا الضعيفة سرعان ما تغتر بها وتهبها الله وتعجب بها أجرى الله على



يدٰها فتغلب النعمة إلى نعمة تعود عليه. فهو لم يعلم أن الله هو الذي أجرى الخير على يديه وهو الواهب الحقيقى وأنه لم يفعل شيئاً سوى أن جعل واسطة بين الله والناس وما الناس إلا وسائل لتبلیغ خیرات الله ونعماته.

مثلاً أن ذلك المعلم الذي يعلم غيره ليس له آية فضيلة لهذا التعليم إذ أن الفضل الحقيقي يرجع إلى واضح هذا العلم ومن أساسه أما هو فليس إلا واسطة لنقل العلم من واضحه إلى تلميذه فليس له أن يمن على تلميذه لأن المبة الحقيقة التي تلقاها تلقاها من وضع العلم واخترعه.

ثم قال ﷺ: «وَهُبْ لِي مَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَاعصَمْنِي مِنَ الْفَخْرِ» من طلب معالي الأخلاق لأنها غاية الفضيلة بشرط أن لا يفسدتها ويتحققها بالفخر فالفخر صنو العجب من شأنه أن يفسد كل أخلاقه ويدهـ بكل حسناته وإنما الفخر وأقبحه الفخر بالنسبة فقد يكون من يفخر بعمل له وبفعل حصله بجهده ومجهوده عذرـه ولكن ما عذرـ ذلك الذي يفخر بشيء لم يشارك فيه من جهودـه شيئاً فهو كمن يفخر بنفسـه لفضيلة في شخص لا يمتـ إليه بسبـب ومنظـاً كل هذه الرذائل من كبر وعجب ومنـ وفخرـ هو غرورـ النفس وجهلـها بحقائقـ الأمورـ وعدمـ علمـها بأنـ اللهـ المـانـ الأولـ وهوـ صاحـبـ كلـ هذهـ الفـضـائـلـ التيـ أـجـراـهاـ عـلـىـ عـبـيـدـهـ وـالـتيـ يـتـحـلـىـ بـهـاـ البـشـرـ.



## المحاضرة الحادية عشرة

قال الامام : «ولاترفعني في الناس درجة الا حططتني في نفسي مثلها»

ظاهر العبارة تعطي معنى الشرط اي اذا رفعتني فحطتني في نفسي ونستطيع ان نصحح الاستثناء في تأويل الجملة وهو استثناء متصل اي لا ترفعني في كل حال من الاحوال الا في حالة كذا فهو يطلب ان لا يرفعه في الناس ولا يحدث له عزا بينهم حتى يحط في نفسه ويحدث له ذلة بقدر ما رفعه عند الناس وبقدر ما أعزه بينهم فنشرع من هذه ان الرفعة بين الناس أمر محبوب ولكن لا مطلقا بل ان يشعر بالضعة في نفسه لئلا يعجب ويعتر.

وفي الحقيقة ان الرجل كلما يزداد كماله وتكتثر معارفه يكون شعوره بالنقص والذلة اعمق فهو كلما زاد محسوله وكملت صفاتة ينكشف امامه مدى تقديره وتأخره ومدى بعد الشاسع لغاياته وهدفه الذي يتواخاه لذلك نرى ان المحسولين الذين هم لم يزالوا بعد في اول درجة العلم اكثر عجبا واكثر غرورا من اولئك الذين قطعوا شوطا ليس بالقليل من التحصيل وهلم جرا.

والعبارة التي تلي هذه الجملة تعطي معنى الاول وترمي الى نفس المرمى ثم قال : «وَمَتَّعْنِي بِهُدَىٰ صَالِحٍ لَا أَسْتَبِدُ بِهِ، وَطَرِيقَةٌ حَقٌّ لَا أَزِيغُ عَنْهَا، وَنِيَةٌ رُشْدٌ لَا أَشُكُّ فِيهَا» ذكر الامام في هذه الجملة شرائط العمل الصالحة وقوام الفضيلة الحقة الثالث وقد قلنا سابقا ان الفضيلة لا تتم الا بثلاثة شروط : بمعرفة بحسن العمل ونية صالحة رشيدة وحسن العمل في نفسه وذاته والامام طلب من الله تعالى كل هذه الشروط فطلب منه الهدى الصالح الذي يدله على الحسن والقبيح من الاعمال وطلب منه النية الرشيدة التي



بها يصلح العمل وبها يكون مقياس صلاحه ومساوئه وطلب منه الطريقة الحقة وهو الشرط الثالث للفضيلة وهو ان يكون العمل نيته حسن وكلامه هذا مبني على قواعد علمية اخلاقية ولم يهدى الى هذه القواعد قبل ولم يذكرها قبله سوى أرسطوطاليس ومنذ ذلك الحين الى الان لم يزد عليه احد ولا انقص منه أمرئ.

ثم ان الامام طلب ان يتمتعه بتلك الشروط لان تكون اعماله حسنة وفضائله كاملة ولاشك ان العمل الصالح هو متعة الرجل الاخلاقي ولذة المرء الذي يجد للمعنويات قيمة وهي متعة تصغر من قيمة كل متعة في عين الاخلاقي الكاملة ثم ان الامام لم يطلب تلك النعم الا وطلب معها الدوام والاستمرار وعدم الزيف عنها ثم طلب النية وطلب معها الاطمئنان اليها بقوله : اللهم ارزقني علم العلماء وعقيدة الجهلاء... لأن عقيدة الجهلاء دائمًا تكون مصحوبة بالاطمئنان والتسليم بها والاطمئنان الصحيح هو اطمئنان الامير في يقينه بعقائده وبالحقائق حيث قال : لو كشف الغطاء لما ازدلت يقينا.

وحتى بالأمور الواقعية التي نؤمن بها قد لا نطمئن اليها ولا نعتقد فيها حق الاعتقاد لان مغالطات النفس هي التي تحول بيننا وبين الاطمئنان فقال أمير المؤمنين في الموت الواقع الذي يراه كل فرد منه ولا يستطيع ان ينكره كل احد عندما تسأله عنه ولكنك تجده يقول فيقرر الحقيقة بقوله : ما رأيت يقيناً أشبه بالشك كالموت.

الإنسان مرّكب من نقص بعدي عن الكمال - بما لهذه اللفظة من معنى - لذلك تجده فقيراً إلى الصفات الكمالية محتاجاً إلى من هو أكمل منه وأقرب إليه والكمال الله وحده تفرد به واحتضن نفسه دون سائر خلقه فهو الكامل في جميع صفاته الشبوانية الغير المحتاج إلى الغير ولا فقيراً إلى أحد فهو فردٌ في هذه الصفة الكمالية ومن الممتنع عقلاً أن يكون خلقه كاماً وإنما احتاجوا إلى الخالق ولما افتقروا في الوجود إلى السبب في خلقهم إياهم ولكان الخلق والخالق في المنزلة سواء ولما كان هناك خلق وخالق بمعنى



السبب والسبب ولكانوا معاً سببين أو وجودين غير محتاجين إلى علة للوجود وهذا مما لا يعقل في الخلق كيف وهم فيض من غيره ومتسبباً بسببه ولما انفرد سبحانه بهذه الميزة في إيجاد الخلق والمفروض أنهم في الكمال سواء ولكن كاملاً بالمعنى المفهوم منه ولكن كاملاً في القدرة وهي صفة من صفاته التي يجوز فيها الكمال ولو كان قادراً مستكملاً هذه الصفة لأنها صفت له مشيئة خاصة وحياة أخرى ولما تحكم غيره في مشيئته وقدرته ولاستطاع أن يصوغ حياته بحسب ما يهوى ويريد لأنه كامل في المشيئة ولاستطاع أن يدفع كثيراً من هذه الأمور التي نجدها بالضرورة والواقع غير مستطيع أن يدفعها وغير قادر على التحكم فيها ومنها الموت والحياة فلو كان قادراً لما مات إلا بمشيئته ولما جيء إلا في الوقت الذي يريد هو لا خالقه وهذا الشيء لا يعقله أحد وقد سارت الحياة عن خلاف منهاجه بل لم يحتاج إلى برهان ودليل ولكن هناك للكمال معنى آخر هو الكمال النسبي لأنه بعد أن نفينا الكمال بالمعنى الخاص المفهوم من هذه العبارة لأنه لا يتتصف به إلا الله سبحانه وما وقع إلا الكمال في جميع صفاتاته الشبوانية كان لا بد لنا أن نضيف مفهوماً أو نعمة بحيث يشمل هذا الكمال الذي يتمكّن أن يبلغه البشر ويقدر عليه وجميع البشر لهم استعداد وقابلية إلى بلوغ هذا الكمال البشري وهو نهاية ما يستطيع البشر أن يبلغوا من الكمال وإن كان نقصاً كبيراً بالنسبة إلى الكمال الإلهي فللإنسان قدرة وعلم وغيرها من الصفات ولكنها قدرة محدودة وعلم محدود لا يستطيع منها كان أن يتعدّى الحدّ الذي أمر أن لا يتعدّاه لذلك لا تستغرب أن في كلمات الأئمة ما يشعر بالنقض والصفة ولا نعجب أن رأيناهم يهولون من خوفهم ويعظمون من ذنوبهم ويتقون الليلي بالبكاء والتضرّع نعم ليس من العجيب المستغرب ذلك عندما يحسّون إحساساً عميقاً ينقص كلامهم الذريع إذا هم قاسوه بالكمال الإلهي الأكمل وليس بالغريب أن يشعروا بالصفة عندما يشعرون أنهم لا شيء أمام عظمة الله وكماله الأوحد فهم يريدون أن ينالوا مهمتهم



شيئاً من ذلك الكمال الفريد المختص به سبحانه وحده أما كمّا لهم بالنسبة إلى أنهم بشر فهم المثال الأوحد للكمال البشري فقد بلغوا بعصمتهم وتنزيتهم وطهارتهم مبلغاً من الكمال لا بعده كمال ولكن الكمال النسبي الذي تتمكن عليه الطبيعة البشرية وتحمله قدرتها المحدودة وكذلك نحن غير المعصومين فلنا القدرة والطاقة على بلوغ كمالنا المحدود الذي نستطيع أن نبلغ ولكن الطريق الذي يؤدي إليه صعب شائك لا يتحمله كل أحد ولا يستطيع أن يبلغه إلا بالمران والرياضة النفسية الشاقة التي تستطيع أن تظهر نفسها عن تلك الأدран التي علقت بالضمير الإنساني فصطفوا بذلك إلى صف الأتقياء الصالحين والأولياء البررة الذين استطاعوا بإرادتهم ومقدرتهم وجوهرهم العظيم إلى أن يبلغوا الكمال البشري الجميل. والضمير الإنساني هو كل ما فيه الآن وهو الرسول الذي أرسله الله للإنسان لينور له الطريق ويبعده عن طرق الضلال إذ كما عبر عنه أئمتنا هو الرسول الباطن الذي وكل إليه هداية الإنسان ول يكن الرقيب الأول عليه والشاهد على كل أفعاله وأقواله فالرياضة النفسية والمران الطويل والابتعاد عن المعاصي كل هذه كفيلة بأن تقربه من الكمال البشري المنشود لأنها كفيلة بأن تنزعه الخير وترفع عنه المساوية التي أسدلتها عليه طبائع البشر البهيمية في الحقائق كما هي وليدرك قيم الأشياء من دون أن يشوّها مشوه والحكماء قد اختلفوا في الطبيعة البشرية وما فطرت عليها يشهدها وهذا بحث عميق ووعيص نرجوه إلى وقت آخر قرير إن شاء الله تعالى.

ولكن المتبع منا تاريخ البشر منذ الأزل إلى اليوم ويستعرض حوادثه ووقائعه لا يخفى عليه بفطنته أن عامل الشر هو الغالب على الإنسان وهو الذي يوحى إليه كل هذه المآسي التي تكررت ولا تزال تتکن ما بين الإنسان وما هذه الشرور التي تشمئز منها الإنسانية والتي ملئ بها تاريخها الدامي إلا دليل قوي وحجّة ناصعة على ما لهذا العامل من قوة وسطوة على الطبيعة البشرية ومن نفوذ وتحكم فيها لذلك نجد أن دعوات

الصالحين ونضالهم تجده المشقة والصعوبة الكبيرتين في الظفر من البشر بأذن صاغية وإقبال عليها لذلك تجدهم يقضون السنوات الطوال ويبدلون التضحيات الكبار حتى تجده هذه الدعوة سبلاً إلى قلوب البعض وطريقاً غير مهد إلى آذانهم وكثيراً ما تكون الخيبة نصيبيهم وعلى نقىض هؤلاء تجد أولئك الذي عرروا الطبيعة البشرية ودرسوا كنها ووضعوا أيديهم عن مواطن الضعف فيها ولما كانوا هم أصحاب مطامع ومنافع لم يجدوا أسهل طريق يتمكنون بسلوكه أن يصلهم إلى غاياتهم العميقه وأهدافهم الشخصية غير استغلال هذا الضعف البشري وإنهاء هذا العامل الخطير ليكتبوا به في نفوس اهام ضميرهم وليسدوا على أعينهم غشاوة تمنعهم من أن يروا حقيقة أغراضهم وقيمة دعواتهم فهم يأتون إلى الطبيعة البشرية في هذا الضعف فيتملقونه ويستغلونه فإذا هم يجنون الأنصار والمحبدين والمشجعين فتجد مثلاً - إذا اتبعت الحكومات الإسلامية التي نشأت في البلاد الإسلامية - أن الحكومات الصالحة الحقة التي تهدف إلى الخير والإصلاح والمساواة غير مستقرة الأوضاع كثيرة الفتنة والخلافات وتتجدد رعاياهم أسرع إلى الخلاف وقلب ظهر المجن لهم من أعدائهم حتى يمكن تلك الحكومات التي ليس لها هدف سوى إشباع شهواتها وإرضاء نفوس ملوكها فتجد أنها مستقرة هادئة قليلة الفتنة والخلاف لأنها ليس لها غرض إلاً منافعها الشخصية ولذلك فهي لا تتأخر من أي فعل إذا كان يصلها إلى غرضها وليس لها عقبة من إرضاء الطبيعة البشرية الدنسة وإرضاء عوامل الشر والرذيلة إذا كانت ترى أنها لا تفوز بأغراضها سوى إرضاء العام من الناس والسبيل الوحيد إلى إرضائهم هي إرضاء طبيعتهم التي جبلت على الشر والرذيلة أو إرضاء ذلك العامل القوي الذي يسيطر على الطبيعة وهذه حكومة أمير المؤمنين لم تتمكن أن تستقر إلاً بضع سنوات حشدت فيها الاختلافات والفتنة وكثرت فيها المشاغبات من الخاص والعام وما ذلك إلاً أن السياسة التي ساد عليها الأمير لم



تكن لتوافق الطبيعة البشرية وما جبت عليه وفطرت منذ الأزل والحكومة الأموية استطاعت أن تسير سيراً طويلاً وأن تعيش مدة تجاوزت المائة سنة مدة هادئة قليلة الفتن والاختلاف وما ذلك إلا أن السياسة التي سارت عليها هي متزعة من نفس الطبيعة البشرية وتوقع على الوتر التي توقع عليه هذه الطبيعة البشرية لذلك لن تجد من معاصريهم أي منكر يذكر لهذه السياسة ما دام المال وهو الأفيون لهذه الطبيعة يغدق عليهم بكرم وهكذا نجحت سياسة المال والخداع إرضاء الشهوات ولم تنجح سياسة الحق والمساواة وهذا أكبر دليل على ما لعامل الشر من نفوذ وسيطرة على الطبيعة.

ولكن يا ترى ما هي الفضيلة، اختلفوا في تفسير هذه الكلمة فذهبوا فيها مذاهب شتى كل يفسّرها حسب مذهبه ونظرته إلى الحياة ومعتقداته في الحياة الإنسانية وخلودها، وأهم هذه المذاهب مذهبان: الواقعيون والمثاليون. وقد فسّر الواقعيون بأنه إرضاء الشهوات واستعمال اللذات ما هي إلا صور لغرض لئلا تفوت وهذا التفسير هو يوافق تمام الموافقة مذهبهم الواقعي لأنهم ينظرون أكثر ما ينظرون إلى الواقع الذي يحسّونه تحت ناظريهم وبقية حواسّهم ولا شأن لهم بتلك الأمور التي لم تقع تحت الحس البشري لذلك فإنهم لا يفكرون بالمستقبل وما بعد الحياة الدنيا من خلود وحياة أخرى وحياة منهم ينادون باقتناص اللذات والفوز بالفرص التي تمرّ عليهم وإرضاء الطبيعة البشرية من أي طريق ما دام هناك لذة منها ونفع يرجى ولا عليهم بعد هل توسيع لهم عقوفهم استغلال هذا النفع أو هل يوافق هذا مع حياتهم في المستقبل القريب فالدنيا والحياة عندهم فرصة تذهب عنهم سريعاً فعليهم أن ينالوا منها ما قدروا عليه من لذة وسرور ونفع. خلاف أولئك المثاليين الذي يعتبرون أن هذه الدنيا وهذه الحياة القصيرة الأمد ما هي إلا وسيلة وطريق إلى حياتهم الخالدة ودنياهم التي لا انتهاء لها فليست هي نفس الغاية كما يدعّيه الواقعيون فعليهم أن يتوسعوا بمختلف الوسائل ليجعلوا حياتهم



الأخرى أرגד وأسعد وليس هذه اللذات إلا عقبة في سبيل سعادتهم في حياتهم الأبدية فليست الفضيلة عندهم إلا إنكار الطبيعة البشرية وتجاهل ونداءاتها التي تدعوا إلى الرذيلة وإرضاء الغير الحي والحقائق السافرة فهو الرسول الباطني الذي أرسله الله لنفسه الخاصة لهدايتها وإرشادها فهو المثل الأعلى لهم والقدوة الصالحة كما أن الطبيعة البشرية المثل الأعلى لأصحاب المذهب الواقعي الأول الذين همهم إرضاء النفس البهيمية كما أن هم المثاليين هو إرضاء النفس الملائكة.

وتفسير ذلك أن النفس لها ثلات وجهات: نفس بهيمية وهذه النفس تُشرك منا سائر الحيوانات فكلاهما ذات نفس بهيمية غرضها إشباع شهوتها وطلب اللذة من الطعام ونکاح وغيرهما التي جبت عليها جميع الحيوانات وهكذا لن تجد هناك فرقاً بين ذلك الذي كل همه هو إشباع نفسه البهيمية وبين الحيوان الذي تقوده غريزته إلى إشباعها. ونفس سبعة ومن شهوتها التفوق وحب السيطرة والظلم وحب التملك التي تراها أكثر بروزاً في الأسد فهو رمز للحيوان المفترس ولذلك سميت بالسبعينية. ونفس عاقلة أو مفكرة، وملائكة التي يكون الحق ديدنها وتكون أكثر غايتها وأغلى هدفها هو طلب الحق لوجه الحق ولن تجد لذة إلا به ولن تجد سعادة حقة تستفيد بها إلا إذا كان الحق بجانبها وهذه النفس هي التي ينفرد بها الإنسان عن سائر الحيوانات البهيمية وهذه هي الملكة التي أودعها الله في النفس الإنسانية ل تستطيع بها أن تصل إلى الكمال وتسمو بها إلى صفو الملائكة وهذه هي القوة الخارقة التي جعلها الله يرتفع بها إلى عالم الخير والصلاح ويرتفع بها عن أراذل الحياة والطبيعة البشرية فيها إذا أحسن استخدامها ولن يفرط بها وأيقظها بجميع ما من شأنه إيقاظاً وجعلها متأهبة للارتفاع به والسماو به إلى العالم الأعلى العالم الذي يبعده عن عالم الحياة الدنيا بما فيه من شرور وأثام. فالحق هو هدفها ومرماها ولن يضير هذه النفس أن تجد أن أنصارها قليلون جداً



وأن مناهضيها كثيرون بحيث لا تستطيع التغلب عليها فيه تُسعد عندما تعذّب وتلاقي الأمرين فيما إذا كان كل هذا العذاب من أجل الحق وحده ولن تجد عقيدتها تتزعزع ولا همّتها تخبو في الدفاع عنها عندما ترى أنها منفردة بهذه الدعوة وإليك كلمة من أحد أولئك الذين سمت بهم النفس الملائكة وطغت على كل تلك النفوس الآخر وذاقت وأذاقت من أجل إرضاء هذه النفس المفكّرة وإسعادها وهي إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على القانون التي تسير عليها هذه النفس وإنما لن تجد عن الحق بديلاً؛ فالفضيلة إجمالاً هي الوسط من الأمور وهي مركز الأشياء كما أن مركز الخطوط والدوائر هي وسطها التي يكون المحيط والبعيد عنها متساوياً وإدراك الوسط الكامل من الأمور هو من الصعوبة بمكان وقد يكون من المستحيل ولا يدركه إلاّ الأئمة المعصومين عليهم السلام.

كما إن الفضيلة مركز الخطوط ووسطها يشتمل تعبيره على الدقة لعجز من الإله فمثلاً الشجاعة تحفها من الجهتين رذيلتان رذيلة الإفراط والتفرط أما النقطة التي تفصل بين هذين الرذيلتين وهي نقطة الوسط أو نقطة الاعتدال التي لا تميل لا إلى جهة الإفراط ولا إلى جهة التفرط فهي الفضيلة الحقة فالإفراط في الشجاعة إذا هو وضع الشيء في محله وعمله في وقته المناسب غير مفرط فيها وهذا هو معنى الفضيلة ففضيلة الحكمة هي ما كانت في محلها وهكذا مشى عليها غيرها من الصفات.



## دروس في علم الاخلاق

«قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم يحافظون...»

والمراد من المحافظة على الصلاة هي المحافظة على اوقاتها الاولية وهي عند وجوب وقتها على المكلف وان تكون صحيحة طبقا للشروط والاصول وتادية الصلاة في وقتها الخاص هو في نفسه فضيلة وبها مزيد من الاجر والثواب ولكن وبالالاف أننا قد فرطنا في شرط المحافظة الأول فقد جرنا التسامح الى الكسل والتهاون عن هذه الفضيلة والسبب الاول الذي جرنا الى هذا التسامح هو جواز الاتيان بها في غير وقتها الاول وسعة وقتها وهكذا بمرور الايام ثبتت عادة التسامح والتسويف فيما حتى اصبحت عندنا من الطبيعتين ومن الامور المساغة.

ونقصد بهذه الفضيلة: أعني فضيلة أداء الصلاة في وقتها هي من نوع الفضيلة الاخلاقية التي تكسب بالتمرين والتعمود فلو نحن عودنا انفسنا منذ الصغر على هذه العادة لاصبحت فيما عادة لاتتمكن من ان تهرب منها ولا تستسيغ ان نفعل خلاف ماتركزت فيما من عادات.

ولتوسيع الفضيلة الاخلاقية نقول ان الفضيلة قسمان : ١ - الفضيلة العقلية ٢ - الفضيلة الاخلاقية.

فالاولى هي التي تربى العقل فتسمو به بالمعلومات من درجة الملكة الى درجة الفعل والعمل والمراد بالعقل هنا العقل النظري وهو الذي يكون عقلا بالملكة ثم بالفعل فان الله تعالى أودع في الانسان هذه الملكة لادراك المجهول والكشف عن المستور ولتقبل النظريات والآراء ولكسن كل مسائل العلم التي كسبها بالدرس والتعليم فادراك



حقيقة وجود الله وتعقل معنى القضاء والقدر وفهم معنى الفضيلة والرذيلة هي كلها من وظيفة العقل النظري وهي فضائل عقلية من شأنها ان تربى العقل بالمعلومات وتسمو به من الملكة الى الفعل والفضيلة العقلية التي هي نتاج العقل العملي انما تكسب بالتعلم والدراسة من خارج النفس وللتعلم ثلاث مراحل او مراتب :

١ - ان يتلقى معلوماته من اساتذته.

٢ - ان يتلقاها من تفكيره الحر والتأمل النفسي.

٣ - ان يتعلمها من كثرة المطالعة ومزاولة القراءة.

وأفضل مرتبة من التعليم وأجدى من هذه الثلاث هي المرتبة الاولى فيها اذا كان المدرس فاهما لدرسه حاذقا لفنه عارفا لاسلوب دراسته عميقا في بحثه فانه يمكن ان يوصل تلميذه الى النتيجة وخلاصه البحث من دون أي عناء ومن أسهل طريق ومن دون أن يتبعه بالخدمات الطويلة ويستطيع ان يجعل تلميذه يتلقى درسه بكل شوق وهمة ويرسمه على صفحة ذهنه بسهولة ويسهل وبوضوح بخلاف التفكير والتأمل النفسي فانها طريقة في التعليم مضنية وطويلة قد لا توصله الى شيء من العلم والعرفان وقد تضيع عليه وقتا كبيرا وجهدا ثمينا وهو يلتمس المقدمات ليوصل الى النتيجة اذا كان ذا استعداد وذكاء خارقين والافهو يقف في مكانه لا يستطيع ان يتقدم خطوة.

والتفكير الحر والتأمل النفسي هو الاساس في تعلم النفس فان النفس هي التي تعلم نفسها وهي التي تتمكن من ان ترسخه على صفحة ذهنها فاذا المرء اعتمد على أستاذه فقط من دون ان يبرع الى فكره بين الفينة والفينية متأنلا فيها درسه استاذه من بحوث ودروس يكون تعليمه قليل الجذوى ويكون كالبغاء يحفظ من دون ان يعقل مفهومها ويفكر في مبلغ حظها من الصدق والكذب ثم لا يستطيع ان يتقدم في علوم ويذكر ويبتدع كل جديد لانه ببغاء ولا هم له إلا تلقى ما يقال له.



وانها كان التعليم بواسطة المدرس افضل واجدى لانه يكون مساعدا قويا في تبنيه الفكر وعملا خطيرا في ايقاظه وبعثه الى التأمل في الطريق الصحيح فهو يوصله الى النتيجة من اقصر المقدمات وعليه بعد ان يفكر ويتأمل فيه ويجادل ويخاور استاذه اذا وجد مالا ينطبق على اعتقاده ومعرفته والا فالتفكير والنفس هو المعلم الاول فمهمة الاستاذ مؤثرة في المرء في سرعة التفكير وتبنيه العقل للمرء.

ويأتي بالمرتبة الادنى وهي الثالثة التعلم بالمطاعة فهناك من الكتب مالا تفي غرض الطلب ولا تشبع البحث ولا تعمق فيه وهناك كتب كتبت باسلوب له ظاهر وباطن قد يخفي على التلميذ المبتدئ معناه و Mgzaah او استعملت فيها اصطلاحات قد عجز حلها وتفسيرها وهناك قسم قد لا يعتمد عليه في معلوماته وآرائه ثم ان للمجادلة والمناقشة الاثر الفعال لرسوخ الدرس في ذهن الطالب ونفي عنه كل شبهة تعرض عليه وهذه لاتحصل بالكتب والمطالعة بينما هي سانحة له مع استاذه وفيها المجال الواسع لها وللاستاذ الحرية الكاملة في ادخال ما يقوله في فكر الطالب بشتى الحيل والوسائل فليس كل الطلاب هم سواء في الفهم والادراك فكل واحد له الاسلوب الخاص في تعليمه وتدریسه فمن آثار التعلم بالمطالعة هو بطء التفكير والاحتياج الى الزمن الطويل ولذا فافضل الطرق هو التعلم من طريق الاستاذ ليكون الباعث على بعث التفكير ودعوة الذهن الى التأمل.

والفضيلة الاخلاقية هي من شأنها ان تسمى بالعقل الى الكمال والتخلق بالاخلاق الحميدة والتعود على المزايا الحسنة، والمراد بالعقل هنا هو العقل العملي وهو الذي يدرك المحسن والمساوئ بادراك ان الكرم فضيلة والصدق فضيلة والشجاعة فضيلة وهو من ادراكات العقل العملي وهذا الادراك هو الفضيلة الاخلاقية وهذه الفضيلة هي موضوع علم الاخلاق وهي المركز الذي يدور البحث عنه في هذا العلم الخاص وقد



قلنا سابقا ان علم الاخلاق هو المنه و الموقظ للعقل العملي ليدرك الفضائل الاحلانية لتكتمل النفس وتتخلق بالاخلاق الحسنة.

ولاتحصل هذه الملكة الخاصة التي ندعوها بالفضيلة الاحلانية من طريق التعلم اذ ليس الغرض منها الادراك النظري وكسب المعلومات والكشف عن المجهولات بل انها تحصل بالعادة والتمرين والرياضة النفسية والممارسة الطويلة لتكون لنا عادات حسنة وسجايا حميدة وفضائل اخلاقية جمة اذن فجميع فضائلنا الاحلانية انها هي عادات نشأنا عليها وترسنا على فعلها حتى تمركت جذورها وتأصلت في نفوسنا فالشجاعة مثلا لا تكسب بن تعرف انها فضيلة بل تحصل وترسخ بالممارسة والتمرين حتى تنموا فيه طبيعة الشجاعة والرجل لا يكون كريما وذلك بان يعرف ان الكرم فضيلة وان الكرم هو بذل المال في محله وانها طبيعة الكرم في النفس لا تكون الا بان يتكرم حين تنشأ فيه هذه العادة والا فهو تطبع لطبيعة وتركم لا كريما وكذلك لا يتمكن ان يصدق المرء في اقواله وافعاله اذا عرف ان الصدق فضيلة ومكرمة بل انها اذا تمرن عليها وضحى من اجل ترسيخ هذه العادة فيه حتى تكون بمرور الزمن طبيعة من طبائعه لانتفك عنه ولا يتكلم ولا يفعل حتى يكون الصدق هو السائد في الميدان وكذلك الرذيلة فإذا شاهدت رجلا لا يستطيع ان يصدق في اقواله بل لا يتمكن الا ان يختلق الحوادث كذبا ليجد اللذة فيها فانما كان كذلك لأن ملكة الكذب وعادة الاختلاق ترتبت فيه بالممارسة والتعمود فاصبحت عنده من الامور المساغة التي لا يجد فيها اي بأس وكذلك البناء فتحن مثلا نعرف كيفية البناء ونعرف كيف نصف الحجر ونقيم الجدار ولكن هل نتمكن ان نبني الجدار الصغير بسرعة ذلك الذي أصبحت عنده البناء عماره ونأتي بها بالاتقان والاجادة التي يأتي بها ذاك، لا، لأننا حرمنا من التمرين والتعمود عليها وكذلك العادات والملكات ومارستها ومزأولتها كثيرا حتى تنمو فينا وتصبح عادة فينا عادة



وسليقة ويكون لنا اسلوب متقن واجادة كبيرة بسهولة ويسر وغيرها من العادات التي هي من الفضائل الأخلاقية التي تكسب بالتعود كما قلنا.

اذن فإن جميع العادات التي تولدت فينا من عادات حسنة الى عادات رذيلة انها كان منشؤها ومولدها الاول هو كثرة تكرارها وطول ممارستها وكثير مشاهدة متعاطيها وبهذا التكرار وبهذه المشاهدة التي من شأنها ان تقلل من اهمية خطرها اذا كانت رذيلة او زيادة اهمية فعلها واكبارها في عينه ان كانت فضيلة نشأت عاداتنا وتوكدت فينا واصبحت فينا جزءا لا يتجزأ عن كياننا ولا نستطيع ان ننهرب منها الا اذا قاومناها بأن نعود نفوسنا على تركها - فيما اذا كانت رذيلة - وننارس ضدها ونضحي في هذا التعويذ والمارسة الجهد الكبير حتى يتسى لنا قلعها واحلال محلها الصالح من العادات.

وال التربية في صغernا لها الاثر الفعال في توجيه الطفل وتعيين مستقبله وانهاء العادات في نفسه التي تكون في ذلك الزمن التربية الصالحة لانهاء كل بذرة يبذراها في نفسه مربوه ومعلموه فان نفسه في تلك الساعة تكون صالحة لتقبل كل ما يوحى اليها وكل ما يقع عليه نظرها من افعال واعمال كالقلم الحساس يتاثر بكل دقة وكبيرة تم عليهفيرسم على صفحته كا ما يعرض عليه من نور وظلام وظلال وضياء وكذلك نفس الطفل ترسم عليها وتثبت فيها كل ماتم حوالها من مرئيات وافعال وكل ما سمعته من اقوال وايحاءات فينمو عليها ويكبر وتكون تلك البذرات قد اخذت تنمو فتشمر فيتلقى المرء ثمارها ويجني ما جنته يد التربية السيئة عليه ومن الصعب جدا ان تتمكن بعد ان تتصل فيه هذه الجذور من الصغر من قلعها واكتساحها من طريقك لانها تكون قد تشبثت في نفسك بجذورها المتينة وتكون درجة الصعوبة في قلع هذه العادات بمقدار ما قررت عليه من ايام نشوئها فقد تكون الصعوبة والمشقة التي تلاقيها في قلع عادة من العادات أقل من يكبر سنا عنا وقد تكون قلع عادة نشأت منذ زمان الطفولة اكثر من قلع عادة



نُشأت مُنذ بضع سِنِين.

اذن فالتربيَّة هي المسؤولة حقاً عن كل هذه العادات الشريرة وعن كل هذه الرذائل التي غمرت على الاكثر جميع البشر ولم يخلص منها على ذلك الذي وفقه الله فقيض له تربية صالحة وصبر على الصعوبة والمشقة وقدر على قلع مافسدة فيه من العادات وهي الملامة عن كل هذه المآسي التي نشاهدتها تتكرر كثيراً على مسرح الحياة فالتربيَّة لها الدور الاول والشأن الخطير في هذا الشأن وفي توجيه الانسان الى وجهة الخير او الشر والفضيلة او الرذيلة ومن زمان الطفولة نُشأت اكثُر عاداتنا وجل مساوينا ولعل تقدم علم التربية الحديث قد يخفف من وطئة هذه الكارثة ويهدي المريدين الى الطرق الحميدة لينشأ لنا جيل جديد صالح خير وليس ذاك بعزيز.

وكلمة الامام الحسين عليه السلام التي قالها في الطف تشعر بهذا وبأن جل الشرور إنما نُشأت وتوكدت بعد ان تنسم الانسان نسميم الحياة وانها لم تكن معه بل ولد وهو حالٍ من الشر والخير فقال : «ان الناس عبيد الدنيا والدين لعنة على أسلتهم يحوطونه مادرت معاشهم فإذا مُحصوا بالبلاء قل الديانون».

فحكمه على النوع البشري هذا الحكم يشعرنا ان التربية هي التي لها الشأن الخطير في تنشئة هذه العوامل الشريرة في النفس الانسانية وان فهم من ظاهر العبارة غير هذا. وقال النبي ﷺ بعد رجعته من آخر غزوهاته : «انتهينا من الجهد الاصغر وعلينا بعد الجهد الاعظيم».

ويعني بالجهد الاعظيم هو جهاد النفس التي ارتكزت فيها عادات الشر والرذيلة فعلينا ان نضاعف من جهودنا الشيء الكثير لنقلع تلك العادات ونقضي عليها ونساعد على ان تختلها عادات صالحة لأننا قد أمرنا بأن نجاهدها لنخفف من غلوائها ونقضي على مساوئ السوء فيها وما النفس إلا تلك العادات الكثيرة والغراائز العديدة التي



تطرفت في وجهتها وسارت على غير طريقها نتيجة لسوء التربية ثم أشر ما لهذا الجهاد من صعوبة ومشقة بقوله (الجهاد الاعظم)، اذن فالرتبة هي المسؤولة عن هذه الشرور وهي البلاء الاعظم في حياتنا.

وغرضنا من هذا الكلام الطويل هو ان نقول بأن الشر ليس هو من طبيعة البشر وليس الرذيلة هي طبيعة خاصة في النفس بل ان العادات الرذيلة التي هي نتيجة التربية السيئة والتوجيه الخاطئ هي سبب كل هذه الشرور التي نراها قد طغت على كل افعال الانسان واعماله واستولت على كل غرائزه وحواسه حتى كنا نظن ان الشر هو من طبيعة البشر وانه جبل عليه وفطر على ارتكابه وانما الانسان يولد وطبيعته لا تدعوه لا الى الخير ولا الى الشر وتعد بلهاء غير موجهة واما الذي يوجهها الى الوجهة الخاصة هي التربية وهذا هو المذهب الذي يقرب من مذهب العدالة وهنالك مذهبان آخران:

الاول - يقول ان الانسان من طبيعته الشر.

والثاني - ان من طبيعته الخير.

وهما مذهبان خاطئان وغير صحيحين ولو كان البشر من طبيعته الخير او الشر لما طلبوها باصلاح أنفسهم ولما حثهم الله تعالى على الخير والصلاح وأمرهم بجهاد النفس وتوجيهها الى وجهة الخير والصلاح ولكن بعث الانبياء والرسل عبئاً مادامت الطبيعة هي التي توجههم اما الى الخير وإما الى الشر اذ لو كان البشر من طبيعته صفة من الصفات لما تمكن ان يكون غير طبيعته ويخالف الصفة التي فطر عليها من خير او شر ولما استطاع ان يكون حسب ما يهوى او ان يتعود على عادات لامّت الى طبيعته بصلة فالحجر اذا كان من طبيعته السقوط الى الارض لا يعلو الى فوق لانه ينافق طبيعته التي كان عليها.

اذن ليس الشر ولا الخير من طبيعة البشر وانما هي تلد في الانسان وتنشأ من تربيته



ومحيطه الاجتماعي والدراسي والبيتي وانما في الانسان نوازع تنزع الى الخير او الشر والتربية لها الأثر الخطير في تقوية أي هذين من نوازع البشر العديدة فمن نوازع الخير حب الفضيلة وهي التي تقوده الى الخير والصلاح، ومن نوازع الشر حب النفس وحب التفوق وحب غيرهما فان تغلبت احدهما على الأخرى كان لها الأثر في توجيه الفرد حسب منهاجها وما ترمي اليه ولن يست هذه النوازع من الطبيعة بشيء ولا تمت اليها بسبب فحب الأكل وحب النكاح ليسا من الطبيعة البشرية.

ولن يست تلك النوازع التي سميناها بنوازع الشر هي في الحقيقة وفي انفسها نوازع شر وانما التربية السيئة قد تستغلها فت تكون لها المساعد الاول على توجيه الفرد التوجيه السيء اما هي في انفسها فهي نوازع لاتندعو الى الشر وهي ضرورية اذ بها قوام الحياة فان الغريزة الجنسية هي في نفسها فضيلة وضرورية لبقاء النوع الانساني ولكن قد توجهها التربية من الطريق السيء فتشبعها من غير طريقها المعتمد وتطرّفها في سيرها واما اذا استطاع المرء ان يوفق بينها وبين الغرائز ويعطي كلا منها حقها من الاشباع فليس لها اي اثر خطير سيء وقد تنقلب فت تكون نوازع للخير والصلاح وان لم يستطع ان يشبعها من طريق الصلاح وان كانت التربية قد تطرفت بها تطرفًا سينما لا امل فيها إلى الإصلاح فاجدى الطريق لقلعها هو كبتها وتجاهلها ليأمن مضارها ومفاسدها الوخيمة وهذا الداء لا يستعمل الا اذا استعصى عليه الداء ولم يفيده في اصلاحه اي دواء آخر عندئذ لم يبق له الا الكبت.

وقد وقع في الوهم بان النوازع الانسانية هي في نفسها شر كثير من الرجال العظام فقادهم هذا الوهم الى كبتها واطمارها في عالم النسيان وما الرهبة والتصوف المطرف الا نوع من هذه الانواع الذي يستعملون فيه الكبت لكل نزعاتهم الذين يظنون انها شر لذلك فهم ينقطعون الى الله ويخلدون الى العزلة ويكتبون مثلًا شهوتهم الجنسية



باعتبارها نزعة من نوازع الشر وليس من الصحيح ذلك اذا كان في مقدورهم استعمالها في الطرق الصحيحة وما ندري ما يكون الحال اذا نشأ جيل جلهم قد نزع الى نزعة الرهبة والتصوف لاشك ان نظام الحياة سينحل ويسير في غير طريقه الصحيح وقد قلنا ان جميع هذه النوازع هن قوام الحياة وقوام حفظ النوع الانساني لذلك نهى النبي عنها فقال لارهبة في الاسلام.



### محاضرة...

في النفس الإنسانية قوة كامنة اودعها الله سبحانه فيه ليستطيع بها ان يفعل الاعجيب ويأتي بالمعجزات وخوارق العادات وووهبه من كنوز القوى ماتكفيه لأن يسمونفسه الى غاية الكمال ويعلو بها الى اعلى مايطمح اليه من درجات التقدم والعلم ولكن من المؤسف جدا انا لم نستخدم من هذه القوة الا أقل القليل ولم نتمكن ان نفتح امامنا من هذه الكنوزذات القوى التي لا تحد الا الشيء الذي لا يذكر وبقت هناك كنوزا وقوى كثيرة اخرى مغمورة تحت انفاس الاهماles مطمورة من جراء التهاون والكسل عن اقتناص تلك الفرص التي تمكنا من فض اختام تلك الكنوز المختومة من القوى الطبيعية وسر اولئك البشر المتفوقون على عامة الناس والذين استطاعوا ان يأتوا بما يميزهم عن سائر الناس انهم وفقوا الى استخدام كنوا اكثرا واستغلال من قوة نفوسهم درجة اكبر فليس هناك رجال ناجحون متفوقون ممتازون لأن طبيعتهم وموهبتهم متفوقة وليس هناك رجال مخفيون خاملون لأنهم لم يوهبوا ما وهب اولئك من قوى وموهاب وانها هناك رجال استطاعوا ووفقوا الى استخدام قوى اكبر وهناك من لم يستطع ان يستخدم من تلك الا اقل الادنى اما في نفس تلك القوة العجيبة الكامنة فهم في ذلك سواء.

اذن فمن الواجب ان لا يستحق الماء نفسه منها كانت من الخمول والصغر وان لا يقف امام اولئك المتفوقون في الموهب والناجحون في الحياة موقف العاجز من القادر فيخيل الى نفسه ان الدرجة التي توصل اليها ذلك العقري الناجح تاخر عن ان ينالها لانها في مناط الشريا مادام يملك نفس القوة التي يملكها ذلك الناجح ومادام الفرق بينهما ليس فرقا بقلة الموهاب وكثرتها وما دام هو يستطيع ان يبلغ درجته ان هو وفق



بالمران والتوفيق الطويل ان يكون كذلك الرجل وان استطاع ان يقتنص الفرص التي بها يستطيع ان يفنس اختام تلك الكنوز فذلك الرجل الناجح انما نجح لانه بذل جهداً واسع وتضحية اكبر من نفسه بالتمرين والمران الطويلين وصدق مواهبه وهذبها وابرز مواهب اخرى لم يكن ليعرفها لولا صبره وتضحيته وكذلك كل رجل يستطيع ان يبلغ المترفة الكمالية التي يتوق اليها ان هو لم يختقر نفسه ولم يستخف بها ويبايس منها وان هو صبر كثيراً على تعويدها وتمرينهما الطويلين ليتيح له ان يبرز القوى من مكمنها وينحرجها الى عالم الحياة ولا عجب ان تكون له تلك القوة الخارقة العجيبة وهو خليفة الله في ارضه اي خليفته في استخدام موارد الطبيعة والتحكم في اسرارها واستغلال خيراتها فهو ملك المخلوقات وهذا معنى خليفة الله في ارضه وانما استطاع ان يكون سيد المخلوقات ويتميز على سائرها وانما <sup>أَهْل</sup> لأن يكون خليفة الله على مخلوقاته بما وله الله من قوة عاقلة وفكراً به يستطيع ان ينظم اموره ويدبر حياته وبه استطاع ان يعلو على الطبيعة فيستغل خيراتها ويستخدمها لخدمته ومنفعته فالقوة العاقلة في الانسان هي الفاصل بينه وبين سائر المخلوقات وبها امتاز ان يتفوق على غيره من البهائم فليس الانسان في الحقيقة بحيمه راقية رقي بعض الحيوانات على بعض وانما هو نوع آخر يتميز بقوته العاقلة المفكرة وفي الحقيقة ان الفضل في تفوقه يرجع الى هذه القوة العاقلة لاما قواه ومواهبه الاخرى اذ هي لاشيء ولا نفع لها ان هي لم تنظم وتدبر لايستطيع الاستفادة منها وانما الذي ينظمها ويرؤضها ويجعلها قوة خير وصلاح هي القوة العاقلة المفكرة ولو تدبّر الانسان بنفسه وما فيها من هبات الله من قوى واستعدادات ومواهب لأحسن بعظامه الانسان وسموه منزلته ومكانته بين المخلوقات ولو عرف ذلك لاستصغر نفسه ولما دخله اليأس ونالته الضعف فليس هو بحيمه كما يدعيه البعض الذين قصروا عن ادراك هذه الناحية في الانسان والاحساس بهذه الموهبة المميزة بين النوعين.



لقد أودع الله - كما قلنا - في الإنسان قوة عظمى يستطيع أن يكون بها عظيماً وسامياً لو هو استغلها تمام الاستغلال - وهذا شيء عسير - غير ما هو عليه الآن وأودع فيه كذلك قوة عجيبة أخرى تساعده على أن يستغل تلك القوة وابراز ما كمن فيها وتساعده على الانتفاع بها فهو بذلك لم يدع أمر بروزها واستغلالها إلى الظروف والصدف فمما لا شك فيه أن لكل شيء كمالاً فأودع سبحانه في كل ناقص وقاصر عن الكمال - ومنه الإنسان - غريزة حب الكمال فهو دائمًا يشتق إلى ذلك الكمال ويسعى لتحصيله والوصول إليه مهما كان صعباً وشاقاً لأن ما يدعوه إلى ذلك ليس باختياره بل تقوده إلى ذلك غريزته وحب اشباعها فاندفعه إلى طلب الكمال وسعيه المتواصل إلى بلوغه هو الذي يقيضه ويساعده لاستخدام تلك القوة والانتفاع بها وكل ماتصدر منه من افعال أنها هي اسباب لجهة يتخذها ليشبع غريزته في حبه للكمال بسعيه ليس إلا، وبذلك أكمل نعمته علينا وأكمل هبته لنا وقد قال أفالاطون في مثله (لكل شيء مثل أعلى) فهو دائمًا يطلب ذلك المثل الأعلى فالإنسان إنما يطلب الصدق ويسعى إلى التحلي به إنما يطلب لأن فيه مثله الأعلى وإنما يطلب الكرم ويريد أن يبلغ أعلى درجاته لأنه يريد اشباع نفسه التواقة إلى المثل العليا وابشاع الجانب الإنساني أو العاقلة فيه وإنما يطلب فضيلة الأمانة لأنها المثل الأعلى للنفس العاقلة التي ميزت الإنسان عن الحيوان ولا يمكن أن تكون الأمانة والصدق مثلاً للنفس البهيمية لأن النفس البهيمية لا تطلب إلا اشباع لذتها الحاضرة وهذا الأكل والنوم والحياة الجنسية.

واما الصدق والأمانة معايرة كل المعايرة لهذه اللذات العاجلة وهمما بعيدتان كل البعد عن مثل النفس البهيمية العليا لأنهما بعيدتان عن تحقيق اللذة العاجلة التي هي المثل الأعلى للنفس البهيمية فذلك الذي يضحي بال المادة لأجل أغراض روحية معنوية بعيدة عن المادة والمنفعة العاجلة كذلك الذي يطلب لنفسه القتل بالجهاد في سبيل الله



انها هو دليل على ان هناك نفساً معنوية روحية بعيدة كل البعد عن النفس البهيمية وهل هناك لذة عاجلة يكسبها المجاهد وهو يعلم انه يعرض نفسه للقتل ويضحى بحياته المادية الا ان هناك لذة معنوية آجلة ومثلاً روحياً اذن فالمثل العليا للنفس العاقلة هي التي صار بها الانسان انساناً لا حيواناً بهيمياً.



# **أضغاث أحلام**

**المجتهد المجدد آية الله**

**الشيخ محمد رضا المظفر قدس سره**

**إعداد**

**الشيخ محمد الكوثري**



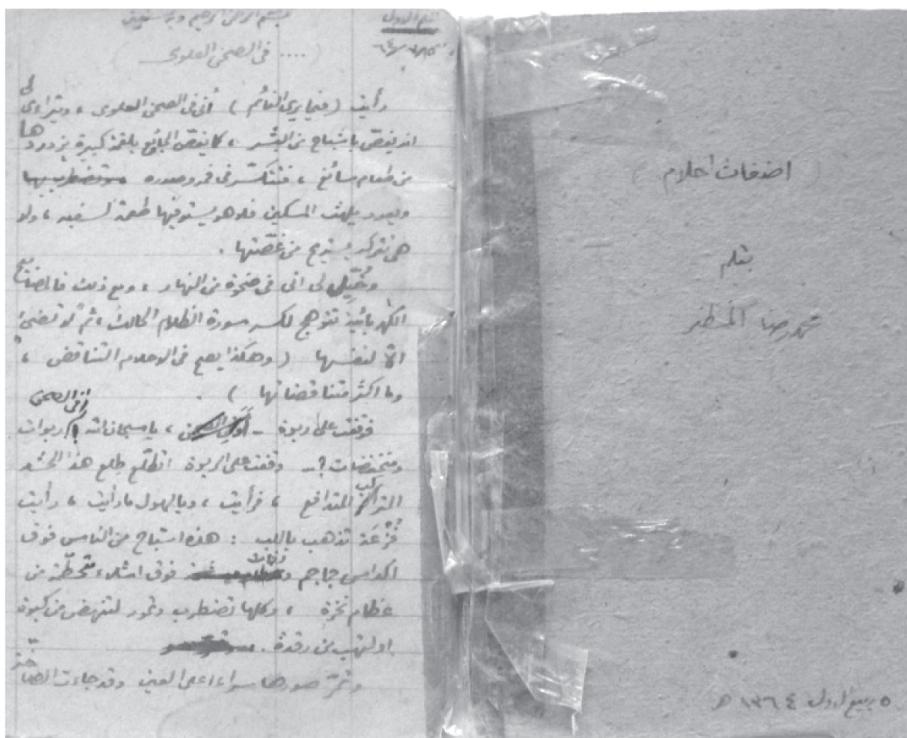
## اللّه رأى

بين الأستاذ وال תלמיד نشأت العلاقة الأبوية دامت  
وفي طريق العلم ترافقا فنانا شيكى الدراسة درحمة  
العلم وهم الملازم تأثرا بنبیج الأستاذ عنیت به المصلح  
والمحبر المجهود آية الله الشيخ محمد رضا المظفر (قدره)  
وعنیت بهما الوالدين المقدسين والعلامة المجهودين  
السيد محمد بهر العلوم والشيخ محمود كوتانی طاب  
تراثهم ..

ولكان الهم أن صدقـت الرؤيا باجتماع الآباء على ما  
رسمـه الآباء .. تسلـاً بنبـيـج العـطـاء وتفـانـاً في خـدمـة  
الحق؛ وهوـمـ من اـرـقـدواـنـاـ فـيـ جـهـوـةـ الـعـرـفـةـ وـحـبـ الـاصـلاحـ  
وـأـرـوـنـاـ بـابـ النـجـاهـ الـاسـمـنـ فـيـ سـلـوكـ طـرـيـنـ ذاتـ السـرـكـةـ.

... إلى أرواحهم نهديـ هـذـاـ الـهـبـ الـمـتوـاضـعـ

# الصفحة الأولى من الكراس المخطوط للمؤلف



## الصفحة الأخيرة من الكراس المخطوط للمؤلف

لذلك . ولابد منكم من يبلغون بنفسكم إلى  
عقول الحمد لله تعالى عن إشارة بالمعاطف والشهاد  
وهم العذيل اللاذور بليل أفق من القليل تقصى حاديبها ،  
والوصايا فتشعر بهم فتوسهم المارق من خزانة المطردة  
المربيين . هنا نحن المدقعة لرسوخها بهذه المعاطف  
والشهادات . وصادرنا لبيانها من رب العالمين وهو كلام فريم  
فما يفهم العرق يفهم ويفتننا وما لا يفهم العرق يبتليه ويغنم  
حساسته بالبر والباقي





بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف الخلق سيدنا ونبينا محمد وعلى آله المداة الطيبين الطاهرين.

وبعد...

العنوان: أضياعات أحلام.. ولكن المعنون ليس كذلك بل واقع معاش ونتحسسه جيئاً في مركب الحياة الذي يضمّنا.. انه تعير رمزي صادق ونفثة صدر مهموم، في قالب فكري ابدع فيه الشيخ محمد رضا المظفر حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ذِكْرَهُ حيث سكب بنات أفكاره في وضع الحلول والنظريات الصائبة لمعالجة الوضاع السائد ومحاولة تغييرها نحو الأصلاح ولا يصل الركب البشري إلى شاطئ الأمان..

لقد قدم لنا آية الله الشيخ محمد رضا المظفر طاب ثراه نموذجاً للعالم المصلح المتوجّه الذي لا يترك فرصة إلا واستثمرها في سبيل العلم والعمل والاصلاح، فقد عاش ألم المعاناة في سبيل مجتمعه وتقديمه فكان يطمح لخلق مجتمع متكامل على جميع الصعد سواء منها الأخلاقية أم الدينية وسواء السياسية أم الاقتصادية.. لقد ضمن في كتابه أحلاماً أربعة عالج في كل حلم موضوعاً أو أكثر من مشاكل البلاد والعباد بطريقة نقدية مرموزة كي لا يسيء لأناساً بعينهم بل الهدف التنبيه على الخطأ الشائع.

والمحور في أحلامه هو مدتيته الفاضلة التي يحلم بها أن تضمّ مجتمعاً مثالياً رسالياً تضمحل فيه الفوارق الاجتماعية وآفات الجهل والفقر والعاوهات، بالإضافة إلى الخداثة التي كان يحلم بها وفق هرج الدين وتعاليم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. واتخذ في هذه المحاولة



الاصلاحية المكتوبة اسلوباً حوارياً فذاً ضمنه القيم، وأبرز حواراً موضوعياً مع الذات ومع الآخر فلم يتوان عن نقد الذات، واشتملت أحلامه على رؤى اصلاحية شاملة غير منفصلة عن الواقع وكانت مدينة النجف الأشرف هي ميدانه الأول باعتباره أحد أبنائها المسؤولين.. كل ذلك بأسلوب قصصي حواري هادف مع احتفاظ النص بقوة اللغة ومتانة التعبير.

ولا بد لنا أن نشير إلى أننا قمنا باعداد هذا الكراس في هذه العجلة لكي يصدر الكتاب ضمن أعمال الشيخ المظفر الذي أخذت العتبة العباسية المقدسة ومؤسسة بحر العلوم الخيرية على عاتقها عبء ذلك مشكورتين عليه. وإنما بقصد إعداد تقديم يتضمن دراسة شاملة حول فكر الشيخ المظفر قدس سره بشكل عام ولا سيما توجهاته الاصلاحية ورؤاه الفكرية في جميع مناحيها. ونسأل الله التوفيق لنا جميعاً في العلم والعمل وفي النهوض بمجتمعاتنا وأمتنا نحو الاصلاح مع خالص الدعاء بالخصوص للعاملين في انجاح هذا المؤتمر المبارك. الصفحة الأولى من الكراس المخطوط للمؤلف

الصفحة الأخيرة من الكراس المخطوط للمؤلف



## الحلم الأول

٦٤<sup>(١)</sup> / ٣ / ١٥

## في الصحن العلوي

رأيت (فيما يرى النائم) أني في الصحن العلوي، ويتراءى لي أنه يغصّ بأشباح من البشر، كما يغصّ الجائع بلقمة كبيرة يزدردها من طعام سائع، فتتسخّر في فمه وصدره ويعود يلهث المسكين فلا هو يستوفيها طعمه لسغبه، ولا هي تتركه يستريح من غصتها. وخيّل لي أني في ضحوة من النهار، ومع ذلك فالمصابيح الكهربائية تتوجه لكسر مسورة الظلام الحالك، ثم لا تضيء إلا نفسها (وهكذا يصح في الأحلام التناقض، وما أكثر متناقضاتها).

فوقفت على ربوة - يا سبحان الله! أني في الصحن ربوات ومنخفضات؟ - وقفّت على الربوة اتعلّق طلع هذا الحشد المتراكب المتدافع، فرأيت، ويا لهول ما رأيت، رأيت فُزْعَة تذهب باللب: هذه أشباح من الناس فوق أكdas جاجم ورفات فوق أشلاء متحطّمة من عظام نخرة، وكلها تضطرب وتقرور لتنهض من كبوة أو لتهب من رقدة. وتمر صورها سواءً على العين وقد جاءت الصاخة ولكل امرئ منهم شأن يغنيه، فوجوه مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه عليها غبرة ترهقها قترة. وجلبتها تصكّ السمع وتوجف القلب.

فسألت نفسي: أي يوم مشهود هذا لم نعرفه في أيام النجف الأشرف، وذهبت

(١) تنبية التاريخ لوحظ فيه السنة المجرية القمرية.



أضرب أخناساً في أسدادس، والعين مأخوذة بما ترى والقلب يكاد ينخلع جرعاً، وذهب عن ذهني (يوم النشور).

وبيـن أنا في الدهـشـة وإـذا بالأشـبـاح والأـكـدـاس والأـشـلـاء تـنهـضـ كلـها بـشـراً سـويـاًـ وـتـتـدـافـعـ بـغـيرـ اـنـظـامـ مـتـجـهـةـ نـاحـيـةـ المـشـرـقـ حـيـثـ النـورـ السـاطـعـ إـلـىـ عـنـانـ السـمـاءـ.

فـثارـيـ دـاعـيـ الفـضـولـ إـلـىـ الـانـدـفـاعـ معـ الجـاهـيرـ نحوـ ذـلـكـ النـورـ الـوـهـاجـ فـهـاـذـاـ رـأـيـ؟ـ رـجـلاًـ لـاـ كـالـرـجـالـ قدـ تـرـبـعـ عـلـىـ كـرـسيـ منـ نـورـ وـعـلـيـهـ جـالـالـ السـلـطـانـ وـرـوحـانـيـةـ الـنـبـوـةـ وـهـيـةـ الـإـمـامـةـ يـمـلـأـ الـعـيـنـ وـالـقـلـبـ حـسـنـهـ وـوـقـارـهـ، وـخـلـفـهـ وـحـوـالـيـهـ زـمـرـةـ مـنـ ذـوـيـ الـعـضـلـاتـ الـمـفـتوـلـةـ وـالـجـمـالـ الـفـاتـنـ وـالـقـدـسـيـةـ الـإـلهـيـةـ قـدـ وـقـفـواـ صـفـاـ صـفـاـ...

وـالـنـاسـ بـيـنـ يـدـيـهـ كـأـنـ عـلـىـ رـؤـوسـهـمـ الطـيـرـ رـهـبـةـ وـهـيـةـ هـذـاـ الجـالـالـ وـالـجـمـالـ الإـلهـيـ.ـ وـمـاـ أـسـعـ أـنـ جـاءـ إـلـىـ ذـهـنـيـ آنـهـ عـلـىـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ ﷺـ قـدـ جـلـسـ لـمـحـاكـمـةـ النـاسـ عـلـىـ ماـ فـرـطـواـ فـيـ جـنـبـ اللهـ وـمـاـ اـقـتـرـفـواـ فـيـ جـنـبـهـ، وـهـؤـلـاءـ النـاسـ هـمـ الـمـدـفـونـونـ فـيـ جـوـارـهـ بـالـصـحـنـ الـمـقـدـسـ وـالـحـرـمـ الشـرـيفـ الـذـينـ لـاـ يـحـصـيـهـمـ عـدـداًـ إـلـاـ اللهـ تـعـالـىـ.

فـقلـتـ فـيـ نـفـسـيـ: يـاـ لـلـوـيلـ!ـ مـاـ جـاءـ بـيـ إـلـىـ هـذـاـ المـأـزـقـ وـهـنـاـ تـجـلـلـ السـرـائـرـ بـحـقـيقـتهاـ وـتـنـكـشـفـ<sup>(١)</sup>ـ الـأـعـمـالـ عـنـ نـفـسـهاـ،ـ فـلـاـ سـتـارـ وـلـاـ تـوـيهـ!ـ وـأـنـيـ لـيـ باـهـزـيمـةـ وـقـدـ وـقـعـتـ فـيـ الشـرـ؟ـ فـجـمـدـ الدـمـ فـيـ عـرـوـقـيـ وـسـرـتـ الـرـعـشـةـ فـيـ مـفـاصـلـيـ!

ثـمـ تـنـفـسـتـ الصـعـداءـ إـذـ تـذـكـرـتـ آنـيـ لـسـتـ مـنـ الـمـدـفـونـينـ فـيـ الصـحـنـ الـعـلـوـيـ وـأـنـاـ لـاـ أـزـالـ حـيـاًـ فـيـ دـارـ الـدـنـيـاـ.ـ إـذـ فـلـأـسـتـمـعـ إـلـىـ الـمـحـاكـمـاتـ الـجـارـيـةـ لـأـرـىـ الـحـقـ كـيـفـ يـظـهـرـ وـاضـحـاًـ كـالـشـمـسـ،ـ وـذـاكـ أـمـنـيـةـ النـفـسـ الـتـيـ تـجـدـ الـآـرـاءـ وـالـأـفـكـارـ فـيـ أـكـثـرـ الـمـسـائـلـ الـإـجـتمـاعـيـةـ وـالـدـيـنـيـةـ مـطـلـسـمـةـ بـالـشـكـ أوـ الـجـهـلـ فـتـذـهـبـ حـائـرـةـ لـاـ تـتـبـعـ إـلـاـ الـظـنـ،ـ وـذـلـكـ سـيـلـنـاـ الـوـحـيدـ عـنـدـ إـنـسـادـ بـابـ الـعـلـمـ وـفـقـدانـ الـمـعـصـومـ.ـ وـمـاـ أـلـذـ الـعـلـمـ لـلـنـفـسـ إـذـ بـلـغـ

(١) كـذاـ.



عين اليقين الذي ما وراءه شك وحيرة.

وعندئذ تصارعت عندي فكرتان حادتان<sup>(١)</sup>، على العادة عندنا وأنا التمس لهاما الحلّ عند سيدي ومولاي أمير المؤمنين، فكرة النجاة وغفران الذنوب لكل موالٍ لآل البيت مصير المجاورين مدفناً لقب حامي الجار، على حسب ما يعتقده المؤمنون المتفاوتون على الدفن في جواره. وفكرة ثانية أنهم لا يشفعون إلا من ارتضى، لأنهم إنما جاءوا لتهذيب البشر ورفع الظلم في الأرض فكيف يعدون بالشفاعة لأهل الذنوب، وفي ذلك تشجيع للمعاصي وإغراء لأهل الجهل والفساد وهم أولى بالغضب للرحمٰن، ولعل محاكمة هؤلاء المجاورين دليل على هذه الفكرة.

\*\*\*\*\*

بینا أنا في هذه الهواجس إذ دعي أحد المغلّلين بالسلالسل، فتمثلت سلسلة تسطع متقددة كأنها الجمر طوها سبعون ذراعاً، وقد سُحب بها جراً على الذقن باعتباره متّهما في جريمة دينية، وهو يستغيث ولا يغاث. وما مثل بين يدي أمير المؤمنين إلا وشملته الرحمة فانحلت السلسلة من تلقاء نفسها وتجمعت ناحية كأنها تنتظره حتى يفارق المكان، فقلت في نفسي هذا من ذلك هذه أول علامة للنجاة بجوار أبي الحسن لنتظر ماذا سيكون بعد!

تقديم الملك المقرب (نكير) أخو الملك (منكر) وكان في الصف الأول خلف الإمام.

فتقديم يستنطق المتهم

- من ربك؟

المتهم - الله.

نكير - ما دينك؟

(١) كذا.

المتهم - الإسلام (ثم يتشهد الشهادتين).

نکر - ما مذهبیک؟

**المتهم** - إني متمسك بالثقلين كتاب الله وعترة رسوله.

نكير - إذن ألم تعلم بأن نبش القبور محرّم في الشريعة.

المتهم - بلي.

نكير - ألم تعلم أن حرمة المسلم ميتاً كحرمته حيّاً؟ ألم تعلم أن الميت إذا سبق إلى أرض مباحة فدفن فيها كان له الحق فيها دون سواه.

المتهم - بلي.

نکیر - إذن كيف سوّغت لنفسك أن تغضب مدفن غيرك وما كفاك ذلك حتى  
أبحث النبش المحرم وسببت بنزولك في مدفن غيرك التمثيل بجثمانه وإهانة مسلم ميت  
محترم.

المتهم: (يتمالك على نفسه وقد انخلع لبّه من هذه التهم العظيمة) سيدني... ليس الذنب ذنبي، أولست دُفنت ميتاً لا اختيار لي ولا قدرة؟

(ثم يحّدّق المتهم في وجوه الجماهير ليتّمّس من يلقى عليه تبعه هذه الجرائم، وإذا بحفار القبور إلى جنبه مغللاً بالسلالس التاربة فيتذكّر أنه هو الذي أنزله إلى القبر فاستطرد كلامه)... أليس حفار القبور هذا (ابن فلان) هو الذي صنع ذلك.

نکیر: (يلتفت إلى الحفّار المكّبّل باعتباره متّهّماً وشاهداً): كيف ساع لك أن تنبش قبر المسلم وتمثّل بجثمانه وتغصب قره لغيره.

الحفار (يتعجب): أنا السبب في ذلك! يا سبحان الله! إنما أنا رجل عامل إستأجرني وللّـ الميت، وهو الذي حـرضني على إرتكاب هذا العمل بما دفع لي من نقود ثمناً

جريميتي. ومع ذلك لم أر منه ولا من باقي الناس إنكاراً لعملي، وأحسبه عندهم جائزاً بل أمراً محبوباً في الشع لاتفاق جميع أولياء الأموات والمشيعين والمستطرقين من أهل الدين وغيرهم جيلاً بعد جيل.

(وهنا يدخل ولي الميت شخصاً ثالثاً في الاتهام ويُساق مكبلاً بالسلسل ويوجه له نكير صوت الإنكار).

- أنت أمرت الحفار أن يصنع هذه الجرائم؟

(الولي): - أستغفر الله! إنما طلبت منه (باعتباره أخصائياً في القبور) أن يجد ليتنا أرضاً بكرأً لم يدفن بها أحد من المسلمين ولما كشف الصخرة عن سرداد في الصحن ونزل فيه طلب إلى أن أراه فلم أجده فيه أثراً لرفات إنسان. وعلى ذلك وافقت.

الحفار (يستشيط غضباً يحمله الغضب على شرح الحقيقة): الويل للكاذبين! كل الناس يطلب مني هذا الأمر النادر، ويروح كل واحد منهم ليعتقد أني خصصت ميته كرامةً لعيونه بالمكان الفارغ، مع العلم أن الواقع للدفن في مجموع الصحن والحرم لا تزيد على سبعمائة موقع على أكثر تقدير، ومعدل من يدفن في اليوم أربعة أموات وعليه فالم الواقع تمتلئ في أقل من ستة أشهر مع استثناء الواقع المختصة ببعض البيوت الرفيعة التي لا سبيل لنا عليها حتى من طريق التسريق. ولا يغيب عن البال أن الصحن والحرم مدفن للناس من قبل مئات من السنين.

فهل يخفى على إنسان عنده ذرة من التفكير إجتماع أكdas الأموات في هذه القبور وهي تتضاحك من تزاحم الأضداد. ولكن ماذا أصنع والناس يخادعون أنفسهم ويخادعني، فينقدونني الدرارهم لأ Finch لهم عن سرداد بكر، فالتجيء إلى أن أحيي القبر فأزيح عن أعينهم بقايا الأجساد بقدمي عند النزول وربما يبديّ عند الحاجة، وأريهم هذه المهزلة التي تتكرر كل يوم وهم يقبلون مني شاكرين هذا الضحك على



وكل مرة يغالف الناس أنفسهم فيذكرون فرحين - هذه المصادفة العجيبة - أني وجدت لهم مكاناً فارغاً، مع أني كثيراً ما اضطر إلى أن أنقض كالصقر على مسكين لم يمض على دفنه أيام معدودات فأطويه كطي السجل للكتب وألق بجسمه المتفسخ ناحية وبالرغم من محاولة ستره عن عيونهم تنم عليه الرائحة المزعجة التي تعودت عليها فأتو جس من إزعاجي بطلب فتح قبر آخر ولكن العجيب أنهم قد يغالفون أنفسهم هذه المرة أيضاً ويتجاهلون هذه الرائحة التي لا تخفي على إنسان.

إذن أولياء الميت والناس معهم هم الذين يلجموني إلى هذه الجريمة، ولا يدللونني على أنها جريمة على الأقل، لأنهم يتغافلون عنها عن رضا وغبطة ويغضبون أنظارهم وهم عالمون.

\*\*\*\*\*

وهنا يصغي نكير متعجبًا من هذا الكلام الصريح والاعتراف الظريف، ويتجه إلى وجه الإمام ليستلهم منه الطريق إلى الاستمرار في المحاكمة، ويعملو الصمت وجلال الموقف جميع الحاضرين، ولكن لا يطول الصمت حتى يقطعه (نكير) بتوجيهه السؤال إلى الحفار في دعابة:

- كيف تستطيع إخفاء الرفات والقبر لا يسع لأكثر من جثمان واحد؟

فتعلو ابتسامة ساخرة من جميع الحاضرين ولكن الحفار لا يزال مجدهًّا فيقول في

بلاهة:

- هذا أمر جد يسير وهو من أسرار المهنة، فقد بنيت القبور - على حكمة من البناءين من أهل المهنة أمثالي - فجعلت كل أربعة على الأقل مجموعة واحدة توصل بعضها بعض فتحة تكفي لالتهم جسد الإنسان، والحفار يعرف موقع المجموعات



وطرقها فيتخد قبراً منعزلاً من المجموعة الواحدة أو من عدة مجموعات مخزناً لبقايا الأجساد، وهو يسع بالطبع مجموعة كبيرة من الرفات المتهشمة لمدة طويلة حتى يتهياً في كل ثلاثين سنة على الأكثر أن تنقل الرفات إلى دار السلام أو خزانات الصحن الكبيرة.

نكير (متقرزاً من هذه الفظائع المدببة ومنكراً في تداخل أسباب هذه الجرائم) :-

إذن أيها الحفارون أنتم المدينون في هذا الأمر الفظيع بالدرجة الأولى.

الحفار (وقد وجد نفسه قد وقع في مأزق حرج فيستغيث) :- سيدني إذا اعتبرتنا مدينين فلك أمراك فينا، وليس لنا عذرٌ نعتذر به غير الطمع في حطام الدنيا الفانية التي زهد الناس فيها مولانا أمير المؤمنين فلم يزهدوا، ولكن ما بال أولئك الذين يبذلون الأموال الطائلة لأجل بناء مثل هذه القبور.

نكير: من هم؟

الحفار: ألم تعلم سيدني بهم؟

نكير: أنت قل.

الحفار: (بعد صمت طويلاً واضطراب) أخشى أن أعزل من وظيفتي!

نكير: أبقيت لك وظيفة؟ أنت في عداد الأموات ولن ترجع إلى الحياة الدنيا حتى تخشاهم.

الحفار: (ملتفتاً إلى نفسه فتعروه نشوة الفرح أن أصبحت له الحرية في الكلام عن هؤلاء الذين أذاقوه الأمرين في تحكماتهم في وظيفته ومهنته، ولكنه لا يزال في قراره نفسه خائفاً فيغله التحفظ) - لو لا أن السلطة الموقرة للحرم تهيء لنا - معاشر الحفارين - بين فترة وفترة أن نكنس هذه القبور من بقايا الأجساد ونرميها كالقمامنة خارج النجف أو في الخزانات (آبار الصحن الكبيرة) التي قيل أنها أعدت لهذا الغرض لافتضحت



حيلتنا فيعجز علينا وعلى الناس هذا الخداع المتبادل، ويقومون بهذا الكنس باسم ترميم الصحن الشريف وتعديل أرضه التي تصبح متعرجّة بطول الزمن - بارك الله فيهم - نكير (يتكلف المدوع): أتقول بارك الله فيهم؟ عجباً! أخبرني أية فائدة لهم بذلك حتى يبذلوا عليه المال؟

الحفار: بودي لو وجهت السؤال إليهم أنفسهم.

نكير: نحن الآن نحاكم المدفونين في هذه الصحن أفتظنهم من الموجودين في هذا المحسّر.

الحفار (بعد تصفح وجوه الجماهير): بعضهم! ربما.

نكير (نفسه): بعضهم! بعضهم! (وبصمت متوجهاً إلى الإمام يستلهم منه ما يكشف الحيرة ويعجب للإنسان كيف يصنع نفسه ويغالطها، يعمل العمل لخداع الناس ثم يخدع نفسه أيضاً) ثم يلتفت إلى الحفار:

- حدثني أنت لأنك على ما يظهر مطلع على دخائل هذا الأمر.

الحفار (يتشجع) -: ليس في الأمر دخائل وصريح الأمر أن مؤسسة الأوقاف جعلت الصحن كمزرعة تستثمرها يأخذ (الدفنية) الباهظة على كل من يدفن في الصحن والحرم، فلو لم تحرث هذه المزرعة لما استطاعت أن تؤتيهم بأكلها كل حين وموظفوها مع ذلك يشاركوني فيها آخذ من أجرة لنفسى.

نكير: تؤخذ هذه الضريبة لماذا؟

الحفار: أنا أدرى! يقولون أنهم جعلوها ليخففوا من وطأة تكاثر الدفن في هذه البقعة الصغيرة بالقياس إلى المتعطشين إلى قرب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من جميع أنحاء المعمورة، ولكن مع ذلك لم يقف حائلاً دون تهافت ذوي الثروة والجاه على الزلفى



لامانا سيد الكونين ويقولون أيضاً أنهم يأخذونها لتكون كوارد للعتبة المقدسة أيضاً فتصرف في مصالحها.

نكير (لأحد الملائكة الواقفين): ما أكثر حيل الإنسان لابتزاز الأموال من أخيه الإنسان! ثم يتوجه إلى الحفار:

- أتؤخذ هذه الضريبة على كل مدفون بلا استثناء؟

الحفار: نعلم أنها لا تشمل بعض الأصناف.

نكير: لماذا؟

الحفار: اعفني من ذلك.

نكير: لا بد من القول.

الحفار: لماذا وقعت البلية على رأسي وحدي؟ دونكم هؤلاء فاسألوا الأصناف وما أكثرهم في هذا المحشر (يقول ذلك ويلتفت إلى الإمام يتوقع العذر ولكن نكير يهدده ويقمعه منكر بالحديد) فيقول الحفار: - كل الذي أعرفه أن هؤلاء الملاعين واضعي نظام الدفنية نفعوا بعض ذوي النفوذ بهذه الكرامة ليطمئنوا إلى سكوتهم وتساهل لهم عنهم فيما يرتكبون.

(نكير يتململ من تشعب نواحي هذا الأمر وتشعب المسؤولية فيحاول أن يفر من الميدان ولكن نظرة واحدة من الإمام ﷺ كانت كافية لتهديته وجمع قواه التي قد تلاشت) فيعود يوجه السؤال إلى (وليّ الميت).

- أيها الوليّ لقد سمعت الحوار مع الحوار وقد حملك بكثير من المسؤولية، فمع علمك بالحال كيف أقدمت على هذا العمل.

(الولي): - ماذا أصنع؟ إن ميتي من المحترمين ودفنه في وادي السلام إهانة له



ولي، على أني أعمل نفسي أن دفنه في الصحن يذكرني دائمًا به فلا أنساه من الخيرات، والأهم أنه يمسى بقرب شفيعنا وسيدنا وعندى أن هذا سيهون ما يلقى من التمثيل به ويكتفى أن يبيت ليلة واحدة في جواره وتضمن له الجنة ثم فليلق به في آية زاوية من زوايا الأرض، وفي سبيل هذه الكرامة الدائمة ما قيمة اهانة جثمانه والتمثيل به.

نكير: سبحان الله انك كنت تتنصل من معرفة الحال ثم تعرف! اترك ذلك ولكن من أين لك هذه الفلسفة؟ أيجوز في عقيدتك أن يطاع الله من حيث يعصى؟ وهل يصح التقرب بالفعل المحرم؟ وهل يصح تقديم العمل المتذوب على ترك المحرم؟ فأين فلسفة أصول الفقه عندكم؟ وهل تنتظر الزلفى إلى إمامك بفعل محرم؟ ثم كيف تصحي بنفسك أنت بفعل تبعته عليك لزلفى غيرك؟ ليس هذا من العقل على أن هذا حال ميتك فما بال الدفين السابق يهان جثمانه ويمثل به في سبيل كرامة دفينك؟

الولي: سيدى (أولاً) لست من العلماء حتى أفهم هذه المسألة. (ثانياً) أني اتبعت وصية دفيني في ذلك.

نكير: يتوجه إلى جهة أمير المؤمنين عليه السلام باهتاً وكأنه يريد أن يستأذنه في الانصراف عن هذه الحيرة وبينما هو في هذا الصمت الباهت استيقظت من غفوتي مذعوراً. وأسفت على إنتهاء هذا الحلم قبل الظفر بإصدار الحكم أو حكمة من سيد الكوينين عليه السلام صدأ القلوب، كأنما ظلمات الذنوب حجبتنا من الاتصال بروحه العلوية صلوات الله وسلامه عليه.



## بعد خمسين عاماً؟

استغرقت ذات ليلة في نوم عميق بعد سهر طویل وتعب مجهد من التفكير في إصلاح حالتنا الاجتماعية والدينية، وبعد أن تملكتني اليأس في اليقظة من تمكنا من بعث الشعور في وجوب النهضة التي يتطلبها هذا السقوط في الأخلاق العامة والكسل المستولي على المشاعر والنفاق المتمكن في النفوس والجهل المتفشي في الناس، لا سيما في طبقات رجال الدين الذين هم عرق المسلمين النابض، فإذا كان دم ذلك العرق موبوءاً أصاب أعضاء المجتمع الإسلامي الشلل والمرض، وأقصد برجال الدين من لهم وظائف دينية ما تشمل حتى الوعاظ والخطباء وخدام العتبات المقدسة.

وأنا كنت في تلك اليقظة - مع ذلك - أعمل نفسي فراراً من تلك الخواطر المزعجة بالتخمينات السارة التي يخلقها خيالي وليس للمرء سلاح في صراع الواقع إلا الخيال، فافرض أنا تمكنا من الإصلاح فأصبحت الدنيا غير الدنيا، والناس غير الناس، وأذهب غارقاً في الأفكار كأني لست أنا وكأن البلاد ليست البلاد، حتى إذا هاجمني الخيال تلاشى الأمر الواقع فعادت تلك الخواطر السود لتقضى علىَّ مضجعي.

قلت استغرقت في تلك الليلة في النوم بعد ذلك السهر والتعب فخيّل لي في النوم أنني قد رجعت إلى الدنيا بعد أن مت بخمسين عاماً، وكأني واقف على الباب الكبير الشرقي للصحن العلوى، ولكن الباب فاره واسع ليس على ما كنت أتذكره لما كنت حياً. والناس كعرف الفرس تدخل منه إلى الداخل بأدب وحشمة وهدوء على كثرةهم وما لاحظت أحداً يخرج منه يضايق الداخلين، فاستغربت أن يسع الصحن كل هؤلاء الداخلين ما دام أنهم يدخلون ثم لا يخرجون وشعرت بما سألاقي من التدافع الذي



يمنع من أداء مراسيم الزيارة في هذا اليوم الذي حضر إلى ذهني أنه يوم الغدير، ومع هذا الشعور وطنت نفسي على الدخول منها كلفني الأمر، وما كنت أدرى أن نظام الدخول والخروج قد تغير بتغير الزمن فالدخول من باب والخروج من باب آخر، ولا يسمح لهم الجلوس إلا في الأيوانات.

وفي أثناء دخولي لاحظت خلو مدخل الصحن من المسؤولين العجزة على ما كنت أعدهم في أيام حياتي، عندما كانوا يصطفون ساطرين بمنظرهم البشع ورائحتهم المنتنة ونديتهم المزعجة، وهم يتألفون من أكمل وأعمى وأخرس وأصمّ ومعدِّ وأخرج ومجذوم وأبرص، فقلت في نفسي هذه عجيبة ثانية! ترى أين مضى هؤلاء؟ ألم يبق في الناس من يعطف على المسؤولين؟ ألم تبق في الناس حاجة إلى المسؤول؟

دخلت الصحن ولم أكُد أضع قدمي اليمنى داخل الصحن حتى استقبلني أحد (خدّام الحرم) بمنظره الأنثيق ووجهه الملبح الذي يشف عن الصحة والنشاط ولحيته السوداء البراقّة وعمته الخضراء الزاهية، ومدّ إليّ يديه وصافحني باسماً وحيّاني بلطف وأدب، فتضايقت منه، وقد حسبته يستعطي مني بعض الدربيّات لقاء ما سيتمّ لي من كلمات ملحونة نابية يسمّيها (الزيارة) لا تنطلي إلا على الجهلاء - غيري طبعاً - وعجبت من غباؤه أهل هذا الزمان إذ تصوّرت أن هذا يجهل أن رجال الدين لا مطعم فيهم خدام العتبات وإن كانوا من غير سكان النجف فكيف وأنا ابن النجف؟

فقلت له بعبارة جافة: يا حضرة السيد آنه نجفي.

فقال العلوي بلطف ورقّة وعبارة عربية فصيحة: ولكنني لم أرك أبداً في النجف وأحسبك غريباً كما تبدو من لهجتك وبزتك فأردت أن أقوم بوظيفتي من واجب إرشادك.

أنا (بلهجة أهل زمامي العامية النابية): انته شنو والارشاد؟ ثم أعرضت عنه،



ولكنني لاحظت عليه أنه لم يفهم كلامي وقد اعتبرته مثل الدهشة.

فقال العلوي (بعد لحظة من الصمت وقد أدرك إعراضي عنه): إذا أبى - يا مولاي - أن أؤدي لك الخدمة فقد سقط عني واجبي، وأرجو أن تكتب في سجلي هذا استغناءك عن الخدمة بطوع إرادتك لئلا أبقى مسؤولاً (وأخرج سجلاً صغيراً من جيده يلفت النظر في أناقته).

فلم أفهم ما يعني على التحقيق، وزاد عجبني من غباوته، إذ تصورت أنه يحاول أن يخدعني بهذا الاسلوب لابتزاز بعض الدرارهم فقلت له بعبارة تكلفت فيها اللغة الفصحى هذه المرة لأفهمه أني رجل من أهل العلم ولم تنطل عليّ خدعته - يفتح الله عليك، ليس عندي ما أعطيك ولست أنا من ينخدع!

العلوي: ألم أقل لك أنك غريب؟ يبدو ذلك من هجتك الغربية عن أهل بلدنا ومن ظنك بي سوء الخداع والطمع عندك بل أنت أكثر من ذلك لم تزر النجف في حياتك على ما يظهر والمستغرب يا سيدي ما يبدولي من حديثك أنك لم تتورّع فيه، ولم أشاهد ولم أسمع في حياتي رجلاً عادياً في أهل النجف يظهر على كلامه الكذب أو ظن السوء بأخيه المؤمن فكيف بالرجل الديني مثلك. وهنا أول واجب أؤديه معك قياماً بوظيفتي أن أنصحك بترك مثل هذا الكلام الذي يتوهם منه الكذب أو سوء الظن وأحاشيك منها.

(وهنا فضلت إلى نفسي وشعرت بخطأي إذ حاولت أن أطبق جميع ما تقع عليه عيني وتسمعه أذني على الأوضاع والعادات في زمانى الذي كنت أعيش فيه، وشعرت بأنني غريب حقاً عن كل ما أرى وأسمع، ولفت نظري على الأكثر نصيحته التي شعرت فيها بمرارة الألم من جرأته وصرافته، ولم أستسغ نصيحة رجل مثله لرجل مثلني يعتز بمظهر الصلاح ومكانته الدينية والاجتماعية. ومتى كان الناس يجرءون على النهي عن



المنكر حتى عن مثل الكذب وسوء الظن وكل أحاديث المجالس لا تستقيم بدونها ودون أختها ملح الكلام (الغيبة)، ومع ذلك يجامِل بعضنا بعضًاً فلا يواجهه بتهمة فعل المحرّم والمجاملة نوع من الرياء المستساغ، والأعظم من ذلك تعدّ المجاملة والتغاضي عن مساوئ الناس من سمات الرجل الصالح التقى وهي التي ترفع منزلة الشخص في نفوس العامة والخاصة وتجلب حبّهم وعطفهم).

(كل هذه الخواطر مررت على ذهني في هذه اللحظة السريعة وتبدل رأيي في هذا الرجل الماهدي الرزين وتبدى لي رجلاً يوثق بفضله وصلاحه، وزاد شعوري بالحاجة إلى الاسترشاد به) فقلت:

حقاً أنا غريب عن أوضاع البلدة كما حدست، لأنني كنت أعيش في النجف في عهد بعيد فاسمح لي أن أسترشد بك!  
العلوي: لك ذلك! وهذه وظيفتي.

أنا: نعم هذا الذي أريد أن أسأل عنه قبل كل شيء! ما وظيفتك التي تشير إليها في كل مناسبة؟

العلوي: وظيفتي تعليم الزائرين الغرباء، وتقديم النصائح لهم في سلوكيهم مع الناس وأداء الشعائر الدينية وإرشادهم إلى كل ما يحتاجون إليه حتى فيما يتعلق في المكان الذي يختارونه لنزولهم.

(أنا): هل أنت وحدك موظف على ذلك؟

(العلوي): - لا! معي مائة رجل بمثيل وظيفتي ينبعون على التناوب في الصحن والحرم ولنا مراتب متفاوتة يرجع الأدنى منا إلى الأعلى فيما يشكل عليه، وكلنا لنا مرجع أعلى هو الرئيس المطاع يسمى (أمين الحرم) الذي هو من العلماء الاعلام.  
(أنا): من الذي يوظفك؟



(العلوي): الهيئة الحاكمة في البلد.

(أنا): تعني موظفي حكومة العراق!

(العلوي): أية علاقة لحكومة العراق فينا؟

(أنا): إذن.

(العلوي): الهيئة الحاكمة هم جماعة من كبار علماء الدين برئاسة المقلد العام، وهم الذين يسهرون على مصالح البلد الداخلية والخارجية وبيدهم زمام شؤون جميع الطائفة الشيعية في أقطار الأرض. وأما إدارة الحرم وما فيه فترجع إليهم وهم الأمانة على نفوسنا وأموالنا.

(أنا): كيف تسنى للعلماء أن يحكموا البلد؟

(العلوي): أين كنت غالباً هذه المدة الطويلة حتى لا تعلم بحوادث هضتنا الجبارية. وشرح هذا يطول، دونك - إذا شئت - كتاب (النهضة الدينية في النجف) يعطيك تفصيل تاريخ هذه النهضة من ابتداء تأسيس منتدى النشر وكيف تمكّن رجال الجمعية من إصلاح شامل في ذلك الزمن بما جاهدوا صابرين وضحوا مخلصين حتى تمكّن العلماء المتخرجون من كليات المنتدى من الاستقلال بإدارة حكومة النجف باعتبار أنها بلدة دينية مقدسة لا يصح أن تدار إلا من قبل هيئة دينية مخلصة وبذلك استطاعوا إصلاح كل شيء فاسد في هذا البلد الأمين.

أنا: - (وقد هبط قلبي عند ذكر المنتدى وتذكرت أنني أحد مؤسسيه ولكن أنني لي بهذه الدعوى أمام هذا الإنسان الكامل وقد ظهرت له بتلك النفسية وال التربية الشاذة فكيف يصدق مني ذلك فاكتفيت أن أقول له):

- لقد سرّني والله ما ذكرت وسألتني هذا الكتاب لأنزود من هذا التاريخ المجيد الذي لم أحلم به، واسمح لي أن أسألك عن أشياء أخرى فإن كل شيء عندكم يبدو لي



غريباً.

(العلوي): سل ما بدارك.

(أنا): ما مقدار ما تأخذون من الزائر أجرة على إرشاده وتعليمه.

(العلوي): ييدو أنك تفكير بغير تفكير أهل زماننا، أية أجرة نستحقها على الإرشاد والتعليم، وإنما نقوم بهذا الواجب لوجه الله تعالى، والزائر إذا رغب في التبرع لمنفعة العتبة المقدسة فهنا صناديق موضوعة يلقى فيها ما يشاء.

(أنا): عمل جليل حقاً، ولكن كيف تعيشون أنتم وعائلاتكم.

(العلوي): نعتاش من المخصصات لنا من أوقاف الحرم، ونتناول منها مقدار كفايتنا.

(أنا): على أي أساس يكون توظيفكم.

(العلوي): على أساس الكفاية والقرعة.

(أنا): كيف؟

(العلوي): أن المتخريجين من كلية التبشير يقتربون بينهم لتعيينهم إلى مدة معينة في مواطن التبشير المقررة المحتاجة إلى المبشر، والروضات المطهرة تعدّ من مناطق التبشير فإذا وقعت القرعة على أحد لخدمة إحدى العتبات تعين عليه ذلك ويتابع التعليم الخاصة في هذا العمل.

(أنا): حتى لو كان المخرج من غير أسر خدام العتبة المقدسة.

(العلوي): أُبقيتُ أُسر للخدم. ذهب ذلك النظام البالي وهل الوظيفة الدينية والكفاية تنتقل بالوراثة؟

(أنا): (وقد شعرت بخوف غامض من الاستمرار بهذه الحديث فحورته إلى ناحية أخرى) فقلت:



- لاحظتك أيها العلوي الفاضل متقيداً باللغة الفصحى.

(العلوي): لاحظتني متقيداً! أنتقيد بلغتي التي نشأت عليها وقد أصبحت التربية من البيت إلى المدرسة على أساس اللغة الفصحى، فنسخت ثلاثة اللغات العامية القبيحة وأصبحت تاريخاً مجرداً لا نفهم منها شيئاً، وأظن هذا الكلام الأعجم الذي تكلمت به أولاً من تلك اللغات العامية الميتة.

(أنا): نعم (وقد خجلت من هذه الوصمة فحوررت الكلام أيضاً) فقلت: افتقدت حين دخولي صنوف القراء على باب الصحن.

(العلوي): أظنك تقصد المسؤولين الذين يدعون العجز والفقر فيضايقون الناس لابتزاز الأموال وخرزها.

(أنا) - نعم.

(العلوي): لقد ذهب عهدهم. ألم تشاهد تلك الدار الضخمة الصفراء المحاطة بالحدائق في طريق الكوفة؟ تلك دار العجزة والدار تعني عنابة فائقة بكفالة كل عاجز يحتاج من ذوي العاهات والمُعمرِين وتمريضهم ثم تعوييدهم على المهن والأعمال الحرة التي يمكن أن يتعلّمُوها، ويصرف على الدار من خيرات العتبات ومن تبرعات المحسنين والحقوق الشرعية كسائر مؤسسات العتبة المقدسة، فهل ترى بعد مجالاً لوقف المسؤولين على أبواب الصحن؟ وكل هذا من نتائج هضتنا المباركة التي حدثتك عنها.

(أنا): إن هذا لا صلاح عظيم. ألا تفضل معي لأداء الزيارة.

(العلوي): بخدمتك.

(أنا): أستغفر الله! لك الفضل.

(العلوي): لماذا الاستغفار ولم الا حظ أنك أذنبت الآن.



(أنا): هذه الكلمة تقال عادة تعليقاً على ما يقدمه المخاطب من كلمات التمجيل.  
 (العلوي): نحن لا نعرف هذه العادة، وهي مجاملة لا معنى لها، ذاك من المخاطب إحسان أفيستغفر الإنسان من إحسان غيره، هذا عجيب، والأعجب أنك لم تستغفر آنفأً بما بدا أنك أساءت الظن بأخيك المؤمن، وهي جريمة تجب التوبة منها فوراً، إنني لأستغرب من هذا الخلق، ما أدرى في أي مصر كانت تربيت؟ وأنت تقول أنا نجفي الأصل؟

أما أنا فقد تملكتني الحجل، ولم أحير جواباً، وقد استصغرت نفسي إزاء هذه النفس القدسية العالية بعد أن تخيلت أنني كنت أكلمه بأدب ديني ممتاز، على ما كنا نستعمله في زماننا.

ولم يكن مني إلا أن أخذت بيده بصمت ورحتنا نمشي صوب الحرم المقدس، فلاحظت أن أرض الصحن معبدة بالمرمر المصقول كأنه المرأة الصافية، وأدركت من طريقة رصف المرمر وتلاصقه امتناع قلعه لدفن الأموات فسألته:  
 - كيف يمكن الدفن الآن في الصحن.

(العلوي): لقد ذهب ذلك العصر الذي يسمح فيه بتكميس الأموات طبقات بعضها فوق بعض، وإنما عبدت أرض الصحن بهذه الصورة لتكتف الأيدي من عادة الدفن فيه. وعقيدتنا أن الدفن في جميع وادي السلام هو دفن في جوار أمير المؤمنين ﷺ ولا يبعد سلام الله وصلواته عليه عن أحد يلوذ به، وهل القرب في المكان له الأثر في القرب الروحي؟

(ولم نمش خطوات حتى وصلنا إلى موضع خلع الأحذية للدخول إلى الحرم - الكيشوانية - فتوقفت من خلع نعليّ إذ لم أر أحداً مسؤولاً عنها في المكان، فأشار إلى العلوى بأن أخلع نعليّ فوقفت متأنلاً) فقال: ألا ترون الدخول؟



(أنا): بل! ولكن عند من نؤمن أحذيتنا؟

(العلوي): نضعها في إحدى هذه الفتحات الصغيرة المرقمة ونأخذ منها ورقة فيها رقم الفتحة حتى لا تختلط الأحذية عند الرجوع إليها. وإذا لم يتفق فراغ إحدى الفتحات المحدودة في جميع الكيشوانيات يتضرر الزائر فراغ واحدة منها، وبهذه الطريقة يضمن وجود أناس محدودين في الحرم فلا يحصل التزاحم الذي له نتائج سيئة على توجه الزائرين وصحتهم وراحتهم.

(أنا): حسن ولكنها تبقى معرضة للسرقة؟

(العلوي): - وقد أحرّرت وجنتاه من الغضب هذه المرة - : ومن يسرقها؟ ألم أنهك عن سوء الظن بالمؤمنين.

(أنا): عفواً سيدي ألا يمكن أن يندس مع هؤلاء البشر الكثيرين سارق يتحين الفرصة؟

(العلوي): - وقد هدأت أعصابه إلى حدّ ما - : لماذا تطلب العفو مني؟ والله هو العافي عن المذنبين ولم تذنب إلى؟ ما هذه المجاملات الغريبة؟ وهذا ما يدلنا على أنك من أبناء القرون البالية في آدابها وأفكارها.

(أنا): لقد حيرتني! وما أدرني كيف أطمئن إلى ترك الحذاء بلا رقيب.

(العلوي): أنا أشرح لك الواقع: إن النجفيين أصبحوا أنزه مما تظن بهم ذلك، وقد طهّرت البلد من كل مرتكب لأمثال هذه الجرائم، فإن السارق تقطع يده وينفي من البلد وهكذا تقام الحدود الشرعية على جميع أصحاب الجرائم والموبقات ويُخْرُجون. والناشئة تربى تربية صحيحة عالية تجعلهم لا يفكرون في إمكان وقوع الجرائم من رجل مؤمن، وعلى هذا كانت تنشئ رجال النجف اليوم. وهذا بفضل النهضة الدينية التي قام بها منتدى النشر كما أشرت لك إليها آنفاً ورغبت في أن تطلع على ما كتب عنها.



وأما الزوار الغرباء فلا يدخل أحد إلى النجف الأشرف إلا بعد التأكد من شخصيته ونزاهته بما يحمل من تعريف في حقه من الرجل الديني المقيم في بلدة الزائر، وفي كل بلد إسلامي رجل ديني متخرج من كلية التبشير وموظف من قبل هيئة العلماء هنا. والزائر إذا بدر منه شيء ينافي الآداب الإسلامية يقدم إلى المحاكمة فوراً ويحكم بما يستحق من حد أو تعزير أو توبيق ثم يخرج إلى بلدته ويرسل بتفصيل الحادثة والحكم إلى عالم بلدته، وجميع أهل النجف عيون ساهرة مخلصة على الزائرين. كلهم راعٍ وكلهم مسئول عن رعيته.

وقد جربنا أن إقامة الحدود الشرعية بإخلاص من أعظم العوامل لإنجذاب الجرائم من البشر، وقد أصبح الحكم الشرعي هنا لا عمل له لندرة وقوع الجرائم والتعدى على الحقوق.

(أنا) : - بعد الاطمئنان والدخول إلى الحرم - إن هذه الطريقة الصارمة في الحكم لا بد أنها قللت سكان النجف الأشرف.

(العلوي) : بالعكس، إن محبي السلام والعدل والوداعة أصبحوا يتهاfتون على الهجرة من كل حدب وصوب، وهذا ما اضطرت الهيئة الحاكمة إلى أن تحدد الهجرة في كل عام بشروط ثقيلة تحاشياً من تزاحم السكان ومن دخول من لا يرغب فيه، وقد توسعت البيوت إلى حدود الكوفة.

(أنا) : هذا ما كان يتوقع حصوله علامة لظهور إمام العصر والزمان عجل الله فرجه.

ولم أكد أصل إلى باب الحرم حتى استيقظت من النوم آسفاً من عدم رؤية الإصلاحات في نفس الحرم، ومسروراً بما شاهدت من إصلاح لم يقع في دائرة تمنياتي ساعة اليقظة وإن كان من أضفاث الأحلام.



## الحلم الثالث

١٣٦٤/٦/٦

## بعد خمسين عاماً أيضاً

كانت رؤيائي هذه المرة ملحقة بحلمي السابق، وقد كنت خرجت منه مرتحلاً بها شاهدت وسمعت من إصلاح في المجتمع النجفي، فكانت رغبتي في متابعة ذلك الحلم اللذيد أوحت لي أن ابتدئ في حلمي الجديد من حيث إنتهيت.

لقد إنتهيت في حلمي السابق إلى الوقوف على باب الروضة الحيدرية المطهرة مع ذلك السيد النجيب، وإذا به هذه المرة يودعني على الباب ليتركتني إلى شيخ واقف هناك له وظيفة المزور والمرشد، فاستقبلني الشيخ بوجهه المتહلّ وابتسامته التي تنم عن الرضا والاطمئنان والتقوى والإيمان، وحياني بأدب وإحترام، ثم تقدم فقرأ لي السلام على النبي ﷺ بعبارة فصيحة متقدنة، وإذا هي كما كنا نقرأها في أيام حياتنا الأولى.

ثم دخلنا من الباب إلى الرواق فلفت نظري أن الجدران والسقوف ليس فيها تلك الزخارف والمرايا التي كنت أعهدها، وإنما هي مرصوفة بالرخام الشمين على لون وردي واحد يشيع في النفس البهجة والسرور متصلة إلى السقف الذي كان على لون واحد أيضاً في لون أحمر خفيف مخطط بإطار كتب عليه الآيات القرآنية بخط أزرق واضح يقرأ بسهولة تتجلّ فيه روعة الفن وجمال التلوين.

وبعد قراءة إذن الدخول المعتمد في أيام حياتنا دخلنا الحرم الشريف، وإذا الجدران والسقف على نحو ما رأينا في الرواق المطهر قد أزيلت تلك الزخارف والمرايا المعهودة في عصرنا الماضي، إلا أن الجدران على اللون الأبيض الناصع تتصل بالسقف على طريقة



الرواق، فعجبت من هذا التغيير الذي بدا لي أنه مقصود لغرض إصلاحي، فلم تفتني الفرصة أن أسأله الشيخ عنه مستغرباً قبل الإشغال بالزيارة فقال: - الشيخ: - أليس أن حرم الإمام عندنا بمنزلة المسجد في أحكامه، ومن المعلوم في الشريعة الإسلامية أن الزخارف والتصاوير والنقوش مكرورة أشد الكراهة في المساجد بل الزخرف بالذهب حرام وكذا قيل النتش بمطلق الصور، وعلة الكراهة أظنهما واضحة لأن النقوش تشغل المصلين والمتعبدين عن التوجه إلى الله تعالى على أن هذا الوضع موجود الآن أبهج للنفس وأكثر روعة وجلاً، ولا يقل ثمنه عن ثمن تلك النقوش والزخارف.

(أنا): - نعم! ولكن وجدنا الآثار الإسلامية في المساجد والمقابر تدل على عدم عنايتهم بهذا الحكم عند جميع أهل المذاهب حتى عند الشيعة، أفلا تدل هذه السيرة على أن هذا الحكم لا أصل له في الشريعة.

الشيخ - أرجوك اتركنا من حديث السيرة.

(أنا): - إن هذا غريب أليست السيرة من الأدلة عندنا على الحكم الشرعي؟

الشيخ - ازدادت الأدلة الأربع خامساً؟

(أنا): - لا! ولكن السيرة هي من الإجماع بل أعلى أفراد الإجماع، لأنها إجماع عملي من العلماء وغيرهم، والإجماع العادي إجماع قولي من العلماء فقط.

الشيخ: الحق عندنا أن الإجماع المحصل لا يتم لنا في هذه العصور بعد عصر الإمام الأعلى قاعدة اللطف أو الحدس الموهتين والسيرة لا تكون حجة قطعية إلا إذا ثبت أنها تبتدئ من زمان المعصومين عليهم السلام إلى زماننا حتى يكون المعصوم هو أحد العاملين بالسيرة أو يكون مقرراً لها وفعله وتقريره حجة كقوله.

أما السيرة إذا كانت بعد زمان المعصومين فلا قيمة لها والتي يشك في استمرارها إلى زمانهم فأجدر بها ألا تكون حجة لأن الشك في حجية الشيء كاف في وهن حججته



إذ لا حجة إلا بعلم.

يا أخي إن الناس قد يعملون شيئاً لعادة لهم غير إسلامية أو هوى في نفوسهم أو لتأثيرات أخرى خارجية، ويستمرون على ذلك ويتسامح عنه رجال الدين وتفضي على العمل سنون أو قرون فيتخدم سيرة للمسلمين وينسى تاريخ تكوينها فيتخيل أنها عادة أو سيرة إسلامية، كسيرة تقبيل اليد والقيام للقادم وسيرة الاحتفاء بعيد يوم النوروز على أن السيرة إن صحت ودللت فإنما تدل على جواز العمل ولا ينافي ذلك كراهته كزخرف المساجد.

(أنا): إن هذا الطعن في سيرة المسلمين بلجديد لم يعرفه علماؤنا الأقدمون.

الشيخ: جدة الكلام ليست من الأدلة على بطلانه إذا كان معقولاً، على أن الشك في السيرة بهذا النحو في ما أعلم أول من فتحه المجتهد الأكبر شيخ الطائفة الأنصارى في معاطة المكاسب، ولئن حمل عليه بعض من تأخر عنه فعذر ذلك البعض أنه لم يتوصل إلى ما توصل إليه الشيخ من أسرار تكوين العادات والعقائد في الناس على طول الزمن، ولكل جيل نوع من العادات في سلوكهم ومعاملاتهم وإجتماعياتهم وما كلهم وملابسهم قد تباين نوع ما عند الجيل السابق. وإنما التبدل يحدث بمرور زمن طويل قد لا يشعر به من يجري على يديهم التبدل. ولذلك لا ثق من السيرة الموجودة في هذا الزمان في أنها كانت موجودة في عصور الأئمة الأطهار عليهم السلام كما هي الآن لا سيما إذا وردت أحاديث عنهم تنافي السيرة كما في مسألتنا ومسألة تقبيل اليد والقيام للقادم.

(أنا): ألا تذكر لي نصّ عبارة الشيخ الأنصارى تباين لنرى مدلولها؟

الشيخ: قال تباين في بحث المعاطة: «وأما ثبوت السيرة واستمرارها على التوريث (يقصد توريث ما يباع معاطة) فهي كسائر سيراتهم الناشئة عن المساحة وقلة المبالغة في الدين مما لا يخصى في عباداتهم ومعاملاتهم وسياسياتهم.



(أنا): إن هذا كلام شديد وقعه على السمع، لا أكاد أستطيع الإصغاء إلى مثل هذا الطعن في المسلمين وقد أصبحت في ثورة نفسية لا أعرف كيف أعبر عنها وما أدرى كيف يتكلم مثل هذا الشيخ العظيم بنحو هذا الكلام. عسى أنها كلمة مدسosaة في كتابه. وليته دلنا على هذه السيرات التي لا تحصى. وبينما أنا في هذا الحديث إذ استيقظت مذعوراً وقد أخذني مثل الأفكل ورحت أضرب أحاسساً في أسداس لهذا الحديث الغريب.



## الحلم الرابع

١٣٦٤/٦/٢٠

## مع أحد الملائكة

رأيت في عالم الأحلام كأن أحد الملائكة نزل إلى الأرض بصورة آدمي حسن الهيئة والهندام، [كما تنزل أصحاب (البرشوتات) على أرض الأعداء المحاربين]. نزل على حذر كأنه على استعداد للمقاومة ومداهمة الطواريء.

ولكن نزوله كان في أرض خالية إلّا مني وقد كنت غير بعيد عنه، فارتعدت بادي ذي بدء، لولا أنني تذكرت أن للملائكة من صفاء الطوية وحسن النية ثغرة من الضعف يستطيع أن يهاجمها الآدمي بها أوتي من حيلة ودهاء ومكر وخداع.

ويا سادتي إن الملائكة هم قوى الخير في الخلق أو إن شئت فقل هم قوى الله لخير الخلق، وجانب الخير مقهور في الأرض لقوه الشر أبداً. وما كلمة البشر إلا الكلمة مرکبة من كلمة الشر، وما الباء الزائد فيها إلا حرف للخير لا يظهر على الأكثر في خط الكلمة إلا مطموساً على أنه هو مبدأ وجودها. نعم إن النفس الامارة بالسوء طاغية على ما في الإنسان من نوازع الخير.

فبداي أن أستغلّ صفاء طوية هذا الملك الروحاني (لاستخلصه لي) بالإطراء عليه أو الثناء على ما أوتي من فضل وروحانية قدسية، على ما أعرف أن في النفوس ظمماً ملتهباً لا ينطفئ إلا بأن يُخلق في صاحب النفس شعور بأنه عظيم وأنه شيء لا كالأشياء. والثناء أحسن طريق خلق هذا الشعور في النفس مما يبعث في صاحبها الرضا بالمطري والاطمئنان إليه والإعجاب به وإن علم أنه كان كاذباً أو مخادعاً.

إذ الغفلة والنفس الامارة سوّلا ي هذا القصد في استهواه رفيق وحدقي الجديد  
هذا الملك الروحاني وغلطت في قياس الملائكة على البشر، وهم لكمال وجودهم لم  
تخلق فيهم إلا شهوة الجمال الكلي وحب الحق السرمدي. وليس هذا الظماً الم��ب إلى  
الشعور بالعظمة إلا نتيجة لنقصان البشر وشعوره الداخلي بحطته عن درجة الكمال  
التي خلق لأجلها فيحاول تكميل نقصه بهذا الخيال فيبالغ فيه.

وأنا الآن إذ أحاول تصوير هذا الحلم لكم وتمثل هذه الحقيقة في الإنسان لأخرج عن طبيعتي البشرية، يثيرني هذا الظُّمَاء فأحاول أن أحسن التصوير لأستدرّ عطفكم بإطاري وأحثكم على الثناء على من حيث تدرون أو لا تدرُّون، وقد لا أظفر بما يسكن اللهيـب من هذا العطش.

على أن قولي (أنا الآن...) كلمة توحّي بها لقلمي تلك الانانية التي خلقها الظّمآن إلى الشعور باني (أنا) كأني أريد أن أقول لكم أنا شيء لا كالآدميين إذ لست مأخوذاً بهذا الظّمآن البشري مثلهم متّجاهلاً الأنانية أو حاطاً من قيمتها في نفسي، فهذه محاولة نكران الأنانية هي من الأنانية أيضاً وكم يتواضع الإنسان ليُمدح فيرتفع بهذا التواضع، فيما أعظم مغالطاتك أيها البشر وما أدق التناقض فيك وما أبعد غور مركب النقص في نفستك.

لأطيل عليكم في الخروج عن الموضوع وأظن حتى الآن لم أظفر منكم بالرضى  
الذي آمله لإشباع نهمتي فيا خيتي معكم، كما خبّت مع رفيقي الملك، فإني كما قلت  
غلطت في قياس الملائكة على البشر كما غلط ابليس في قياسه، فإن هذا الملك لما سمع  
ثنانئي عليه جايني بكلمة الحق المرة إلا في مذاق الملائكة الكرام فقال:

لا قيمة لثنائك عندي، فإن كنت صادقاً فما ثناوك بزائد على ما أنا فيه، وإن كنت كاذباً فلا يخلق في ماله أخلق له، فأنا أنا على كل حال. وأنتم يا معاشر الأداميين ألم ينهاكم

أئمتك ومصلحوك عن المدح مواجهة لأنّه نقص في المادح وحمل على ظهور المدوح بالنقص، أما إنّه نقص في المادح فلأنّه من الكذب إن كان باطلًا ومن الملق واللغو إن كان حقاً. وأما إنّه حمل للمدوح على الظهور بالنقص لأنّه إن أقرك على مدحك كان كمادح نفسه ومادح نفسه يقرئك السلام وإن عارضك فقد كذبك وتلك صفة يواجه بها المادح وهو محسن بالظاهر.

وأنّه تعالى تفضل عليكم عشر الآدميين أن خلق فيكم شهوة التفوق والجوع إلى الشعور بالأهمية لأنّكم مخلوق ناقص وجعل فيكم قابلية الكمال فكانت هذه الشهوة ضرورية لكم وتحتاجون إلى إشباعها بالعمل للكمال والرفة ولكن من نقصكم أيضًا اكتفاءكم في إشباعها بالخيال الكاذب إذ تكتفون بالشعور بأهميتك عند الناس وإن كان لا ظل لتلك الأهمية في نفوسكم ولا تسعون للعمل المشر في تكميل نفوسكم، فأنتم أبداً تريدون أن تكملوا النقص بالنقص إن هذا لشيء عجاب، ولذلك لا زال البشر ناقصاً ورازاً حاً تحت نير الاوهام والخيالات.

أما أنا فقد سقط في يدي وشعرت بخيبة مضبة بكشف حقيقة ما في نفسي عند هذا الملك الروحاني الذي أردت إستخلاصه، والإنسان أكثر خيبة في الحياة عندما يتكون عنده الشعور بالنقص وبالاًصح عند الشعور بأن نقصه انكشف للغير، لا سيما إذا كان في ساعة محاولته إلى إشباع شهوة الشعور بأهميته فيقوى فيه العطش إلى ذلك الشعور، ولا قيمة للهال وهو زينة الحياة الدنيا ولا شيء آخر إذا كان هذا الشعور بالأهمية متوفراً عند الإنسان المسكين. أما إذا فقده فهناك طامته الكبرى وخبيثه العظمى لا سيما إذا أميط السصار عن نفسيه الواطئة التي كان يظن أنه قد أسدل عليها ستار الحيلة والتمويه. وبعد الشعور بالخيبة اسفت على محاولي الباطلة وللت نفس على عدم تقديرني الأمور بحقائقها وفهمت عندئذ أن حسن الطوية وصفاء النية لا يلزمها الإنخداع



بالأباطيل وإنطلاع التمويه لا سيما إذا كان ذو النفس يرى الأشياء بمنظار الحق غير مثقل بالشهوات والعواطف.

وقد أدرك الملك المقرب مني هذا العراك النفسي فقال لي: «على رسلك لا تذهب بك الخيالات والأوهام» فتصر عك مقهوراً فإنك عندي في تقديرني على حد سواء إن أسأت أو أحسنت لأن الإحسان لك والإساءة عليك ولا ينالني منها شيء، وليس في ما يدعوه إلى الغضب أو الرضى، وإن صحّ مني التأثر فعليك لا منك. وفي البشر منكم من تبلغ به نفسه الكبيرة إلى هذا الحد من التنزعه عن التأثر بالعواطف والشهوات وهم القليل النادر بل أقل من القليل كالأنبياء والأوصياء فتسمو بهم نفوسهم إلى أرفع من منزلة الملائكة المقربين لأننا نحن الملائكة ليس فيما هذه العواطف والشهوات وهؤلاء لا يتأثرون بها مع وجودها فيهم فما أعظم الفرق بينهم وبيننا وما أعظم الفرق بيننا وبينكم معاشر البشر الباقين.

## المحتويات

٥	مدخل
	<b>محاضرات في آي القرآن الكريم</b>
١١	الحاضرنة الأولى في فاتحة الكتاب
١٤	الحاضرنة الثانية في الحروف المصدرة بها السور
١٦	الحاضرنة الثالثة في المنافقين
١٩	الحاضرنة الرابعة
٢٢	الحاضرنة الخامسة
	<b>أهل البيت (عليهم السلام)</b>
٢٩	عيد المولد النبوى
٣٢	الإمام علي معجزة الإسلام
٣٦	علي المثل الأعلى للإنسان الكامل
٤٢	العدالة في الإسلام
٤٩	خلود وتخليد
٥٤	خلود النهضة الحسينية
٥٩	يا أبا عبد الله
٦٠	يانور الحق
	<b>مقدمات كتب</b>
٦٣	ما أعظم تاريخ الكوفة
٦٨	أقدم كتاباً هو الأول من نوعه



٧٢	تقديم نشرة البذرة
٧٥	افتتاحية مجلة النجف
٧٧	يوميات جريدة الهاون
٨١	تصدير كتاب المختار النفقي للشيخ أحمد الدجيلي
٨٥	تقديم كتاب صور الحياة لضياء سعيد
٨٩	رشحات الفيووض
٩٠	شعراء العراق
٩٣	مقدمة كتاب العقد المنير
٩٧	العاصمة الدينية الكبرى
١٠٠	حفظ القبائل العربية على تقاليدها
١٠٣	على هامش كتاب ماضي النجف وحاضرها
	<b>خواطر</b>
١٠٩	ثلاثة ألقاب
١١٥	بسالة العرب
١٢٢	ليس معها المسلمون...
١٢٥	مشاكل الحياة
١٢٧	إلى الأستاذ ص.ش
١٣٠	رسالة جوابية
١٣٢	رسالة ختامية من الشيخ المظفر
١٣٤	آدم وأكله للشجرة
١٣٦	مع أحد الملائكة
١٤٠	الإسلام ووسائل المستعمرين..



١٤٤	كيف يتدرج الغربيون في هدم المدنية والدين؟
١٦٦	السوق
١٦٩	رسالة الحجّ
١٧٥	مع الحجاج
١٨٣	الفضيلة
١٨٧	مستوى الأدب العراقي بين القوة والضعف
١٩١	حرية الفكر والإسلام

### **هوية النجف العلمية**

٢٠١	جامعة النجف الأشرف صنو جامعة القرويين
٢١٠	توحيد الهمالل بين الدول الإسلامية
٢١٣	العلم والسعادة الأبدية
٢١٧	توصيات الى طلبة كلية الفقه
٢١٨	رجل الدين
٢١٩	عصر الإفلات الروحي
٢٢٥	كيف نري الموهاب النفسية
٢٢٨	مشكلة الدراسة الدينية
٢٣١	واجب الرجل الديني

### **الستيّون والشيعة**

٢٣٥	توطئة
٢٤٤	ترجمة الشيخ أبي عبد الله الزنجاني
٢٥٠	مقدمة كتاب تاريخ القرآن
٢٥٣	تاريخ القرآن للأستاذ أبي عبدالله الزنجاني



٢٥٦	السنيون والشيعة و موقفها اليوم
٢٦١	السنيون والشيعة للأستاذ أحمد أمين
٢٦٧	حول السنيين والشيعة
٢٦٩	إلى الأستاذ أحمد أمين
٢٧٤	السنيون والشيعة والمؤتمر

### محاضرات في علم الأخلاق

٢٨٤	المحاضرة الخامسة
٢٨٦	المحاضرة السادسة
٢٩٠	المحاضرة السابعة
٢٩٤	المحاضرة الثامنة
٢٩٧	المحاضرة التاسعة
٣٠٢	المحاضرة العاشرة
٣٠٧	المحاضرة الحادية عشرة

### أضغاث أحلام

٣٣٥	المقدمة
٣٣٧	في الصحن العلوي
٣٤٧	بعد خمسين عاماً؟
٣٥٨	بعد خمسين عاماً أيضاً
٣٦٢	مع أحد الملائكة